الأمّة
Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد الخامس والأربعون ـ السنة الرابعة ـ رمضان ١٤٠٤هـ ـ حزيران (يونيو) ١٩٨٤م

الاجتهاد بين الضوابط الشرعية والحاجات المعاصرة

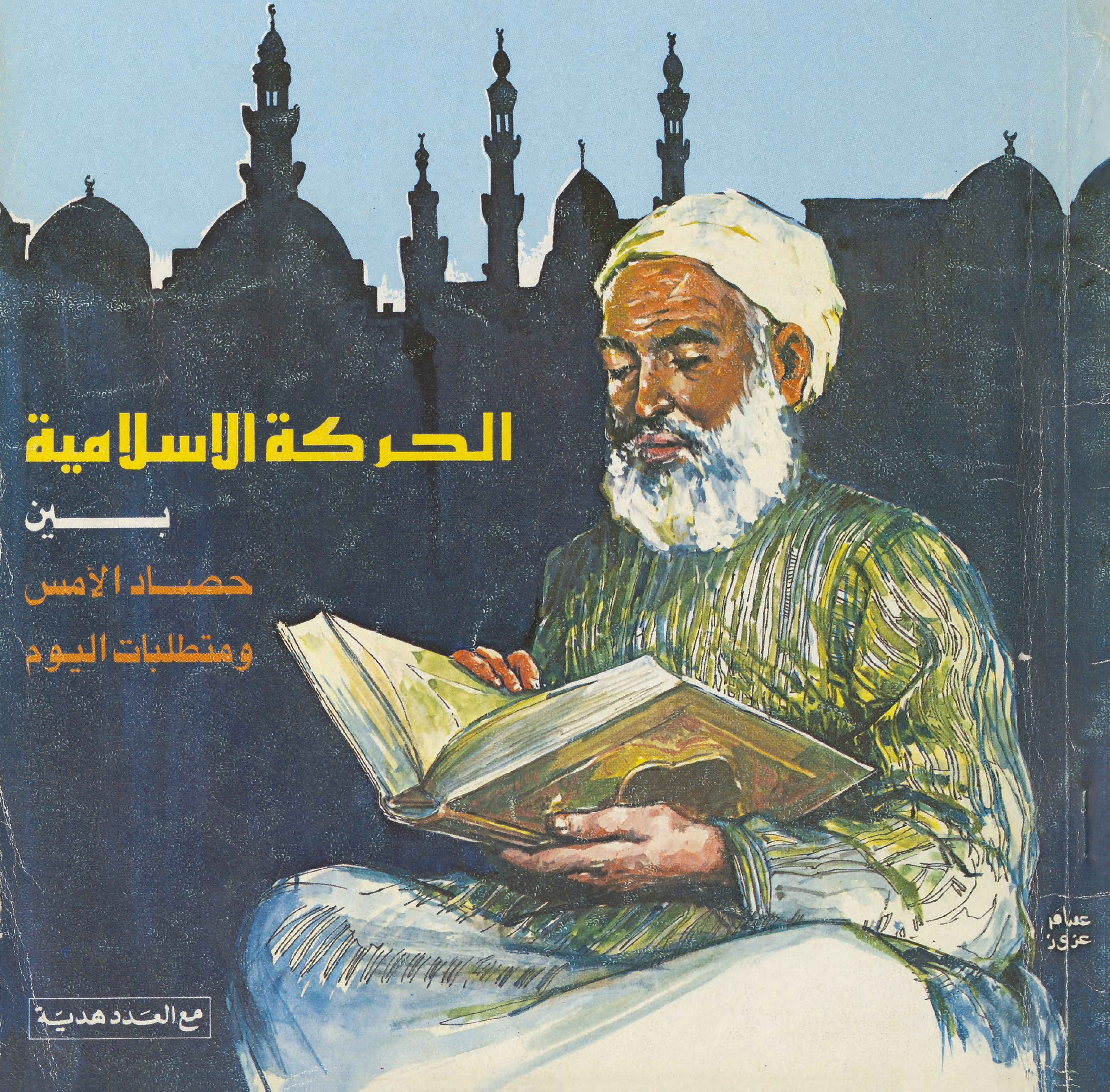

الحركة الاسلامية
بين
حصاد الأمس
ومتطلبات اليوم

مع العدد هدية

زخارف إسلامية

قصر الحمراء . الأندلس

■ «قاعة الأسِرَّة»

تفاصيل نقوش الجص للواجهة ■

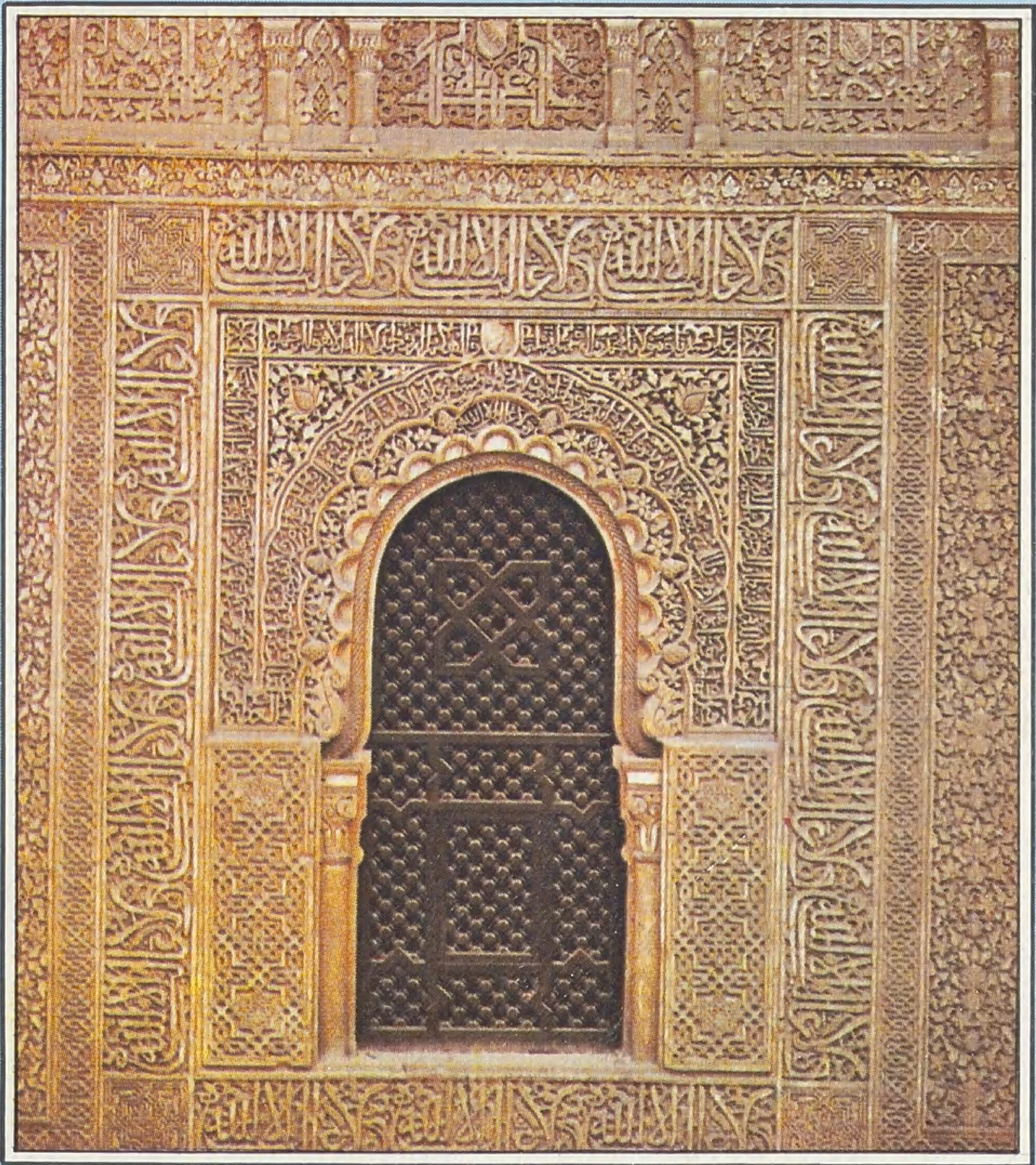

■ «غرفة الاستقبال» جزء تفصيلي للواجهة ■

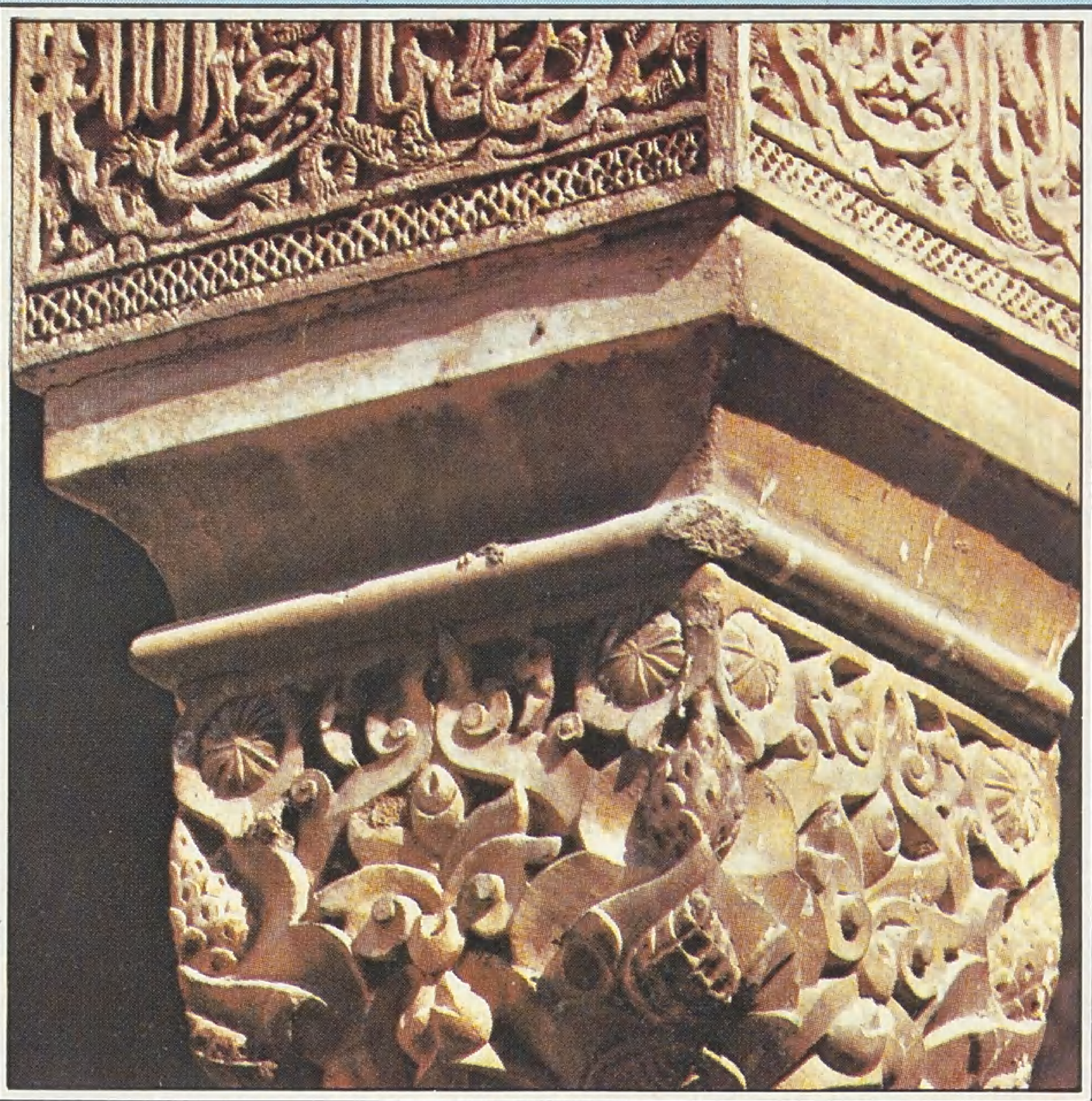

■ «ساحة الأسود» قطاع تفصيلي ■

126659529

بسم الله الرحمن الرحيم

إسلامية
شهرية
جامعة

الأمة
Al Ummah

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية
بدولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

1 RAMADAN 1404 A.H.
31 MAY 1984 A.D.

المشرف العام
عبد الرحمن بن عبد الله آل محمود
President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير
يوسف عبد الرحمن المظفر
Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير
عمر عبيد حسنة
Editorial Director
Ummar Ubaid Hasna

وكان أجود ما يكون في رمضان

■■ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقى جبريل عليه السلام، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، قال: «فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة».

إنه رمضان شهر المواساة والتكافل في مجتمع المسلمين، ذلك أن الصيام، هو التربية الحسية المادية على الإحساس بجوع الجائعين، والشعور بحاجة المحتاجين، إنه التكافل الاجتماعي، الذي يربي عليه الصيام الفرد المسلم، ليكون المرآة الصادقة له، والنافذة الصحيحة لاستشعاره، إذ لا يمكن للإنسان المترف مهما كانت دعاواه عريضة، أن يحس بصدق وحسن تقدير لحاجة الفقراء وبؤس الضعفاء، والرسول ﷺ يقول: «إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم»، فالضعفاء عدة النصر والدفاع عن الأمة، وعدة الكسب وسواعد الإنتاج، كما لا يمكن للإنسان المتخم، مهما ادعى أنه يحس بصدق واستجابة لتضوع الجائعين والمحتاجين.

إن الصيام هو دورة المعاناة المفروضة المتكررة ومركز التدريب الذي لا يقتصر على زعيم أو قائد أو مفكر أو غني أو فقير. إنما هي المعاناة التي تنتظم الجميع، فتشعر بالتساوي وتلغي التمايز، وتحقق التكافل، حيث لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم، فقضية الفقراء والمستضعفين والجياع في الإسلام، ليست شعاراً يُرفع لاقتناص السلطة وإنما هو الشعار المرتبط بالشعيرة، والقول المطابق للعمل، وليس من قبيل المصادفة أن يحتوي عدد رمضان لهذا العام على الدراسة الإحصائية الدقيقة للتخلف والحرمان في بلاد المسلمين، للدكتور نبيل صبحي الطويل. ذلك أن الأرقام التي طرحت مرعبة حقاً، فنصف سكان بنغلاديش يعيشون دون مستوى الكفاف، وخمس دول أعضاء في الجامعة العربية يصنفون في حقل الدول المعدمة، وستة في المائة من سكان الريف في أندونيسيا الذين يشربون المياه الصالحة للشرب، فأين ينفق المسلمون من أهل الثراء أموالهم؟ «ولا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن ماله من أين اكتسبه وأين وضعه».

وسوف لا نتابع ذكر الأرقام المذهلة لهذه الثغور المفتوحة في بلاد المسلمين، فالبحث كفيل بأن يقدمها، لتكون صوت النذير للمسرفين والمترفين، الذين يمارسون الفسق في العالم الإسلامي، على حساب البائسين والكادحين، وتكون أموالهم وبالاً عليهم في الدنيا، ثم عذاباً لهم في الآخرة يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم، وتنقلب النعمة عندهم إلى نقمة عليهم.

فهل يكون رمضان هذا العام موسماً للعودة إلى الله، وفرصة لمراجعة الحساب والتقصير في جنب الله على أكثر من صعيد؟ وهل نعود إلى شيء من التأسي برسول الله ﷺ الذي كان أجود ما يكون في رمضان؟

إنه الجود الذي يكبر ويتسع ولا يحول دونه أي عائق حتى يصير كالريح المرسلة ■■

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة - قطر

في هذا العدد

● كلمــــــة الأمـــــــة ٤
● القرآن ومعطيات الفكر الإنساني ...... الدكتور **محمد أحمد العزب** ٨
● إعجاز التصميم القرآني .... **محمد بدر الدين بن حسن** ١٢
● في رحاب شهر الصوم .... **سعد صادق محمد** ١٤
نفسيات كشف غطاءها القرآن .... الدكتور **محمود بن الشريف** ١٧
● حديقـــــة الأمـــــة ٢٠
● (**قضيـــة للمناقشـــة**) : تعليق على « نظرة جديدة للسلف ، هل يجوز السلم في التجارة ؟ » .... الشيخ **عبد القادر العماري** ٢٢
● علاقة الإعجاز القرآني بقضية الشك في الشعــــر الجــاهلي .... الدكتور **عباس ارحيلة** ٢٦
● في استقبال رمضان (**شعر**) .... **محمد السيد الداودي** ٣٠
● الميــــراث (**قصـة قصيرة**) .... **جميل فـودة** ٣١
● (**الأســرة المسلمــة**) : كيـــف توفرين لطفلك نومـــاً هادئـــــاً .... السيدة **آمال عبد الرحمن محمد** ٣٤
● (**اســـتطلاع**) : الواقع الإسلامي في بلجيكا .. الجيل الثاني يواجه مخاطر الذوبان ٣٦
● العبادات في الإسلام .. مفهومها وأثرها .... **عثمان محمد عثمان** ٤٢
● الاجتهاد والتجديد بين الضوابط الشرعية والحاجات المعاصرة في حـــوار مع الدكتور يوسف القرضاوي ٤٤

صـــورة الغـــلاف

■■ القرآن الكريم محور الحياة الإسلامية وعامل بقائها واستمرارها ، روى الترمذي وغيره عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنها ستكون فتن** » .
قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟!
قـــال : « **كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا تشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم** » .
لقد عرف المسلمون فضل القرآن فأحاطوه بقلوبهم حباً وتلاوة وتعبداً وتعليماً على مستوى الأجيال كلها ... وهكذا يعود إلينا شهر رمضان فيعود المسلمون إلى تلاوة ومدارسة القرآن . ■■

□ **الغلاف بريشة : الفنان عصـــام عزوز** □

التحرير والإدارة
Editorial Offices & Administration

هاتف - (بدالة) : ٤٤١٥١٠	Tel.: (PABX) 441510 DOHA
رئيس التحرير : ٤٤٧٠٢٢	Chief Editor 447022
مدير التحرير : ٤٤١٨٣٠	Editorial Director 441830
القسم الفني : ٤٤١٨٨٧	Editing Staff 441887
هيئة التحرير : ٤٤٧٥٠٠	Editor Staff 447500
تلكس : ٤٩٩٩ الأمة د هـ	Telex: 4999 Al Ummah DH
برقياً : الأمة الدوحة	Cables: Al Ummah DOHA
ص . ب : ٨٩٣ الدوحة - قطر	Mailing Address: P.O. Box 893 DOHA QATAR

ثمن النسخة

قطـــر	٣	ريالات	لبنان	٢٠٠	قرش
السعودية	٣	ريالات	مصر	٢٠٠	مليم
الكويت	٢٠٠	فلس	السودان	٢٠٠	مليم
البحرين	٢٠٠	فلس	ليبيا	٢٠٠	درهم
الامارات	٣	دراهم	الجزائر		ديناران
عمان	٢٠٠	بيسة	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس	المغرب		درهمان
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس	دول آسيا وافريقيا		نصف دولار امريكي
العراق	٢٠٠	فلس			
الأردن	٢٠٠	فلس			
سوريا	٢٠٠	قرش			

● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي أو ما يعادله ..

الاشتراك السنوي — Annual Subscription

للأفراد
● في قطـر ٣٠ ريالاً قطرياً .
● في الدول العربية والأسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً او ١١ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .
● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكياً أو ما يعادلها .

● Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$. 22.
● America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات
● في قطـر : ٧٥ ريالاً قطرياً
● في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً
● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً .

■ **ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة** ■

المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

● (نـــدوات ومؤتمـــرات) :
مؤتمر بيت الزكاة الأول في الكويت ٥١
ندوة الغزو الفكري في وسائل الإعلام .... محمود قطام ٥٣
● (عـــالم وكتـــاب) :
الجبرتي وكتابه عجائب الآثار .... عودة أبو عودة ٥٤
● الحركة الإسلامية المعاصرة بين حصاد الأمس
ومتطلبات اليوم .... علي بن الساسي بالحاج علي ٥٨
● بطاقـــة مـــن قـــارىء ٦١
● (محاضـــــرة) :
الحرمـــان والتخلـــف
في ديـــار المسلمـــين .... الدكتور نبيل صبحي الطويل ٦٢
● (من عجائب المخلوقات) : الصحراء ودورة الغذاء ٦٧
● (العلم والحياة) ٧٠
● تاتار القرم : شعب أهمله التاريخ .... ترجمة تاتاري مسلم ٧٢
● معرض المصاحف المخطوطة بالكويت .... محمد مروان جميل مراد ٧٦
● تصريحـــات وأقـــوال ٨٠
● بريـــد الأمـــــــة ٨١
● (حتى يتبين لهم أنه الحق) :
الزكـاة تلك المعجزة المالية العجيبة .... الدكتور عماد الدين خليل ٨٥
● شـــؤون المسلمـــين في العـــالم ٨٦
● خواطـــر في يوم القرآن الكريم (شعـــر) ....
الشيخ علیوة مصطفى علیوة ٩١
● مع الصحافـــة في العـــالم ٩٢
● مسابقة العدد الخامس والأربعـــين ،
وحل مسابقة العدد الثالث والأربعين وأسماء الفائزين ٩٤
● (خواطـــر وأفكـــار) :
السوق الإسلامية المشتركة .... الدكتور أحمد شوقي عرفة ٩٦

في بلجيكا : الجيل الثـاني يواجـه مخاطر الذوبـان

■ بعد ست سنوات تقريباً من اعتراف بلجيكا بالدين الإسلامي وإقرار تدريس مادة التربية الإسلامية في مدارسها الرسمية . إلى أي مدى استطاع المسلمون من أبناء الجالية والمهاجرين التعامل مع ذلك وحسن الاستفادة منه وإعطائه القدر المطلوب من الدراسة والتخطيط والإعداد الخاص لتشجيع الدول الأوروبية الأخرى على اتخاذ خطوة مماثلة .

وإذا كان الاستطلاع في هذا العدد سيقتصر على معالجة معاناة الجيل الثاني في مجتمع أوروبي غير مسلم فسوف تكون لنا عودة في الأعداد القادمة إن شاء الله لمناقشة أبعاد الاعتراف بالدين الإسلامي في بلجيكا .... (ص : ٣٦) ■

الحرمان والتخلف في ديار المسلمين

■ إن المسلمين اليوم يفتقدون لسلم الأولويات في العمل والتخطيط والإنفاق ، فلقد نقلت وكالة الأنباء الكويتية خبراً مفاده : أن عدة بلدان إسلامية اسهمت في تمويل عملية الحفاظ على المعبد البوذي الضخم (يورود بودور) في جزيرة جاوة الأندونيسية ويحتوي على (٤٢٢) صنماً لبوذا .. فهل إنفاق المسلمين في سبيل ترميم الأصنام أولى من الإنفاق على توفير الماء الصالح للشرب ؟! خاصة في أندونيسية حيث إن (١١٠) ملايين مسلم من سكان الريف هناك لا يشربون الماء الصالح .

الفقر والجوع والمرض والعطش والجهل ... من ثغور المسلمين المفتوحة والمرابطة فيها فرض عين على كل القادرين من ذوي الاختصاص والسعة (ص : ٦٢) ■

معـرض المصـاحـف المخطوطـة في الكـويت

■ حرص الخطاطون عند كتابتهم للمصحف أن يكون في أجمل صورة وأبدع حلة .. لهذا راحوا يتبارون فتعددت أقلامهم وتنوعت خطوطهم ووضعوا لها قوانين وقواعد ارتقت بالخط العربي إلى مكانة رفيعة .

ولقد ساعدهم على تجويد الخط طبيعة حروف اللغة العربية بما فيها من انبساط واستدارة وتقويس واتصال ، ومن رؤوسها ونهاياتها يمكن عمل أشكال مزخرفة كالتوريق .

كما اتقن الفنان المسلم الأساليب الفنية للتجليد لحفظ القرآن من العطب والتناثر حتى اصبح الكثير من جلود المصاحف لوحات فنية نابضة بالجمال والحياة .... (ص : ٧٦) ■

الإخراج الفني مجدي نجيب

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
«	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤ العين
«	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
«	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
«	□ « «	الظهران
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص . ب ١٠١١ مطرح سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
«	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨٠ - ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
ألمانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
	ISLAMISCHES ZENTRUM	BILAL MOSCHEE 51 AACHEN W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND

كلمة الأمة

قراءة في

□□ إن أهم الانتصارات التي ما تزال تعطي هذه الأمة القوة، وتمدها بأسباب النهوض، وتشكل لها الحصانة في العقيدة والشريعة والثقافة والفكر، والضمانة في السلوك والأخلاق، وتحميها من السقوط والذوبان: هو هذا القرآن. ولا تكاد أمة من الأمم في التاريخ العام تمتلك مثل هذه الثروة من: العقيدة الجامعة، والقيم التشريعية التي تجمع عليها، وتدين لها بالمشروعية العليا، وهذا الرصيد الفكري، والتطبيقات العملية التي تكوّن قاعدتها الصلبة، وهذا الدليل الثقافي - إن صح التعبير - لمختلف العقائد والملل والنحل، والمقياس الأمين والدقيق لعوامل سقوط الأمم وشروط نهوضها.

حتى كان التذكير بالقرآن والجهاد به، والقيام بأداء رسالته في البلاغ المبين من المهام الكبرى، وعهدة التكليف التي أنيطت بالفرد المسلم، والتي اعتبرت رسالته في الدنيا ونجاته في الآخرة.. قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (قاف: ٤٥) وقال: ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾ (الفرقان: ٥٢) وقال: ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ... ﴾ (الجن: ٢٢ - ٢٣).

ولعل فضل رمضـــان، وتميزه عن شهور السنة إنما يتحدد لأنه شهر نزول القرآن: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٥) إلى جانب أنه وعاء لكل معاني الخير ودليل لسبل السلام، ووعاء لكل الانتصارات التي شكلت منعطفات كبرى في تاريخ البشرية وحضارة الإنسانية، إنه شهر نزول القرآن، ومدارسة القرآن، وملازمة القرآن، والقضاء على الهجر للقرآن والحيدة عن طريقه ومنهجه: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ (الفرقان: ٣٠).

لقد بدأت انتصارات هذه الأمـــة في شهر رمضان، بدأ انتصارها بنزول القرآن الذي كانت به خير أُمَّـة أخرجت للناس، تقودهم إلى الخير وتهديهم سبيل الرشاد، وتشهد عليهم عند الله: ومهمة قيادة البشرية والشهادة عليها لا بد لها من رجال امتلأت قلوبهم بخشية الله، واستقامت أعمالهم بشريعة الله، وترفعت نفوسهم عن الدنايا، وانخلعت أرواحهم من أسر الشهوات والخوف على المصالح وانتظار ما عند الناس وإيثار الدنيا... وسوف لا يتحقق هذا إلّا في مدرسة الصوم التي يتم فيها الاستنارة بنور القرآن والتدريب على معاني الخير...

ففي الصيام انتصار على شهوات النفس من الطعام والشراب والجنس، تلك الأمور التي أذلت البشرية وعبّدتها لغير الله، من لدن آدم عليه الصلاة والسلام، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كلما حادت عن نهج الله، وأخضعتها لسلطان الطغاة من متألهي العصور المختلفة حيث إن من لوازم الطغيان والاستبداد السياسي، وضمان استمراره وتعطيل الإحساس به والقدرة على مقارعته: إطلاق العنان لشهوتي البطن والفرج، والتشجيع على ذلك والترويج له، ووضع الفلسفات والمسوغات، وممارسته تحت شعارات الحرية، ولا يعنيهم من كل مفهومات الحرية إلا حرية الجنس والإباحية... قال رسول الله ﷺ: « صنفان من الناس لم أرهما: نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، على رؤوسهن كأسنمة البخت. ورجال في أيديهم كأذناب البقر يضربون بها وجوه الناس » وقد لا يحتاج الإنسان إلى كثير من العناء والتفكير ليكتشف أن هذين الصنفين من لوازم بعضهما، والشواهد على ذلك ووسائل الإيضاح التي تملأ على الناس حواسهم لم تدع استزادة لمستزيد. فالمجتمعات الظالمة المستبدة هي الأكثر تشجيعاً على الإباحية.

ومن خبث يهود أنهم أخذوا يميتون في نفوس الناس التمرد على هذه الحاجات، ففسروا لهم الحياة والتاريخ والأخلاق والأديان على ضوء ضغط هذه الحاجات، وفلسفوا الخضوع لها لتستمر سيطرتهم على البشرية باسم العلم، إذ لم يتمكنوا من السيطرة عليها باسم القوة...

فجاء الصيام في شهر القرآن والجهاد ليعلن انتصار المسلم على هذه الشهوات المتحكمة في كثير من الناس اليوم، هذا الانتصار الذي يعتبر المقدمة التي لا بد منها للانتصار على العدو الذي نعاني منه أشد ما تكون المعاناة، وسوف لا يتحقق هذا الانتصار إلا في مدرسة الصوم،

غزوة الفتح المبين

فالمهزوم أمام شهواته حري بأن يهزم أمام عدوه ...

ولا شك أن المسلمين عندما كانوا على مستوى خطاب التكليف القرآني : وعياً وإدراكاً وحركة ، استطاعوا أن يكونوا شهداء على الناس ، ويقدموا من الإنجازات الكبيرة في مجال العطاء الحضاري الإنساني المتوازن ما لم تستطعه أمة من الأمم ، ويمكننا أن نقول : إن الانتصارات الكبرى في القديم والحديث كان وعاؤها شهر رمضان إلى حد بعيد ، ابتداءً من انتصار قاعدة الإسلام الأولى وضمانة استمرار عقيدة التوحيد في (بدر) « اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض » وانتهاءً بالعصر الحاضر حيث لا تزال أقباس رمضان وانتصاراته تتكرر على مستوى الأفراد والجماعات ... وسوف نعرض هنا لبعض المواقف في غزوة الفتح المبين - صلح الحديبية - التي كانت بما ترتب عليها من فتح مكة المنعطف الكبير بعد بدر لتحويل الجزيرة العربية ، مهد الدعوة ، إلى الإسلام والانطلاق لقيادة البشرية ، ونحن في قراءتنا لهذه المواقف ، لا بد لنا من البدء من ساحة الأسباب والمقدمات التي قادت فيما بعد إلى فتح مكة ، ومن ثم الانتهاء إلى النتائج التي أدت إليها هذه الأسباب ، حيث لا يمكن الكلام عن غزوة فتح مكة دون الوقوف عند غزوة الفتح المبين ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ (الفتح : ١) في غزوة الحديبية أو صلح الحديبية ، وسوف لا يعنينا كثيراً هنا السرد التاريخي للأحداث إلا بالقدر الذي نحتاج إليه في إبراز الموقف ، أو كشف بعض ملابساته علّنا نصل إلى النتائج المأمونة التي تشكل دليلاً لمسلم اليوم يستهدي بها ، وتكسبه البصيرة فيدرك الصواب في عمله الإسلامي ودعوته إلى الله ؛ والعودة لاستلهام السيرة النبوية ضرورة حتى لا تضل الفهوم ، وتجنح الممارسات ، وتتجاوز البدهيات الشرعية تحت عنوان « مصلحة الدعوة » فلقد قتل بعض الخوارج علياً رضي الله عنه تحت عنوان « مصلحة الإسلام والمسلمين » !! ونسارع هنا إلى التحذير مما وقع فيه بعض المسلمين تاريخياً ولا يزال يقع فيه بعض العاملين للإسلام اليوم من وجود أمور وعلاقات اجتماعية وأحلاف تقرر مسبقاً ، وقد لا يكون للإسلام فيها نصيب ، ثم يأتي دور السيرة النبوية متأخراً ليضفي صفة المشروعية ويقدم صيغة المبررات والمسوغات سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات والحكومات في صلحهم وتحالفاتهم ومعاهداتهم ... حيث إن صلح الحديبية الذي أبرمه الرسول ﷺ مع قريش يستخدم اليوم مظلة لكثير من التعاهدات والتحالفات التي ما تزال آثارها تشهد عليها ، وقد لا يختلف كثيراً هنا دور فقهاء الظلم والاستبداد السياسي عن دور بعض الفقهاء والعلماء الذين أصيبوا بداء التعصب الحزبي من الذين غادروا المبادىء إلى تسويغ بعض العهود لتحقيق المصالح ...

والمعروف من أخبار هذه الغزوة أن الرسول ﷺ بعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بست سنوات من المواجهة الداخلية مع المنافقين ، والخارجية مع الكافرين قرر العمرة وزيارة البيت الحرام ، فأحرم بالعمرة مع أصحابه وساق الهدي وأعلن أنه إنما جاء معظماً للبيت ، يريد زيارته ولا يريد قتالاً ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً . فقال الرسول ﷺ : « يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ... فما تظن قريش ، فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » ثم استشار أصحابه في سلوك طريق غير الطريق التي هم بها ... وقد شق سلوك هذه الطريق على المسلمين حتى إذا كان الرسول ﷺ في ثنية المرار بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت . فقال : « ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم قال للناس : « انزلوا ... » وقد جرت بين رسول الله ﷺ وبعض من أرسلت قريش لقاءات ومفاوضات معروفة في مظانها من كتب السير والمغازي لا يتسع المجال لذكرها ولا بد من الرجوع إليها لاستكمال صورة الصلح وما أحاط به من ملابسات ...

ولعل من أهمها ، ما روى الزهري عن بعث عروة بن مسعود الثقفي حيث قابل الرسول ﷺ وتعرف على مجتمع المسلمين عن قرب ، ومن ثم رجع إلى قريش ، فقال : إني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد - ﷺ - في أصحابه ، لقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم

وقد دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف

قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ، ولكن أدلك على رجل أعزّ بها مني : عثمان بن عفان رضي الله عنه . فدعا عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته ... فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وأشراف قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقال أبو سفيان لعثمان : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ... فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قتل ، فقال : « لا نبرح حتى نناجز القوم » ودعا إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة التي كان لأصحابها فيما يروى مكانة أهل بدر من خصوصية الغفران والثواب ...

ثم أرسلت قريش سهيل بن عمرو ، فقالوا : إئت محمداً وصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً . فأتاه سهيل ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً ، قال : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ... » وبعد أن تكلما وتراجعا جرى الصلح بينهما ... فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال : « اكتب ، بسم الله الرحمن الرحيم » قال سهيل : لا أعرف هذا ، اكتب ، باسمك اللهم . فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه : « اكتب ، باسمك اللهم » فكتبها . قال : « اكتب ، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله - ﷺ - سهيل بن عمرو » قال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، لكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله ﷺ : اكتب ، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على :

- وضع الحرب عن الناس عشر سنين .
- من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه يرده ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه .
- وأن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعة ، فقالوا : نحن في عقد محمد ؛ وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن في عقد قريش ...
- وأنك ترجع عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ، فأقمت فيها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب : السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها ...

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، فلما رأى سهيل ابنه قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ، وقال : يا محمد ، قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، فجعل ينتره بتلبيبه ويجره ، يعني يرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنوني في ديني . فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم ... » .

وسوف نعرض هنا لبعض القضايا والمواقف في غزوة الفتح المبين هذه :

قضية الشورى : لا على أنها إحدى مقومات نظام الحكم في الإسلام ، وإحدى سمات وخصائص المجتمع المسلم فحسب ، حيث رافقت مجتمع المسلمين في خطواته الأولى ، قال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى : ٣٨) والآية مكية ، وإنما من حيث إنها ملزمة للحاكم المسلم ، وقائدة المجتمع المسلم إلى الصواب ، ذلك أن الاستدلال على عدم إلزاميتها من موقف الرسول ﷺ في صلح الحديبية بعد أن كان ما كان من موقف عمر رضي الله عنه ، ورأي الصحابة رضوان الله عليهم ، فيكفي لنا هنا إيراد قول الرسول ﷺ عندما خلأت ناقته في ثنية المرار ، فقال الناس : خلأت قال : « ما خلأت وما هو بخلق لها ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ... » ويمكن أن نلمح ذلك أيضاً من موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما جاءه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستنكراً ما حدث ، فقال له أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزه ، فإني أشهد أنه رسول الله ؛ وعندما رد رسول الله ﷺ على عمر رضي الله عنه بقوله : « أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعني » .

فالقضية هنا لا مجال فيها للشورى ، حيث أمر الله ووحيه نص ، إضافة إلى أن عمل الرسول ﷺ سنة ، وهو مستغن عن الشورى بالوحي ، والشورى اجتهاد الجماعة ، ولا اجتهاد في مورد النص ، ومجال الشورى إنما يكون فيما لا وحي فيه ... ولسنا بحاجة إلى التذكير بما أحدثه غياب المؤسسات الشورية ، وسيطرة فلسفة الاستبداد السياسي من مخاطر في المجتمع المسلم ، ومن أخطار في مجال العاملين للإسلام ، ذلك أن سيادة الشورى والالتزام بها هو المأمن الوحيد لحماية السفينة من الخرق ، والتي ما تزال تخرق ويتكرر اللدغ من الجحور المختلفة

غزوة الفتح المبين

تحت عنوان أن الشورى معلمة وليست ملزمة .. وفي اعتقادنا لو أن الصحابة رضوان الله عليهم فهموا أن الشورى معلمة وليست ملزمة لاكتفوا بتقديم الرأي وينتهي الأمر ، لكن الإصرار والمتابعة وتحرك عمر لإقناع الصديق وغيره رضي الله عنهم جميعاً دليل على أن الأمر يثمر الإلزام إذا لم يكن هنالك نص ...

والقضيــة الثانيــة : إن علاقة الصحابة مع رسول الله ﷺ كانت طبيعية للغاية ، كان الحوار وكان تعدد وجهات النظر حول القضية الواحدة يبلغ أبعد مدى ممكن ، « ألست برسول الله ؟ ألسنا بالمسلمين ؟ فلماذا نرضى الدنيّة في ديننا ؟ » إلا أن ذلك ما كان لينتهي إلى الخلاف والخصام والاصطدام ثم الافتراق ... صحيح أن مجتمعهم القدوة وعلاقاتهم تميزت على واقع المجتمعات البشرية جميعاً حيث تحطمت في هذا المجتمع صورة كسرى في ملكه ، وقيصر في حكمه ، والنجاشي في مملكته ، إلا أنهم بشر تربوا في مدرسة الرسول ﷺ ، والمبالغات الكثيرة حول حياتهم التي قد تخرج بهم عن بشريتهم يخشى أن تساهم سلبياً في نقل الدعوة الإسلامية من مجال الواقعية وإمكانية التطبيق ضمن طاقات البشر إلى ضرب من الخيالية والأوهام ...

والقضيــة الثالثــة : إن الصلح ـ دون شك ـ كان في مصلحة المسلمين حتى أسماه الله تعالى « الفتح المبين » ولم يبق هذا محلاً للاجتهاد بعد نزول القرآن وظهور النتائج التي أدت إلى فتح مكة ونشر الإسلام ، على عكس رؤية بعض الصحابة أو معظمهم ، ذلك أن قريشاً بهذا الصلح اعترفت عملياً ، ولأول مرة ، بالوجود الإسلامي ، أو ما يسمى بلغة القانون اليوم : « الاعتراف الفعلي » وهذا مكسب كبير للإسلام .

القضيــة الرابعــة : لا شك أن هذا الاعتراف ، وما استتبعه من وضع الحرب أوزارها عشر سنوات أتاح الفرصة لكثير من الخائفين على أنفسهم من القبائل العربية للدخول في الإسلام ، ذلك أن الفرصة الحقيقية لانتشار الإسلام ، والوسيلة الحقيقية لنشره هي السلم ، أما الحرب وامتشاق الحسام فهي حالات خاصة تتحدد بالضرورة لدفع العدوان ، ولعل نظرة إلى العدد الذي جاء به الرسول ﷺ في عمرة الحديبية سنة ست للهجرة كان ألفاً وخمسمائة رجل ، والعدد الذي دخل فيه مكة فاتحاً سنة ثمان للهجرة كان حوالي عشرة آلاف رجل أو يزيد ، دليل كاف على ذلك ... وهذه الحقيقة لا ترتبط بفترة زمنية معينة ، وإنما هي سنة ماضية ، ولو ألقينا نظرة على خارطة العالم الإسلامي اليوم لوجدنا أن البلاد التي دخلها الإسلام فاتحاً لا تعدل خمس بلاد العالم الإسلامي ، ولا يزال الإسلام يكسب يومياً مؤمنين جدداً رغم ما يعاني العالم الإسلامي من ضعف واستعمار ....

القضيــة الخامســة : الرؤية الواضحة للمستقبل والتبصر بما ستؤول إليه الأمور من خلال المقدمات فقد تبدو ظاهرة عدم المساواة في : أن من جاء محمداً من قريش مسلماً بدون إذن وليه يرده ، ومن جاء قريشاً لا يردونه ، ذلك أن الذي يرتد عن إسلامه ويلتحق بقريش فلا حاجة لله به ولا حرص للمسلمين عليه .

القضيــة السادســة : التزام الخلق الإسلامي حتى مع الخصم ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة : ٨) فالغاية لا تبرر الوسيلة ، لقد جاء أبو جندل مسلماً يرسف في قيوده ، واستجار بالمسلمين ، ودخل عليهم في ذلك همٌّ عظيم حيث تقضي نصوص المعاهدة بردّه إلى قريش ، وهو ينادي : أتردونني يفتنني المشركون عن ديني !! فما كان من الرسول ﷺ إلا أن قال : « إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم ، فاصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً » لقد كانت هذه الأخلاق والعهود وراء إسلام سهيل بن عمرو وخالد بن الوليد اللذين كانا من عتاة قريش ، وغيرهم كثير ، وهذا مؤشر على أن عمليات التغيير التي ننشدها في المجتمعات سوف لا تتحقق إلا بالقدر الذي يتمتع به العاملون للإسلام بأخلاق الإسلام السامية ، ويمتلكون من صفات يفتقدها الآخرون ، ويشعرون أنهم بحاجة إليها ... الأخلاق التي تثير الاقتداء ، أما إذا كان العاملون للإسلام يحملون علل مجتمعهم نفسها فأنّى لهم التغيير ؟!

وبعــــد : فلقد أسمى الله تعالى صلح الحديبية وما ترتب عليه بالفتح المبين ، ذلك أن آثاره امتدت في أعماق التاريخ ، وشكلت منعطفاته الكبرى ، واعتبر ذلك تمهيداً لفتح مكة حيث دانت الجزيرة العربية بالإسلام لينطلق منها إلى العالم ، ففي بدر انتصر الإسلام وتأصلت عقيدة التوحيد ، وفي الحديبية انتشر الإسلام حتى عم الجزيرة وانطلق منها إلى العالم حتى كانت مكانة أهل بيعة الرضوان عند الله في سوية مكانة أهل بدر ، ولذلك شواهد كثيرة من أحاديث الرسول ﷺ ، من ذلك قوله : « لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية » ، وسوف نتابع الكلام إن شاء الله عن فتح مكة في العدد القادم ... □□

القرآن ومعطيات الفكر الإسلامي

بقلم : الدكتور محمد أحمد العزب

[١]

يشكل **القرآن الكريم** محور الحركة الإسلامية منذ البدء وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فكل العلوم الإسلامية نبعت من محيطه ، وكل الفتح الإسلامي تم تحت رايته ، وكل العبقريات الإسلامية تخرجت في ظلاله .

وقد عرف المسلمون **للقرآن الكريم** هذه الوضعية التاريخية المعجزة ، فأحاطوه منذ نزل ، بقلوبهم حباً وتأملاً عبادياً ، وبعقولهم بحثاً وتعمقاً تنظيرياً ، فكان لهم من ذلك كله هذا الرصيد الهائل الضخم من العلوم والفنون والمعارف في شتى منازع الفكر ومختلف الأبواب .

[٢]

والذين يتصورون أن حركة الفكر العربي كانت ماضية إلى غايتها التاريخية في ظل من حتمية التطور واندفاعه دائماً نحو الأرقى والأكمل ، حتى ولو لم يجيء الإسلام حاملاً بين يديه قرآنه العظيم ، **وَاهِمُونَ أَوْ هُمْ خَابِطُونَ** ، لأن ذلك قد كان يمكن أن يكون لو أن الإسلام جاء استطراداً طبيعياً لمسيرة الفكر العربي في اتجاهيه : **المادي والمعنوي** ، لأن احتمال الموافقة حينذاك كان يمكن أن يعطي احتمال الاستطراد التاريخي في الاتجاه نحو التطور الطبيعي ... ولكن الذي حدث قد كان شيئاً مغايراً تماماً ، **فالإسلام لم يجيء استطراداً طبيعياً للنمط الحياتي أو النمط الفكري الجاهلي ، بل هو على النقيض ، جاء مصادرة كاملة أو قل شبه كاملة لنوعية التعامل الفكري والحياتي في المجتمع العربي ، ربما باستثناء بعض الملامح الصميمية التي تمليها فطرة الخلق في بشرية البشر وإنسانية الإنسان** ... أما ما عدا ذلك فقد جاء الإسلام بنقيضه تماماً ليؤسس عالماً مغايراً في الكم والكيف ، وليبدأ من منطلق هذا الانقلاب الشمولي **حركة فكر جديدة** . توصل لعلوم جديدة ، وتقعد لنظرية جديدة ، وقد اتخذ من القرآن الكريم محور حركته في كل هذه الاتجاهات ، مما يؤكد على أن الإسلام بدأ بالفعل يعطي للفكر العربي مضموناً مغايراً وجديداً ويبدأ به رحلة إبداع وتنظير جديدة ، ويضع له وبه من العلوم النظرية والتطبيقية ما ينبىء عن إسلامية خَلْقِهَا وتشكيلها وتكامل وجودها الموضوعي ، بعيداً عن استطراد تاريخي متوهم يمكن أن يكون به امتداداً للمسار الجاهلي في جانبه العقلي أو جانبه العقائدي .

[٣]

وإذا قلنا : **إن القرآن الكريم بدأ هذا الفتح الفكري المسلم** ، فليس هذا القول نابعاً من تعصب عرقي أو عقائدي ، ولكنه تأمل موضوعي لظاهرة تاريخية فرضت حلولها على خريطة الواقع الحي ، وفسحت للمسلمين بها مكاناً عريضاً وعميقاً في مسيرة الفكر والإبداع الإنسانيين ، وجعلت من الحركة الإسلامية انعطافة بالتاريخ كله من مناطق العبودية والاجترار والتكرار ، إلى مناطق التفجر والإبداع والابتكار ، وهذا هو الحجم الحقيقي لأية ظاهرة أصيلة تنبع من صلابة نظرة كونية شاملة ، وليس هشاشة فكر عرضي خابط أو متردد بين الخبط والاستواء !!

[٤]

ولأن المسلمين قد عرفوا **للقرآن الكريم** كل هذا الدور الخطر في تشكيل ملامح الظاهرة الإسلامية ، فقد استقطبوه تأملاً ودراسة وتفسيراً ، **وحاولوا من خلال هذا الاستقطاب أن يلموا بجوانب إعجازه واكتنازه ، ولكن الأجيال الخالفة كانت تجد دائماً في القرآن مناطق لم تستوعبها جهود الأجيال السالفة ، وستجد كل الأجيال ـ دائماً ـ في هذا الكتاب المعجز الخالد ما يثير فكرها نحو مزيد من الإبداع والفكر ، وما يحرك عقلها نحو مزيد من التنظير والتأصيل ، سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً** .

[٥]

لقد لحق **النبي** ﷺ بربه والقرآن وديعة في صدور الرجال ، وفي عديد من الصحف المفرقة التي خطها كتاب الوحي ، وأحجم **أبو بكر الصديق رضي الله عنه** أن يقدم على ما لم يفعله **النبي** ﷺ من جمع القرآن وإثباته تعبداً وتحوطاً ، **ولكن فارس**

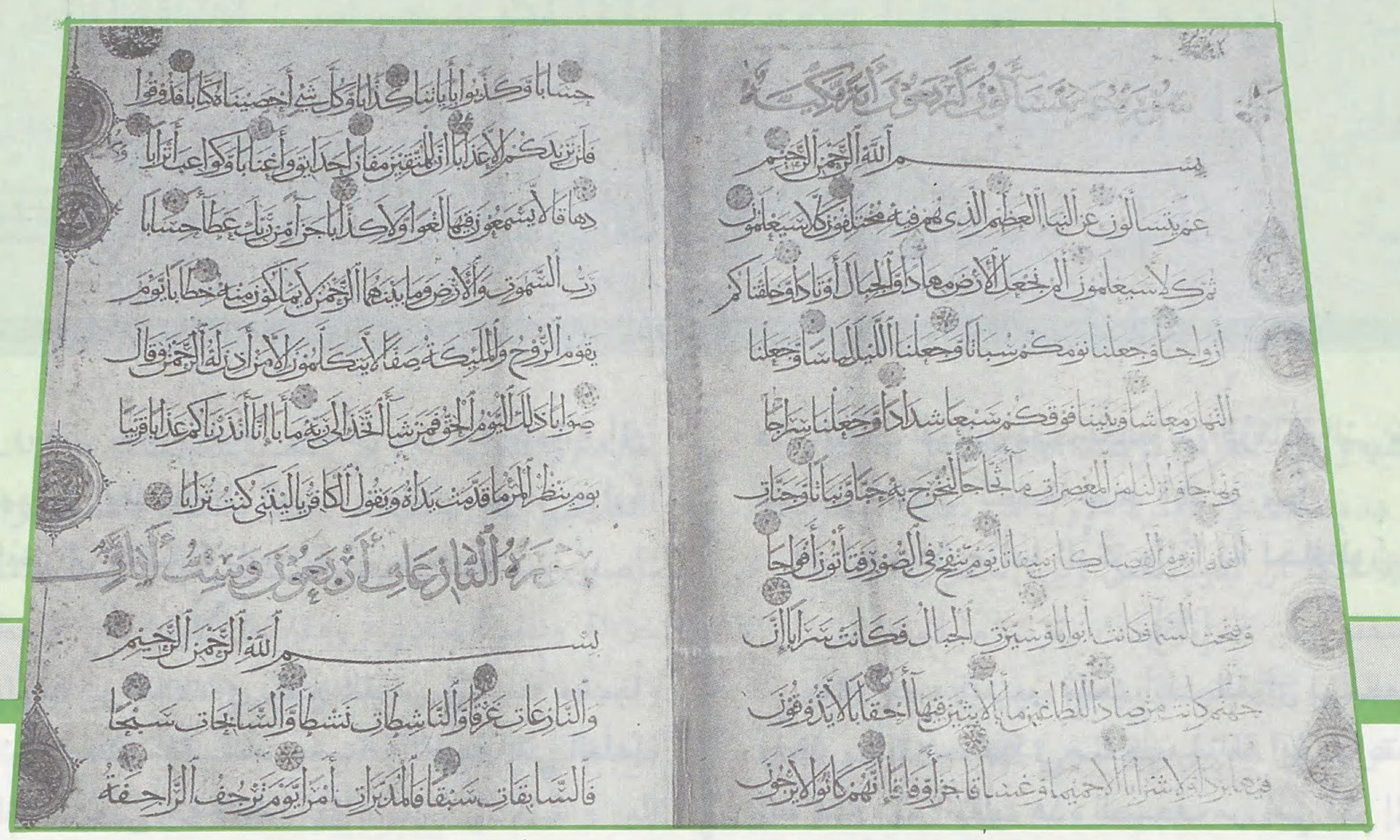

الفكر الإسلامي المقتدر ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه سار إلى أبي بكر ، وقد هاله كثرة القتلى من حملة القرآن في حروب الردّة الطاحنة ، وقال له : إن أصحاب رسول الله باليمامة يتهافتون تهافت الفراش في النار وإني لأخشى أن لا يشهدوا موطناً إلا فعلوا ذلك ، حتى يقتلوا ، وهم حملة القرآن ، فيضيع القرآن ويُنسى ، فلو جمعته وكتبته .. فنفر منها أبو بكر وقال :

أفعل ما لم يفعله رسول الله ؟ وتراجع في ذلك ؛ ثم أرسل **أبو بكر إلى زيد بن ثابت ؛ قال زيد : فدخلت عليه وعمر مسربل ، فقال لي أبو بكر : إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبيت عليه ، وأنت كاتب الوحي ، فإن تكن معه اتبعتكما ، وإن توافقني لا أفعل ، فاقتص أبو بكر قول عمر ، وعمر ساكت ، فنفرت من ذلك ، وقلت : تفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ ؟!! إلى أن قال عمر كلمة : وما عليكما لو فعلتما ذلك ؟ فذهبنا ننظر ، فقلنا : لا شيء والله ، ما علينا في ذلك شيء ، قال زيد : فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأدم ، وكسر الأكتاف والعسب .**

[٦]

وهذا موقف ينبىء عن اتجاهين أساسيين اعتصم بهما الفكر الإسلامي الرائد حيال محور حركته ، القرآن الكريم : **اتجاه محافظ .. يتحرج أن يفعل ما لم يفعله النبي ﷺ في حياته ، حتى ولو كان هذا الفعل حياطة القرآن الكريم من مظنة الضياع والنسيان .. واتجاه واقعي جسور يتحرج هو الآخر أن يشل إرادة نحو صيانة قرآنه ، حتى ولو لم يكن النبي ﷺ قد فعل مثل ذلك في حياته .. إلا أن ذلك يتم في إطار من موافقة السنة ولا يحيد عنها مجرد لحظة هنا أو هناك .**

وبعيداً عن جمود الاقتناع الذاتي بصواب اتجاه معين ، يتشاور الرجلان الجليلان حول محور القضية المطروحة ، ويبدي كل منهما رأيه في هدوء علمي جليل ، وحين يحسان أن المسافة بينهما لا تقترب ، يستدعيان كاتب الوحي ويطرحان أمامه القضية وموقف كل منهما حيالها ، ويطلبان إليه المشورة والرأي ، حتى إذا آنس الرجل من نفسه ميلاً إلى رأي دون رأي ، صدع به بلا مبالاة .. ولكن (**كلمة**) مقنعة من طرف ، تبدد غواشي التردد في نفس الطرف الآخر ، فإذا هو صادع للحق ، ماض إلى إنفاذ الرأي النقيض في بطولة فكرية رائعة ..

أما موقف **عمـر** في هدوئه العلمي الرصين فينبغي أن يكون أنموذجاً يحتذى في كل حوار على كل مستوى وفي كل اتجاه ، فقد ألقى إلى خليفته **أبي بكر** برأيه في القضية ، وظل معتصماً بأدب الجندي ، صامتاً في حومة الحوار الدائر بين الخليفة الأول وكاتب الوحي ، حتى إذا لاح له أن القضية توشك أن تتجمد بينه وبينهما ، لم يزد على أن قال : **وما عليكما لو فعلتما ذلك ؟** ويتسرب بهذه القولة الحكيمة إلى أعماق الرجلين معاً ، فيجدّان في إنفاذ ما أشار به ، وإمضاء ما رأى ورأيا من صواب .. وإننا لنحسبه قد خرج من مجلس الخليفة الأول وهو يتمتم بدعاء الشكر لله أن قيّض لرأيه مسافة في قلب صاحبه أتاحت لرأيه أن يخرج من عالم الحلم إلى عالم التحقق ..

[٧]

وإذا دل هذا التحوط المحاذر على شيء فإنما يدل على تحرج بالغ حيال هذا الكتاب المعجز الخالد ، وعلى إحساس حقيقي بإلهية هذا **القرآن الكريم** الذي تلقفه المسلمون بعقولهم وقلوبهم مطراً سماوياً جليلاً يخصب الجدب ويحول وجهة التاريخ ...

وقد تفيق حركة الإلحاد العالمي المعاصر على إيقاع مثل هذه الحقائق البادهة ، فلو أن طلائع الصحابة الذين عايشوا **النبي** ﷺ كانت تتسرب إليهم ذرة من الشك في إلهية القرآن لما أحسوا نحوه ، وقد لحق **الرسول** ﷺ بربه ، بكل هذا التحرج البالغ ، ولَبَدَا من بعضهم بصيص من جراءة ينفرد بها حتى في جمع هذا القرآن وتدوينه ، وهو الأمر الذي لا يضير القرآن ... إن هذا التحرج في أمر ظاهر الطهارة والبراءة ، من هذا النفر الجليل من صحابة **النبي** ﷺ وخلصائه يؤكد بلا حدود إلهية القرآن ، وإيمان الرعيل الذي عاصر وحيه وتلقّيه بأن محمداً لم

القرآن
ومعطيات الفكر الإسلامي

يكن سوى بشر رسول يوحى إليه ، ويحمل عن ربه كلماته إلى الناس ، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ولينتقل بهم من بداوة تاريخ دموي غليظ إلى حضارة تاريخ قرآني شفيف .

[٨]

وقد اصطنع **زيد بن ثابت** في جمع القرآن وتدوينه منهجاً علمياً بالغ الدقة والإحاطة ، فقد شعر بجسامة التبعة التي ألقاها **أبو بكر** على عاتقه ، حتى إنه قال :

(**فوالله لو كلّفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن**) . لقد عمد **زيد** إلى الحفّاظ يستنبئهم ويسمع إليهم ، وعمد إلى الرقاع والأكتاف واللخاف والعُسب يجمعها ويوازن بينها ، وعمد إلى ذاكرته هو وما وعته من حفظ القرآن عن **رسول الله** ﷺ في السنة الأخيرة من حياته يستحثها ويثيرها ، ثم راقب في يقظة كاملة حقيقة أن **أبا بكر** يحفظ القرآن ، **وعمر** يحفظه ، **وعلياً** يحفظه **وعثمان** يحفظه ، وكبار الصحابة يحفظونه أو يحفظون منه أجزاء كثيرة ، إلى جانب أن أربعة من الصحابة هو واحد منهم جمعوا القرآن على عهد **النبي** ﷺ ، وذلك فيما يرويه مسلم والبخاري عن أنس بن مالك أنه قال :

(**جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد**)

وقول **أنس** هنا لا يراد به أن هؤلاء الأربعة هم الذين حفظوا القرآن في عهد **النبي** ﷺ دون سواهم ، يقول **القرطبي** :

(**فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن : عثمان ، وعلي ، وتميم الداري ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عمرو بن العاص** ... فقول **أنس** : لم يجمع القرآن غير أربعة يحتمل أنه لم يجمع القرآن وأخذه تلقياً من **رسول الله** ﷺ غير تلك الجماعة ، فإن أكثرهم أخذ بعضه عنه ، وبعضه من غيره ، وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة هؤلاء جمعوا القرآن على عهد **النبي** ﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام ، وإعظام **الرسول** ﷺ **لهم**) .. بل إن آخرين كتبوا مصاحف بعضها كامل وبعضها غير كامل ، ومن هؤلاء : **عبد الله بن مسعود** .

كل هذه المصادر البشرية والوثائقية كانت تحت عين **زيد بن ثابت** وهو ينهض بعملية جمع القرآن الكريم ، وكان من غير شك يراقبها مراقبة محاذرة ، ويرجع إليها كلها أو بعضها كلما أشكل أمر أو استبهم طريق ، فإذا أضفنا إلى ذلك حتمية إيمان **زيد** ومراقبته الخاشعة لله ولذكرى رسوله ﷺ الذي كان **زيد** كاتب وحيه وأمين سره إلى زمن قريب ، أدركنا إلى أي مدى كان توثيق هذا الكتاب الخالد المعجز خالياً من الرّكاكة التي طرأت على توثيق غيره من الكتب تحقيقاً لوعد الله عز وجل :

﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ .

[٩]

وحين جمع **زيد بن ثابت** آيات القرآن لم يجمعها في مصحف واحد ، ولكنه جمعها في صحف مختلفة أودعها عند **أبي بكر رضي الله عنه** ، ثم انتقلت هذه الصحف من **أبي بكر** إلى **عمر رضي الله عنه** ، ثم إلى **حفصة بنت عمر** ، حتى إذا ولي **عثمان** رضي الله عنه أمر المسلمين بعث إلى **حفصة** في طلب هذه الصحف ، وعهد إلى جماعة من الصحابة منهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص بجمعها في مصحف واحد ، ونسخ منها نسخاً وزعها على الأمصار ، فأرسل منها إلى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة ، واستبقى في المدينة واحداً ، وهو مصحفه الذي يسمى **الإمام** ، وكان ذلك في **سنة خمس وعشرين للهجرة** .

[١٠]

واتفاق المؤرخين منعقد على أن ترتيب الآيات في السور كان واحداً في كل المصاحف التي جمعت قبل وفاة الرسول ﷺ والتي جمعت بعد وفاته ، وقبل أن يأمر **أبو بكر** بجمع القرآن ، أما جمع السور وترتيبها فقد ترك لاجتهاد الأمة وخلفاء النبي[1] ﷺ :

(روى ابن عباس : **قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم .. ووضعتموها في السبع الطوال ؟! فقال عثمان** :

« **كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة** ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر **بسم الله الرحمن الرحيم** ، ووضعتها في السبع الطوال) .

وإذن فترتيب الآيات في السور تم بتوقيف النبي ﷺ ، ولقد قبض وهذا الجمع تام معروف للمسلمين ، ثابت في صدور القراء والحفاظ .

ونصوص القرآن تؤيد ما سبق ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ **يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ**

● لم يأت الإسلام استطراداً طبيعياً للنمط الحياتي أو النمط الفكري الجاهلي ، بل هو على النقيض ، جاء مصادرة كاملة أو شبه كاملة لنوعية التعامل الفكري والحياتي في المجتمع الجاهلي ..

قليلا ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل : ١-٤) .

وآيات المزمل هذه نزلت في الفترة الأولى من بعث الرسول . فمطالبة النبي ﷺ فيها أن يقوم الليل ويرتل القرآن ترجح أن الآيات لم تكن مبعثرة من غير ترتيب ، وتؤكد ما قدمنا من أن ما كان يوحى إلى النبي ﷺ متصلاً بوحي سبق إليه كان الوحي يلحقه به ، وذلك قولهم إن جبريل قال للنبي ﷺ حين أوحي إليه قوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ : يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة »[٢] .

من هنا يتضح أن عمل **زيد** في الجمع والتدوين كان توقيفياً من جهة ترتيب الآيات في السور ، وأنه اكتفى بذلك في عهد **أبي بكر** فجمع السور في ألواح وعسب ولخاف ، وتركها هكذا حتى تم لها في زمن لاحق أن تأخذ شكلها الاستطرادي ، لعله زمن **عمر** أو زمن **عثمان** كما يقول العلماء على خلاف في ذلك بينهم .

[١١]

والذي يتأمل تاريخ الفكر العربي قبل الإسلام وبعد الإسلام ، يَرُوعُهُ ما يجد هناك من جدب فكري إلا بعض الإطلالات التي تلوح من خلال الحركة الشعرية الناشطة في الجاهلية ، وبعض من فلتات القول في حكمة تروى أو مثل يسير أو خطبة تذهب في الناس ... ثم ما يجده هنا من عطاء علمي وفني في كل اتجاهات الفكر والفن ، من علوم تتصل ببنية اللغة وحقائق التعبير ، أو علوم تتصل ببنية الكون وحقائق الأشياء ... فإذا حاول أحد أن يتلمس الحافز الحقيقي وراء هذا التحول الهائل وجده كامناً في القرآن الكريم : فهو الذي دعا إلى تأصيل علم القراءات حين استنفر قوماً من علماء الأمة إلى ضبط لغاته ، ومعرفة مخارج حروفه .. وإلى تأصيل علم النحو حين استنفر قوماً إلى معرفة المعرب والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وضروب كل أولئك .. وإلى تأصيل علم التفسير حين استنفر قوماً إلى شرح ألفاظه الدالة على معنى أو معان كثيرة ، أو شرح تراكيبه الظاهرة ، أو البعيدة .. وإلى تأصيل علم التوحيد حين استنفر قوماً إلى رصد ما فيه من أدلة عقلية وشواهد كونية على الوجود والوحدانية والخلود .. وإلى تأصيل علم الأصول حين استنفر قوماً إلى معرفة التخصيص والأخبار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والنسخ وأنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء .. وإلى تأصيل علم التاريخ حين استنفر قوماً إلى تأمل قصص القرون والأمم الخالية ودراسة أخبارهم وتدوين آثارهم ووقائعهم .. وإلى تأصيل علم الفلك حين استنفر قوماً إلى النظر في الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبروج .. وإلى تأصيل علم البلاغة حين استنفر قوماً إلى مصاحبة ما فيه من جزالة ونظم ومبادىء ومقاطع وتلوين في الخطاب ، وإطناب وإيجاز[٣] ... وإلى تأصيل علوم الطبيعة والكيمياء حين استنفر قوماً إلى ضرورة البحث في المادة وخواص الأشياء بما لفتهم إليه واستدعى اجتهاداتهم حياله .

وهكذا نرى أن علوم العرب ـ قبل القرآن ـ كانت مزقاً من الفكر لا تشكل نظرية في أي من الاتجاهات ، ولكنها ـ بعد القرآن ـ أخذت طريقها إلى التشكل في نظريات عديدة رَفَدَتْ العلم العالمي آنذاك بكثير من الاجتهادات الصميمة التي أضافت إليه وأخصبت مساره الواثق .. وحسب كتابٍ ما أن يعمل بكل هذه البطولة المعجزة في كل هذه الاتجاهات النظرية والتطبيقية ، وأن يخرج بأتباعه من حتمية التلقي والاحتذاء إلى حتمية العطاء والامتلاك ، وأن يكون كتاب هداية وعلم ومشرق إيمان وحضارة ، ونبع بلاغة وتأصيل .

[١٢]

يبقى أن نتأمل حركة اتجاهات الفكر المسلم في ظلال القرآن .. لماذا هي ؟ وكيف تشكلت ؟ وما هي خصائصها ؟ وما طبيعة المراحل التي مرت بها ؟ ومن هم أولئك الرواد الذين نيطت بهم بطولة العمل في كل واحدٍ من اتجاهاتها العديدة ؟ بكلمة واحدة : **ما هي معطيات الفكر الإسلامي في هذا المجال ؟** وسنرى أن حركة الفكر المسلم في ظلال القرآن من خلال تفسيره ، بعد جمعه وتدوينه ، تضع جهود العلماء المسلمين في مكانها الحقيقي على خريطة الفعل الإسلامي ، وتحدد بالتأكيد طبيعة الموقف العقائدي الذي صدروا عنه في هذا الاتجاه أو ذاك ، وتشير إلى الخط البياني الصاعد الذي يضيف فيه كل عصر إلى كل عصر ، وتضعنا نحن في إطار من حتمية الترقي إلى هذا الأفق الذي إن فاتنا طوق احتوائه كاملاً ، فينبغي على الأقل أن لا يفوتنا أن نتأمل روعته الحقيقية ، وأن نسبح في تيار بهائه بلا حدود !!

هـــوامش :

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن ـ للسيوطي ـ ج١ ، ص٢٠٢ وما بعدها .

(٢) الدكتور محمد حسين هيكل ـ الصديق أبو بكر ـ ص٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن ـ للسيوطي ـ ج٤ ، ص ٢٨ .

إعجاز التصميم القرآني

■■ يصرح القرآن الكريم بأن الخطة المثلى للانتفاع بآياته ينبغي أن تُدرك وفق أصل ترتيبه المنزَّل، وإحكامه المعجز، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٢) لأنه لو رُكِّب حسب ترتيب نزوله التاريخي لحصل خلل جسيم في أصل بناء وحدته الموضوعية؛ التي هي إحدى معجزاته الباهرة .. ■■

بقلم: محمد بدر الدين [بن حسن]

ترتيب القرآن الكريم بوحي من الله تعالى

يقول الإمام المودودي رحمه الله في مقدمة تفسيره:

« لو جُمع القرآن على الترتيب الذي نزل عليه؛ لما كان هذا الترتيب مجدياً ومفهوماً للعصور التي تلت عصر النبوة بدون أن يُضاف إلى القرآن تاريخ نزوله، وتاريخ الظروف التي نزل فيها كل جزء من أجزائه؛ كملحق للقرآن؛ الأمر الذي كان ينافي الغرض الذي شاء الله لأجله أن يُدوّن كلامه ويُحفظ في مصحف.

والله سبحانه وتعالى كان يريد أن يجمع كلاماً خالصاً نقياً لا تشوبه شائبة من الزيادات، ولا يمازجه كلام غيره، يُرتب على ما هو عليه من الإيجاز والإعجاز معنىً وصورةً لتتيسر قراءته لكل فرد من الأفراد: الصغير والكبير، الناشىء والكهل، الرجل والمرأة، الإنسان العادي والعالم الضليع، في كل زمان ومكان، في كل حال وواقع، وليدرك جميع الناس على الأقل - مهما اختلفت درجات عقولهم - ماذا يريد الله منهم وما لا يريده منهم؛ ومن الواضح أن لو أضيف إلى القرآن تاريخه المطول - وجعلت تلاوته أمراً لازماً مع تلاوة القرآن - لضاع هذا الغرض».

تهافت المسلك الاستشراقي

على أن المستشرقين وأتباعهم بسبب نزعتي التعالي والغرور، أو بسبب الجهل والخلط المقصودين؛ اعتقدوا أنهم بإثارة الشكوك حول منهج الترتيب القرآني إنما يكونون قد وجهوا ضربة قاصمة لمصداقية القرآن، وأصالته، وعلى سبيل المثال: يزعم (بلاشير) في كتابه حول القرآن أن التنظيم المعتمد في مصحف عثمان تسبب في إحداث خلل لا دواء له في الترتيب التاريخي للنصوص المنزلة على محمد ﷺ؛ لأن السور الطويلة موافقة للدعوة في المدينة بين سنة ٦٢٢ و٦٣٢؛ أما السور القصيرة والمتوسطة وهي نصوص من الفترة المكية على العموم فإنها ترد في نهاية المصحف، ولقد شذ عن ذلك السورة الأولى - الفاتحة - والتي تعد بضع آيات فقط، وهي مدانة بوضعها في مستهل المصحف في إقامة الصلوات، ويمكننا القول إننا نقرأ القرآن بتاريخ معكوس!؟..

إن هذا الكلام فضلاً عن كونه مجرّد وصف لتكوين المصحف وبنيته الخارجية؛ يتهرب من حقيقة النفاذ إلى صميم الموضوع المتعلق بوحدة القرآن الموضوعية، وتناسق آياته، ولا يلتفت إليها من قريب أو بعيد؛ لأنها بحق أحد أهم أسرار القرآن ووجوهه الإعجازية.

إن آيات الكتاب، ستكون وفق المقتضى الساذج الذي يطرحه (بلاشير)، مجرد سرد تاريخي لِجُل وقائع السيرة النبوية لا غير، وعلى سبيل المثال: لو سايرنا ذلك المنطق تصبح قراءتنا لسورة العلق على النحو التالي: قراءة الجزء الأول منها في صدر المصحف باعتبارها أول ما نزل من القرآن؛ أما بقيتها فإنا سنلتمسها في أواسط سور المصحف لأنها نزلت بعده ببضع سنين!؟..

ولاستجلاء مظاهر التناسب والإتقان في آيات القرآن يحسن أن نعمد إلى سورة منه نلتمس من خلالها روعة التصميم القرآني لتفنيد مزاعم الاستشراق وكشف

■ إن الإبـداع الكامل وتذوق ثمار القرآن إنما يتجليان في الحقيقة عند الكشف على روابط الآيـات وتتبعها الأخـاذ .. ■

أباطيله . ولتكن هذه السورة أول ما نزل من كتاب الله رب العالمين .

تطبيقات على سورة العلق

من المعلوم أن آيات هذه السورة تبلغ تسع عشرة آية هي أول ما نزل من القرآن بإجماع جمهور المفسرين - على أن الآيات الخمس الأولى منها نزلت في غار حراء بينما نزلت بقيتها في مقام آخر - ومن يقرأ صدر السورة وآخرها لا يشعر في الغالب بأن الفارق الزمني بينهما مهم وبعيد نسبياً . لقد تناولت الآيات الخمس الأولى رغم قصرها أغلب أصول العقيدة الإسلامية حيث تكفلت ببيان جميع الأجوبة الضرورية المتعلقة بالوجود وهي : تحديد أصل الإنسان ﴿ مِن عَلَقٍ ﴾ .

- التعريف بخالق هذا الإنسان وجميع الأكوان ﴿ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .
- بيان المطلوب الأول من الإنسان وهو العلم والقراءة ﴿ اقْرَأْ ﴾ .

وقد تكفلت السورة في شطرها الثاني ببيان وتحديد مرجع الإنسان ومصيره ﴿ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾ إلى جانب قضايا ومسائل أخرى ذات صلة عضوية كبيرة بمباحث الجزء الأول ، وهذا من صميم تناسب آيات الكتاب المقدس الجامع لكل دقة وإتقان تصديقاً لقوله تبارك وتعالى ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود : ١) .

إن الإبداع الكامل وتذوق ثمار القرآن إنما يتجليان في الحقيقة عند الكشف على روابط الآيات وتتابعها الأخاذ ، وإن ممارسة هذه العملية سرعان ما تقود بفضل الله إلى نتائج جد رائقة ؛ وعلى سبيل المثال يجد المرء حين يتابع آيات الجزء الأول معتمداً على قراءتين خطية ومحورية أنها تناولت بالتحليل والعرض جميع الأسئلة الوجودية الكبرى التي خاض غمارها الفكر الفلسفي على مر العصور مثل : مسائل نشأة الكون وحقيقة الإنسان ومصيره وعلاقته بما يحيط به من عوالم ، وقد أجاب القرآن عنها جميعاً في خمس آيات ! وعصارة هذا الكشف تصلح أن تكون - كما هو معلوم - أرضية فلسفية إسلامية تتناول معالم - الأيديولوجية الإسلامية - مستبعدة كل أنواع الجدل والتصورات الغريبة البعيدة عن جوهر الإسلام ، ويقاس على هذا المسلك كل الكشوف التي تستهدف استقراء آيات الكتاب للحصول على إجابات رائدة وأصيلة في مختلف وجوه الحياة ومسالك المعرفة ، على أن الجزء الأول من سورة العلق لم يقتصر على تأكيد وإبراز الحقائق المذكورة بل تعداها إلى وصف النوازع المكنونة في الذات البشرية باعتبار أن الإنسان محور الرسالة ومدار التكليف ، وقد اقتضى المنهج القرآني كشف مكامنه حتى تصله الرسالة في سلام ومعقولية ، وتتنزل في واقعه الطبيعي أحسن تنزيل ، وهذا وجه آخر من وجوه الارتباط والتناسب بين جزئي السورة .

إن سرد المعاني والأفكار جاء متتابعاً ومتعاقباً في سرعة وإيجاز في كامل نواحي السورة حيث تعلق المطلب الأول بقراءة الوحي المنزل قصد تمثله وتبليغه إلى البشر كافة ، ولكن من الناس من لا يتقبل هدى ولا يستجيب إلى خير ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴾ بل من طغيانه أنه ينهى عن الصلاح والرشاد ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْداً إِذَا صَلَّى ﴾ ؛ إن مصير الجبابرة والطغاة معلوم لا محالة وهو أن يُسحبوا من نواصيهم إلى النار في ذُلّ وانكسار ﴿ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ ولكن مسار الرسالة ينبغي ألا يتوقف أو يتعطل بسبب نماذج إنسانية تكفَّل القرآن نفسه بفضح عللها وعيوبها ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ .

توافق المقاصد والأغراض

إن هذا التعاقب السريع في بيان الأحداث ومعالجة الأفكار يكشف عن ميزة أخرى للخطاب القرآني ؛ تتمثل في قدرته العجيبة على جمع أشتات الكلام المتفرقة النزول زماناً ومكاناً مع اختلاف المقاصد والأغراض لتكون في نهاية الأمر سورة تامة الأطراف ، وكاملة المعالم .

وبعبارات أخرى : إنه يعانق ويهيمن على جميع الأحداث ويوزعها كيفما شاء ، ولكن بحكمة دقيقة بحيث تتنزل ضمن وحدات موضوعية تربط بين معالجة الحدث وتقويمه ، كما في الرد على - أبي جهل - في هذه السورة مقترنة بمعاني السورة الإجمالية وأغراضها العامة واجدة أنسب مكان في هندسة المصحف المتفرد .

إن هذا التخطيط والتصميم المزدوج ما هو إلا قطرة واحدة من بحر القرآن الزاخر الذي لا يمكن أن يصدر عن علم بشر ولكن أكثر الناس بآيات الله يجحدون .

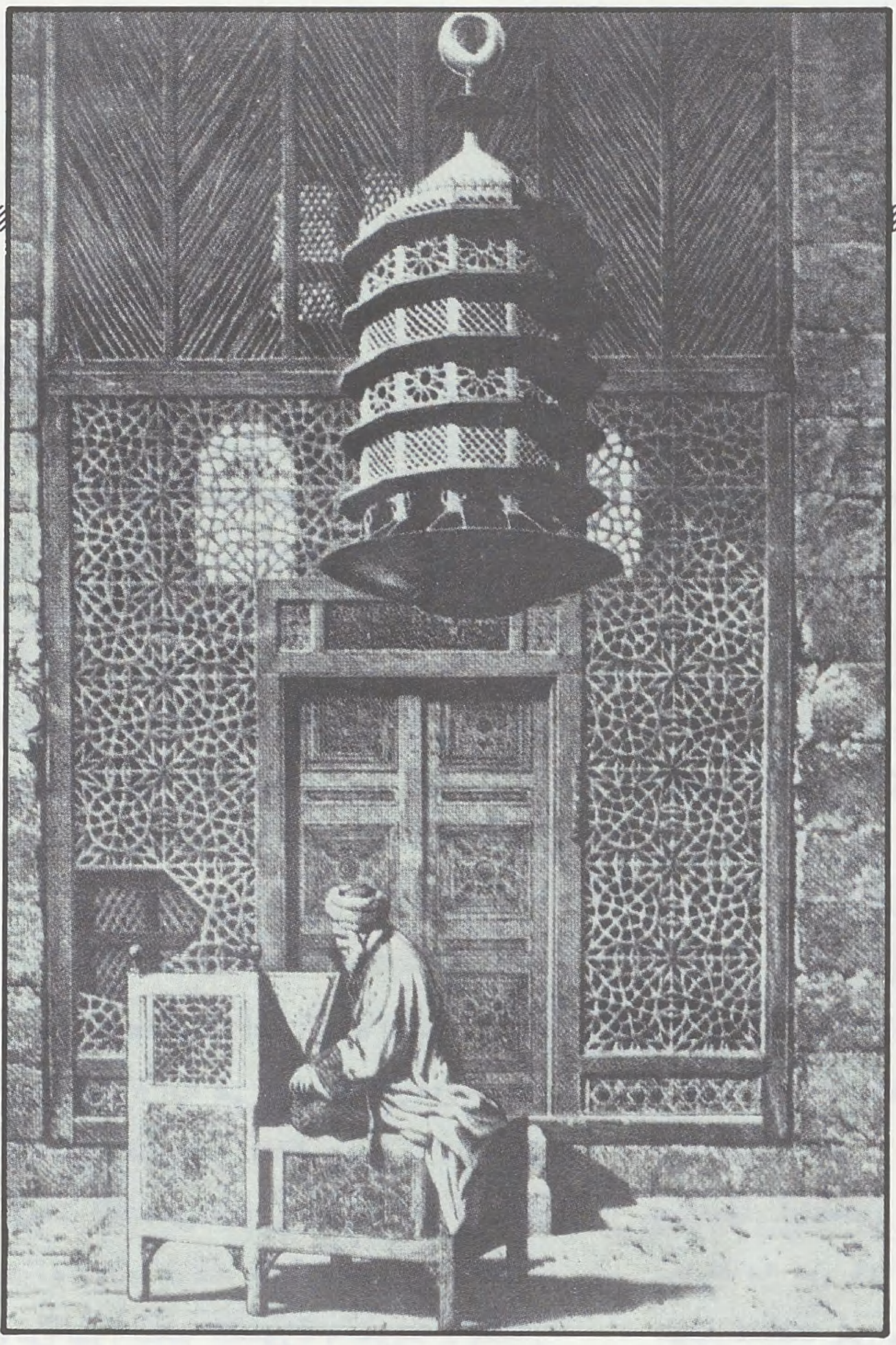

في رحاب شهر الصوم

■■ رمضـــان هو أحد الشهور العربية التي كان يعرفها العرب في جاهليتهم ، وقد روي في سبب تسميته بهذا الاسم ، أنه جاء في وقت قيظ قد انتهت منه حصباء الأرض ، فسمي رمضـــان من الرمضاء ، وهي شدة الحر ، وجاء في الحديث النبوي قوله ﷺ : « صلاة الأوابين حين ترمض الفصـــال » [صحيح مسلم] ... (والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة ، أي أن صلاة الأوابين تكون حين يحترق الفصال من شدة الحر) ■■

فريضـــة الصـــوم ..

فرض الله صوم رمضان في السنة الثانية من هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة بعد مضي ليلتين من شهر شعبان ، وكان صوم عاشوراء مفروضاً ، وصامه الرسول في مكة والمدينة ، فلما فرض صوم رمضان ، قال لهم رسول الله ﷺ : **« من شاء صامه ومن شاء تركه » [الشيخان]** .

وقد ثبتت فرضية الصيام بنزول قول الله عز وجل : **﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣)** وقوله تعالى : **﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... ﴾ (البقرة : ١٨٥)** .

وعلى هذا فقد أثبت الله صيامه على المقيم الصحيح ، أما المسافر والمريض فقد رخص لهما بالإفطار بقوله تعالى : **﴿ ... وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥)** ، **فإذا زال السبب فعليه القضاء ؛ أما المريض مرضاً لا يُرجى برؤه والهرم الذي** لا يطيق الصوم ، فله أن يفطر ويطعم بدلاً عن كل يوم ، مسكيناً لقوله تعالى : **﴿ ... وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ... ﴾ (البقرة : ١٨٤)** .

أما الحامل والمرضع فلهما أن تفطرا مع إطعام مسكين عن كل يوم فطر ثم عليهما القضاء بعد زوال السبب .

والصوم لغة هو : **الإمساك والكف عن الشيء** .

وشرعاً هو : **الإمساك عن المفطرات « من طعام وشراب وملامسة جنسية » من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع نية الصوم احتساباً لله ، وهو فرض عين على كل مكلف صحيح** .

ترهيـــب وترغيـــب ..

وضع الإسلام منهاجاً قوياً لتربية المسلمين في شهر رمضان ، فهو مرة يأتي بالترهيب كأسلوب لهذه التربية ، فيأمرهم بالابتعاد عن مواطن الشر والزور والسوء ، لأنها مفسدة للصوم مضيعة للأجر ، فعن هذا الأسلوب نقرأ قول الرسول ﷺ : **« من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » [الشيخان] وقوله : « الصوم جنة**

بقلم : سعد صادق محمد

فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم » [الشيخان] .

ومرة يأتي بالترغيب كأسلوب لهذه التربية الربانية فيبشر العبد الصائم بالرحمة والعفو وغفران الذنوب ، وبما أعده الله له من مقام كريم في الجنة ، وعن هذا الأسلوب نقرأ قول الله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٨٣ ـ ١٨٤) .

وفي هاتين الآيتين نلمح ترغيباً من الله ، ففي الآية الأولى ينادي الله المؤمن ويرغبه في الإقبال على الإيمان بقوله **﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾** .

وفي الآية الثانية يرغّب الله المؤمنين في الإقبال على الصيام للحصول على الخير بقوله **﴿ ... وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾** .

وجاء لفظ : لعل في الآية الأولى **﴿ ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾** لإعداد النفس وتهيئتها لتقوى الله والمراقبة وتربية الإرادة ، وذلك للحصول على الخير في هذا الشهر .

ومن أسلوب الترغيب أيضاً قول الرسول ﷺ :

« من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » [الشيخان] وما جاء في الحديث القدسي :

« كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، والصوم جنة » [الشيخان] .

فإذا أخلص المؤمن النية في صومه ، أقبل عليه بحق وصدق وحينئذ يجني ثماره ، من تزكية للقلب ، وتصفية للنفس ، وتهذيب للروح ، وحصول على الرحمة والمغفرة والرضى ...

الصــــوم جُنَّــــة ..

ونلاحظ أنه قد ورد في الحديث عبارة « ... **والصوم جُنة** » والجنة هي الستر والوقاية .. فالصائم طوال هذا الشهر يرتفع بنفسه عن عالم المادة ومطاوعة الشهوات ، ليكون في صحبة ربه الذي يربيه في هذا الشهر بهذا المنهج القويم والسلوك المستقيم ، إنه يرتفع بإنسانيته وروحه إلى عالم طيب كريم ، فهو في جنة عن المحرمات والمنكرات ، يحفظ جوارحه من الآثام فينزه لسانه عن الكذب والنميمة والصخب ، ويغض بصره عن النظر إلى الحرام ، ويمنع سمعه عن اللغو ، ويده عن كل فعل منكر .

ثم إذا تطاول عليه أحد من المتظاهرين بالصيام اعتصم بقوله « **إني امرؤ صائم** » أي إني أعيش مع ربي ، بعيداً عن السباب والفسق والصخب وكل ما يوجب غضب الله ، فالصائم يقضي نهاره صابراً على الشدائد ، متسلحاً بمراقبة الله وخشيته ، بعيداً عن الصخب والمساءات .

أما ليله فإنه يقضيه في صلاة وذكر لله كما كان يفعل رسول الله ﷺ . حيث كان يلقاه جبريل في كل ليلة من ليالي رمضان فيدارسه القرآن ، أي يقرأ كل منهما مرة ، والآخر يستمع له ، وذلك لتثبيت الحفظ .

فإذا عاش المسلم على هذا النحو القويم في هذا الشهر ، تحققت فيه حكمة الله في التعبد بالصوم ، وكان صومه مدداً قوياً أصلح به نفسه ، وتزود بالإيمان والتقوى ، وكان جديراً بأن يفرح ويتحقق فيه ما جاء في الحديث القدسي :

« ... **فإذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه** » .

ولقد عاش سلفنا الصالح في هذا الشهر على هذا المنهج الهادي والمنحى السليم فكانوا يخرجون من صيامهم ، وقد تزودوا بمنافع عظيمة من الإيمان والتقوى ، والخير .

خصـائص شهـر رمضـــــان ..

ولقد امتاز شهر **رمضـــان** على غيره من الشهور العربية بعدة خصائص ، جعلت له في نفوس المسلمين مكانة عظيمة ، ومن أجل هذا يستقبلونه كل عام بمزيد من الاهتمام والحفاوة والتقدير .. ومن خصائص هذا الشهر :

(١) أن الله قد اختاره لإنزال القرآن الكريم فيه ، فيقول تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة : ١٨٥) .

فقد نزلت الآية الأولى في ليلة القدر من هذا الشهر على **رسول الله ﷺ** وهو يتعبد في غار حراء بعيداً عن جاهلية قريش ومفاسدهم وخرافاتهم ، نزلت عليه بقوله تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ (العلق : ١ ـ ٤)

وقد حازت الليلة التي أنزل فيها القرآن على صفتين عظيمتين :

● **الأولى** :

وصفها بليلة القدر في قوله عز وجل :

﴿ إِنَّـا أَنْزَلْنَـاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (القدر : ١) . والقدر هو : **الشرف وعلو المكانة** .

● **الثانيـــة** :

وصفها بالليلة المباركة في قوله تعالى :

﴿ حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَـةً مِنْ رَبِّـكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الدخان : ١ ـ ٦) فرمضان هو الشهر الذي وضعت فيه اللبنات الأولى في بناء الدستور الإلهي الذي أراد الله أن يرحم به أهل الأرض ، وأن يخرجهم به من ظلمات الجهل والخرافات إلى نور المعرفة والحق والتوحيد .. وأن يكون نظاماً هادياً ، ومرشداً لهم في حياتهم الدنيوية ، ويحقق لهم به النجاة في الآخرة .

أجل ... نزل القرآن في هذا الشهر يحفظ على الإنسان إنسانيته ، وينفي عنه كل ما ران على هذا الوجود من عوج وانحراف بسبب التقليد الأعمى ، وجمود الفكر وسيطرة الخرافات ، وانتشار الدجل والأوهام .

من أجل هذا كان **رمضان** مناسبة طيبة للقيام بواجب شكر الله عز وجل على نعمة إنزال القرآن .. نعمة الهداية الإلهية .. نعمة تصحيح مسار حياة الإنسان على الأرض بعد أن اضطربت وانحرفت واعوجت .

في رحاب شهر الصوم

ولقد جعل الله شكره على هذه النعمة بعبادة من أحب العبادات إليه ، وهي عبادة الصوم التي أضافها إلى نفسه ، وجعل جزاءها موكولاً إليه ، كما جاء في الحديث القدسي :

« كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يترك طعامه وشرابه من أجلي » [الموطأ وابن ماجه] .

(٢) ومن خصائص هذا الشهر أن **الرسول** ﷺ ، سن لأمته قيام لياليه وإحياءها بالصلاة وتلاوة القرآن ، ورغب في ذلك وجعله كفارة لما تقدم من الذنوب وقد قال ﷺ :

« من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » [البخاري] .

وقيام رمضان ثماني ركعات ، يصليها المسلم ، ثم يوتر بثلاث ، فقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما كان يزيد **رسول الله** ﷺ في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً » [الشيخان] .

(٣) ومن خصائص رمضان ، أن فيه ليلة هي خير من ألف شهر « هي ليلة القدر » التي قال الله في شأنها : **﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا . بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (القدر : ١ ـ ٥) .**

فهذه الليلة ، إنما حازت هذا الشرف الكبير ، والمكانة العظيمة ، بسبب نزول القرآن فيها ، فما حدث في هذه الليلة أمر عظيم ، هز كيان البشرية كلها ، فأيقظها من سباتها ، وبعثها من جمودها ، وفتح أعينها على نور الحق والصواب والتوحيد ، وهداها إلى صراط الله المستقيم ، فحق لهذه الليلة أن تفخر على الليالي جميعاً ، بما اشتملت عليه من خير وبركة ومنزلة وشرف ومكانة ، وأن تكون هي الليلة التي ينشط فيها المسلمون أكثر من غيرها لالتماسها ، رغبة فيما أعده الله لمن صادفها من الأجر العظيم ، والغفران الكبير ، ومن أجل هذا كان الرسول ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، إلى أن فارق الدنيا ، وأمرنا بتحريها والتماسها في الوتر من العشر الأواخر ، وقال عنها : **« من اعتكف إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » [البيهقي] .**

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

« إن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده » [الشيخان] .

(٤) ومن خصائص رمضان ، أنه شهر النصر والظفر والتمكن ، وإعلاء كلمة الله ، فأكثر المعارك الفاصلة في حياة الدعوة الإسلامية ، إنما وقعت في هذا الشهر ، وأولى هذه المعارك **« غزوة بدر الكبرى »** التي

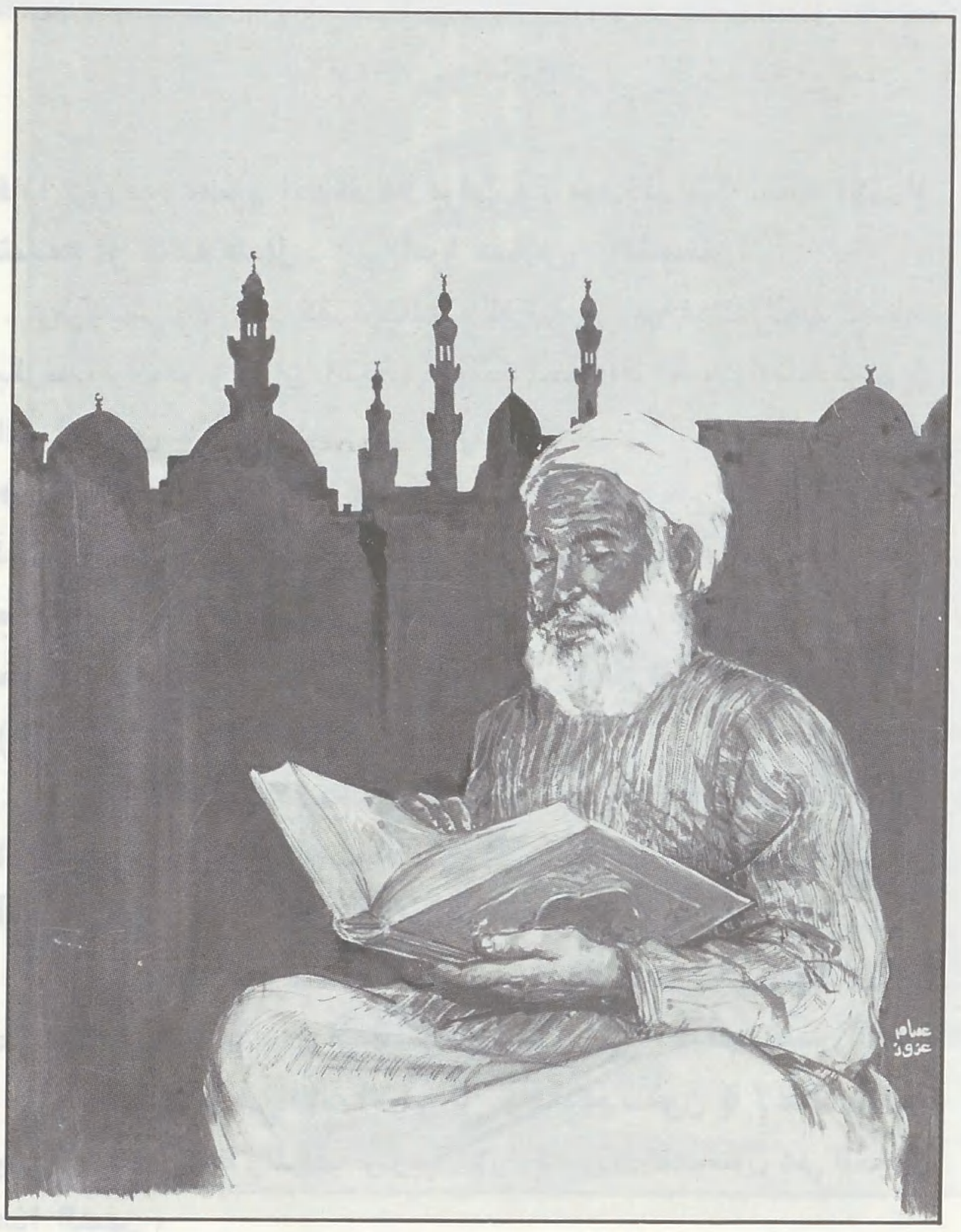

سماها الله فرقاناً ، وجعلها آية على تأييده ومساندته لنبيه ﷺ وللمؤمنين ...

وكان فيه فتح مكة .. ذلك اليوم الأغر المحجل الذي استخذى فيه الشرك وانحدر فيه الباطل ، وألقى فيه المشركون السلاح ، وأسلموا القياد بعد طول تمرد وعناد ، ودخل **رسول الله** ﷺ مكة دخولاً لم يدخله أحد قبله ، فدخل المسجد الحرام الذي بناه أبواه إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، وحطم ما كان يعلوه ويحيط به من الأوثان والأصنام ، وأخذ يطعنها بقضيب في يده فتخر صريعة على وجهها ، وهو يتلو قول الله تعالى :

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ (الإسراء : ٨١) .

وهناك وقائع أخرى كثيرة حدثت في شهر رمضان ، وعاها التاريخ ، وكان لها أكبر الأثر في عزة الإسلام ، وعلو مكانته وانتشاره ، منها : الموقعة التي كانت بين المسلمين والتتار والتي سميت بوقعة **« مرج الصفر »** وفيها انتصر المسلمون على جموع التتار انتصاراً ساحقاً ماحقاً ، وكان شيخ الإسلام **ابن تيمية** ممن حضر هذه المعركة وأبلى فيها بلاءً حسناً .

وبعد .. فلا غرو إذا كان شهر رمضان هو شهر الانتصار المادي والمعنوي فهو انتصار على الأعداء من المشركين ، وهو انتصار الروح على الجسد ، والعقل على الهوى ، والإرادة الحرة على شهوات النفس ، ونزغات الشياطين .

إن المؤمنين الصادقين يستقبلون **رمضان** ، وهم يحملون في قلوبهم هذه الذكريات العزيزة والأحداث العظيمة ، راجين من الله سبحانه أن يخرجوا من صيامه بمغفرة ورحمة بعد أن يوفقهم لحسن صيامه وقيامه ، حتى يكون حجة لهم يوم القيامة .. والله ولي التوفيق .

نفسيات كشف غطاءها القرآن

بقلم : الدكتور محمود بن الشريف

■■ إذا كان هناك عديد من الأدلة على الإعجاز القرآني ؛ فإن من ألوان الإعجاز ذلك المنحى النفسي الذي كشف به القرآن عن دخائل النفس البشرية فعرّاها ، وأبانها ، وشخّص خصائصها وما اتصفت به من خير أو شر ، وإيمان واطمئنان ، أو نفاق وظلم ونكران . ■■

نماذج من النفوس البشرية كشفها القرآن الكريم

يُشقّق القرآن دخائل النفس ومكنونات الضمير ، وأحاديث القلب وهمسات الوجدان ، وتصل بنا آيات القرآن إلى الأعماق فتظهر ما خفي ، وتكشف عما استتر ، وتُرينا ألواناً عدَّة ، وقطاعات ، وشرائح لنماذج نفسية متباينة ، وها هي ذي آيات كريمة تصل بنا إلى أغوار النفس البشرية وتُلقي الضوء على أبعادها ، فتكشف أقطارها : نفوس يحاط بها ، فتفرّ إلى الملجأ وتفزع إلى الملاذ ... ثم إذا تبدد ما ران عليها نضت عنها ثوب الخشوع .. وتنكرت وتنمَّرت !!

ونفوس لا تفترُ ولا تمل من طلب السعة ، ودوام النعم ، وامتداد أسباب الخير .. وإذا ما مسَّها شر أو ضر ارتدت إلى دياجير الظلام ، وآضت إلى أغوار اليأس وضباب القنوط .. ونفوس غير هٰذي وتلك ، نفوس مشرقة نيِّرة مع الله في كل آن .. دعاء وشكر في النعمة أو النقمة ... ودعاء وشكر عند المنح وعند المنع .. ودعاء وشكر عند الرِّفْد وعند الرفض .. لم يلوث صفاء قلوبهم حرمان ، ولم يبطرهم جزيل سيب أو كبير عطاء .

يصور القرآن العظيم كل هذه الحالات النفسية ، وينير لنا جوانبها ويبين دخائلها فيقول :

﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ .. ﴾ (يونس : ٢٣) .

سفينة تسري وتجري .. تسري بمن فيها وتجري بهم ، تدفعها ريح طيبة تبعث البهجة والفرح في النفوس .. وسرعان ما تلبَّد الجو واكفهرّ .. وغضبت السماء وأظلمت الدنيا ، وعوت الرياح ، واهتزت السفينة في يد الأمواج التي أحدقت بها من كل مكان .. وتبين لركاب السفينة نهايتهم .. ولاحت لهم الخاتمة .. ففزعوا إلى الله داعين إياه مخلصين له الدين في التضرع والدعاء ؛ إذ لا ملجأ منه إلا إليه ، وتضرعوا إليه بكيانهم وعاهدوه قائلين : لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين .. وحقق ربهم رجاءهم ودعاءهم فأنجاهم .. وما أن وطئت أقدامهم الأرض وأحسوا الأمان حتى عادوا سيرتهم الأولى ورجعوا إلى ما كانوا عليه ولم يفوا بالعهد ولم يقوموا بالشكر ، بل بغوا وطغوا وأفسدوا وجاروا ..

﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ

نفسيات القرآن
كشف غطاءها

كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (الانعام : ٦٣ ـ ٦٤) .

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً ، أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ثم لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلا ، أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴾ (الإسراء : ٦٧ ـ ٦٩)

﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ، ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (النحل : ٥٣ ـ ٥٤)

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ، إلا الذينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (هود : ٩ ـ ١١)

الفرح بالنعمة واليأس عند البلاء

الإنسان مطلبه النعيم ، ومبتغاه الإكثار من الخير ، يرنو إلى تمتيع نفسه وحسه وجسده بألوان اللذائذ وأسباب النعيم ، فإذا ما ناله الخير استبشر ، وسعد ، وتهلل ، وشاع الرضا والحبور في نفسه .. أما إذا مسّه ـ فضلاً عن أن يتمكن منه ـ ضر أو شر اسودت الدنيا في عينيه ، وملأ اليأس قلبه ، فهو يريد الحياة ضوءاً متلألئاً ، وسناء مُشعاً ، لا يشوبه ضعف أو خفوت .. ويرغب في كل شيء طامعاً أن يحلو ويخلو له كل شيء .. وإلا فاليأس يملأ عليه الشعاب ويسد عليه المسالك .

فإذا ما عفّت نعمة الله على آثار النقمة ، ومكّن الله له بتحقيق أمله واستجابة رجائه انتفخ وانتفش زاعماً أنّ ما يرتع فيه من خصب وخير إنما مردّه إلى جهوده الشخصية وجهاده الفردي وأنه استحق ما حصل عليه بفضل عمله وكده وجهده وجدّه ، ويغلو متخيلاً أن مكاسبه ستدوم ومنجزاته ستبقى .. ثم يسدر في تغاليه ومغالاته مؤكداً أن سعيد الدنيا هو سعيد الآخرة وأنه سيضم إلى ما معه في الدنيا الحسنى عندما يرجع إلى ربّــه :

﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى ، فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ، وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾

(فصلت : ٤٨ ـ ٥١) ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ (الفجر : ١٦) .

يقـول الإمام محمد عبده (في تفسيره لجزء « عم » ص ٨٢)

« وانت ترى احوال الناس إلى اليوم لا تزال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة ، فإن ارباب السلطة والقوة يظنون انهم في أمن من عقاب الله ولا يعرفون شيئاً من شرعه يمنعهم عملاً مما تسوق إليه شهواتهم ، وإنما يذكرون الله بالسنتهم ، ولا يعرفون له سلطاناً على قلوبهم . والفقراء الأذلاء قد صغرت نفوسهم عند انفسهم . فهم لا يبالون بما يفعلون ؛ فإذا ذكروا الله فإنما هي حروف واصوات لا تمتاز في منفعتها عن اصوات بقية العجماوات ..!! » .

تلك حالة الإنسان الذي لم يمتعه الله بعقل سليم ودين صحيح ، أما الذين أنعم الله عليهم بنعمة العقل والدين فأولئك الذين ترتقي إلى مثل حالهم مرتبة الإنسان ، فيفارقون تلك الغرائز الحيوانية الأولى ويصلون إلى المقام الذي لا تذهلهم فيه القوة ، ولا يشغلهم فيه الفقر عن مراعاة الحدود المعروفة فيما هو حق لهم أو عليهم ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ .

التحـذير من القنـوط . .

ويقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ، وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (يونس : ١١ ـ ١٢) .

هذه آيات قرآنية نفسية كاشفة تُرينا أن الإنسان إذا ما نزلت به الشدائد ووقع في المآزق ، وألفى نفسه بين رحى المصاعب التي تكاد تطحنه .. عندئذ تضيق الدنيا الواسعة في عينيه ، ويرى السبل الواضحة وقد انبهمت عليه ، ويسوّد العالم أمام ناظريه ، وتتأزم نفسه فتدفعه إلى الانهيار واليأس والاستسلام للأفكار السوداء ، ويستعجل الشرّ لأهله وذويه ، ويستعجل أيضاً نهايته لعلها تضع حداً لما هو فيه ، فيدعو على نفسه أو على أهله أو على ماله ، يدعو دعاء كله شر وكله غُرم وضيم .. ولو استجاب الله دعاءه لأهلكه وأباده وقضى على أهله وماله وولده ... ولكن الله العفو الغفور الحليم الرحيم اللطيف لا يستجيب لمن دعا على نفسه أو أهله رأفة منه على هذه النفس الضعيفة وشفقة على هذه النفس القلقة ؛ لانه خبير عليم .. خبير بأحوال الأناس عليم بنفسياتهم :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

القرآن حصن النفس بالحمد بكل ما يشيعه من أمان واطمئنان ورضى يجعله علاجاً للقلق ودواء للاضطرابات والقنوط .

ومن يتجه هذا الاتجاه اليائس ويتصرف هذا التصرف الأعمى ، فيدعو على نفسه حذَّره رسول الله ﷺ ، فيما رواه الحافظ أبو بكر في مسنده عن جابر قال : قال النبي ﷺ :

« **لا تدعوا على انفسكم ، لا تدعوا على أولادكم ، لا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم** » .

الجحــود بعــد زوال البــلاء . .

والإنسان من طبعه الجحود ونكران الجميل ، يتجاهل اليد التي امتدت إليه بالإحسان والمعروف ، ويضرب صفحاً عما أسدي إليه من خير وبر ، ويتنكر للشخصية النبيلة التي قدمت له طوق النجاة فدرأت عنه الشر ودفعت عنه الضرر ﴿ **قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** ﴾ هذا الإنسان لن يجد طريقه دوماً مفروشاً بالورد ، هيِّناً ليِّناً ناعماً إلى الأبد .. بل سرعان ما تتناوله الخطوب وتتناوله الأحداث وتنزل بساحته المصاعب والمصائب ، فإذا ما وقع في الكرب وأحاطت به الشدائد ووقفت في طريقه العقبات آنئذٍ يجأر بالشكوى ويجهر بالرجاء ، ويدعو ويتضرع ويبتهل ويتوسل وهو قلق حائر لا يرى باب الأمن ، ولا يهتدي إلى طريق الخلاص .

ويفصِّل القرآن تلك الحالة النفسية لذلك الإنسان الأول : ﴿ **وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ** ﴾ يدعو ويكثر من الدعاء في جميع حالاته .. يدعو في قيامه وقعوده . وفي صحوه يتوسل ويبتهل ويتذلل ويمد أكفَّ الضراعة لمولاه ليكشف بلواه ، وتسيح دموعه من مآقيه حتى يكشف المولى الكرب الذي هو فيه ، ويُلقي إليه مولاه طوق النجاة فيتشبث به ويتعلق بأهدابه ... حتى إذا ما انكشف الكرب وذاب المكروه وزالت الغُمَّة ووصل إلى مرفأ الأمان وتيقن السلامة أعرض ونأى بجانبه وذهب كأن ما كان به من ذلك شيء . هذه الزاوية الإنسانية تجلوها تلك الآية القرآنية : ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ** ﴾ .

وبعد أن أبان القرآن صنيع هذه النفس الناكرة للجميل التي لم تف بما تعهدت به إبان الشدة وبما قطعته على نفسها وقت المحنة من الرجوع والإنابة والعودة إلى الطريق .. بعد أن أبان القرآن ذلك كله ذمَّ هذا الاتجاه النفسي فختم هذه الآيات الكاشفة بقوله :

﴿ **كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾

النفــس المؤمنـــة المطمئنــة . .

أما النفس الخيرة ، المؤمنة ، التي رزقها الله الهداية والتوفيق والسداد والرشاد فإنها مستثناة من الوقوع في تلك الهاوية ، وهي بمنأى عن الانحراف ، وبمنجى عن المؤاخذة ؛ لأنها نفس مؤمنة صابرة ، نفس وفية نقية تقية تحقق الوعد وتنفذ العهد ، تدخل في عداد تلك النفوس الصابرة في البأساء الشاكرة في النعماء ، التي قال عنها رسول الله ﷺ : « **عجباً لأمر المؤمن ، وإن أمره كله لعجب : إن أصابته ضرَّاء فصبر كان الصبر خيراً له وإن أصابته سراء فشكر كان الشكر خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن** » .

وعن صور الوفاء بالعهد بعد أن جلا الكرب وزال المكروه ما ذكره محمد بن إسحاق عن عكرمة بن أبي جهل قال :

لما فتح رسول الله ﷺ مكة ذهب عكرمة فارّاً منها .. فلما ركب البحر ليذهب إلى الحبشة اضطربت بهم السفينة فقال أهلها : يا قوم ، أخلصوا لربكم الدعاء لا ينجي ها هنا إلا هو .. فقال عكرمة : والله لئن كان لا ينجي في البحر غيره فإنه لا ينجي في البر ايضاً غيره ، اللهم لك عليَّ عهد لئن خرجت لاذهبن فلاضعن يدي في يد محمد فلأجدنه رؤوفاً رحيماً . فكان كذلك .

أمـراض المدنية الحديثة ونعمة الحمد والرضى

والمدنية الحديثة بضجيجها وصخبها وماديتها الشرسة الجامحة وتكالبها المسعور المحموم قد بعثت القلق في النفوس وأورثتها أمراضاً أشاعت في الأجسام أسقاماً عزَّ علاجها ..

والطب الحديث بمبضعه السحري ونظراته وتجاربه قد تحير أمام أدواء النفس ، ولم تستطع عقاقيره أن تنفذ إلى الأعماق لتذيب ما تركز فيها من يأس ، وما شاع بين أنحائها من ألم نفسي صبغ الحياة بلون أسود فاحم !! والقرآن من قبل ذلك كلّه قد حصَّن النفس من أن يتسرب ظلام اليأس إلى أعماقها ويتمكن منها أخطبوط القلق بأنفاسه السامة ونفثاته المحرقة فشخص العلاج في أكسيره الناجع : **الحمــد** .. الحمد بكل ما يحمله الحمد من معنى ، وبكل ما يشيعه من أمان واطمئنان ، وبكل ما يشعه من رضا جعله علاجاً للقلق ودواء للاضطرابات والقنوط ، وأكسيراً يتجرعه المؤمن فيسكن الاضطراب ويسكت القلق ويسكب الاطمئنان بَرْده على المؤمن الحامد فيفيء إلى واحة فينانة من الرضا يستظل بظلالها ويتنفس الصعداء ويحس نسمات الأمن تهب عليه رخيَّة نديَّة .. وحمد الله دعاء فيه طمأنينة نفس تُزيل ما ترسب في الأعماق من اهتزاز عواطف أو جموح أحاسيس .. وحمد الله وقود روحي يصهر النفس ويزيل ما ران عليها من شوائب اليأس ويشحذ الأفئدة بفيض من أمل وأمن ورضا وتفاؤل وراحة روحية ، وبذا تغدو النفس هادئة مستقرة مطمئنة .

العبادات في الإسلام

مفهوم العبادة :

■■ ينصرف الذهن أول ما ينصرف - عند ذكر العبادات - إلى الصلاة والزكاة والحج والصوم ، وهو وهم شائع في أذهان المعاصرين حين نظروا إلى العبادات فحصروها في هذه الأركان ، وكان ذلك الحصر من آثار التبويب في الفقه الإسلامي والذي جاء متأخراً عن عصر نزول القرآن ، حين قسمه الفقهاء إلى فقه العبادات وفقه المعاملات .

والناظر المتفحص في آيات القرآن الكريم وفي حديث الرسول ﷺ يرى أن معنى العبادة معنى واسع شامل يندرج تحته كل ألوان النشاط الإنساني ما اتجه المسلم بهذا النشاط لله رب العالمين ... فالمسلم يستمع إلى قول الله تعالى مخاطباً نبيه : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦١ - ١٦٣) .

فالهداية إلى الصراط المستقيم أو إلى الدين القيم هو أن تتحول حياة المسلم بكل ألوان نشاطاتها إلى الله رب العالمين ... الصلاة والنسك والمحيا بكل جوانب المحيا وكل مظاهر الحياة ... حياة الشعور وحياة الفكر وحياة السلوك .. ■■

عن سعد بن فضالة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » [ابن ماجه] فكل عمل ابتغي به وجه الله فقد دخل في إطار العبادة ، وكل ما فقد النية الخالصة لله فقد خرج من دائرة العبادة إلى عمل مأزور لا أجر فيه ، يستوي في ذلك كل عمل .. فالصلاة والزكاة .. كالقتال .. كالتجارة .. إلخ .

استمع معي إلى قول الله تعالى في سورة التوبة :

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ (أي جوع) فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة : ١٢١ - ١٢٢) .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : - وكنا في غزوة تبوك - « إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم سيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض ، - وفي رواية - إلا شاركوكم الأجر ، [أبو داود والترمذي]

بل إن قوماً جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يشكون من أذى جارتهم ويقولون : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذي جيرانها ، فقال الرسول ﷺ : « هي في النار » .

والحديث الشريف يلقي ظلالاً على شمول الإسلام لكل وجوه النشاط العملي سواء ما كان من تعامل مباشر مع الله كالصلاة والصوم ، أو ما كان من تعامل مع الناس والذي يدخل في دائرة الأخلاق والسلوك الاجتماعي .. إنه لا انفصال في الإسلام بين المرء في صلاته وهو بين يدي الله ، وبين الخضوع لأمر الله حين يتعامل مع الآخرين .. ولا يفهمَنَّ فاهم أننا بذلك نقلل من قيمة الشعائر التعبدية أو نقول كما يقول بعضهم : العمل عبادة ، ثم يقومون بأعمالهم الدنيوية ويتركون الصلاة في موعدها أو يتركونها كلية ، فهذا كذب على الإسلام وسوء فهم للنصوص .. إن كل ما كان استجابة لأمر الله فهو عبادة وكل مخالفة لأمر من أمور الدين فهو خروج عن الطاعة وتعد لحدود الله التي رسمها لعباده ، فالمسلم تستوي عنده أوامر الله جميعها .. يستوي عنده قول الله : ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ويستوي عنده ﴿ آتُوا الزَّكَاةَ ﴾ كما يستوي عنده ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ... ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ فإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج طاعات ... والأمانة ورعاية العهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طاعات ... كذلك تستوي في نظر المسلم العابد كل صور المخالفة لأمر من أمور الدين ... فترك الصلاة معصية .. واحتكار أقوات الناس معصية .. والقعود عن مناصرة المظلوم معصية ... وسوء معاملة الزوجة والخادم معصية ... كلها معاصٍ يحذر المسلم الصادق أن يقع فيها .. بلا تمييز بينها أو تفريق ...

بقلم : عثمان محمد عثمان

مفهومها وأثرها في الحياة

الإسلام دين ينتظم الحياة بكل جوانبها . .

فالمسلم لا ينافق ولا يرائي ، ويوم يصلي مراءاة للناس لن يكون مسلماً صادقاً ، ويوم يتقرب للرؤساء نفاقاً ومراءاة لن يكون مسلماً صادقاً ، ولعلنا نذكر في وصف المنافقين أنهم يصلون ولكنهم أحبطوا صلاتهم بريائهم : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ** ﴾ (النساء : ١٤٢) .

ويروي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن ناساً قالوا له إننا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم به إذا خرجنا من عندهم . قال ابن عمر : كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ .

إن الإسلام دين الحياة يربط المسلم بربه ويرسم له منهجاً في الفكر والسلوك فلا يكون عابداً لله ما لم يلتزم بهذا المنهج ، فالصلاة ـ وهي صلة مباشرة بين العبد وربه ـ لا تكون مقبولة ولا صحيحة ما لم تترك بصماتها على سلوك المسلم وفكره ، إن الله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ... ﴾ فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فقد فقدت روحها وتخلت عنها صفة القداسة التي تربطها بالله رب العالمين .

ويمكننا أن نقول وقد استعرضنا كمّاً من الآيات والأحاديث : إن العبادة هي كل ما توجه به المؤمن إلى ربه ابتداء من النية وانتهاء بالعمل ... فالنية المتجهة إلى الله عبادة ، والعمل الذي أمر الله به عبادة ، والتزام الخلق الطيب ـ عندما نلتزمه اقتداء بالرسول ﷺ ـ عبادة ...

مصطلح العبادات والمعاملات . . .

إن إطلاق مصطلح العبادات على الشعائر وعلى ما يكون بين الرب والعبد من تعامل ، في مقابل إطلاق مصطلح المعاملات على ما يكون بين الناس بعضهم بعضاً جاء متأخراً عن عصر نزول القرآن ، وهذا التقسيم لا نجده في كتب الفقه القديمة .. والمتصفح لكتاب من هذه الكتب سيجد : « **كتاب الصلاة** » ، « **كتاب التجارات** » ، « **كتاب الجهاد** » ، « **كتاب النكاح** » ... إلخ .

فقد كانت هذه الكتب أو الفصول أو الموضوعات لا يندرج أحدها تحت عنوان العبادات ، ولا يندرج بعضها الآخر تحت عنوان المعاملات ، لقد كانت كلها أموراً يضمها إطار الطاعة لله والعبودية له سبحانه ، فمعنى العبادة مرسوم في ذهن المسلم وفي قلبه حين يتصرف بالعدل بين زوجاته وبنيه ، وحين يزن بالقسط في محل تجارته ، وحين يقيم الحق والعدل وهو حاكم يسوس رعيته ومحكوميه ، تماماً كما يتحرك تجاه المسجد ليصلي طلباً لمرضاة الله وتنفيذاً لأمره ، فهو حين يتعامل مع أبنائه يذكر قول الله سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ... ﴾ (التحريم : ٦) ، وحين يتعامل مع زوجته يذكر قول رسوله الكريم ﷺ : « **خياركم خياركم لنسائهم** » ، وحين يكون تاجراً يذكر قول رسوله ﷺ : « **التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة** » [ابن ماجه] ، وحين يمارس أمانة الحكم يذكر قول الله سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾ (النساء : ٥٨) ، وحين يجلس إلى مكتبه أو في مصنعه يذكر قول الرسول الكريم ﷺ : « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** » ... وهكذا يتحقق الانسجام بين ألوان السلوك جميعاً وتدور حول محور واحد لا تنحرف عنه ولا تحيد .

العبـــــادة والحيــــاة . . .

إن المسلم يعبد الله في حياته كلها .. يضع طاعته سبحانه نصب عينيه منذ أن يفتحهما أول النهار « **اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نمـوت وإليك النشور** » فإذا تهيأ للنوم لم ينس أن يستغفر وأن ينيب ولم ينس أن يتذكر الآخرة ، وأنه قد ينام النومة الأخيرة فيقول :

« **باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه فإن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين** » . فإذا خرج من بيته سأل الله أن يعينه على الطاعة وأن يجنبه الوقوع فيما يغضبه فيقول : « **اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أزل أو أُزل أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يجهل عليَّ** » ... **فإذا وقف بين يدي ربه في صلاته ردد قول الله في كل ركعة من صلاته** : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ ... وهكذا يتقلب المؤمن في معاشه ويتحرك في حياته عابداً لربه .. ذاكراً لخالقه ... منفذاً لمنهجه في كل حين .. وفي كل مكان ... في المسجد .. في البيت .. في المتجر .. في المكتب .... سواء بسواء ..

وبهذا المفهوم الشامل للعبادة تتحقق عبودية الإنسان لربه ، ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ وبذلك أيضاً تتحطم كل عبودية لغيره ، فترتفع الحياة عزيزة بالله شامخة ... وبهذه العبودية الخالصة لله يتحقق منهج الله في الأرض ويتحقق للبشر أكبر قدر ممكن من الخير ومن السلام والعدل .. في المجتمع الإنساني .. في مجتمع الإيمان .. أو مجتمع العابدين .

تعليق على نظرة جديدة للسلف

بقلم : عبد القادر بن محمد العماري

■■ قرأت ما كتبه الدكتور/ رفيق المصري في مجلة « الأمـــة » بالعدد [٣٩] بعنوان : نظرة جديدة للسلف ، هل يجوز السلم في التجارة ؟ » . وما كتبه الدكتور/ عبد الله العبادي بالعدد [٤٢] من المجلة تعليقاً على المقال .. وعلى الرغم من أن المقالين يبحثان في مسألة جزئية ثانوية في باب من أبواب الفقه الإسلامي إلا أن الذي لفت نظري هو اتجاه الكاتبين في بحثيهما وتناولهما للأسس التي تبنى عليها المسألة موضوع البحث مما يعتبر اتجاهاً خطيراً في مسيرة الأبحاث الفقهية المعاصرة ، وقد بدا لي أن الكاتبين الفاضلين وإن اختلفا في نتيجة بحثيهما في المسألة إلا أنهما عبّرا عن وجهة نظر متقاربة في أصول المسألة ، فالكاتب الدكتور رفيق المصري يرى عدم جواز السلم التجاري اعتماداً على حديث « حكيم بن حزام » عندما سأل الرسول ﷺ بقوله :

« يأتيني الرجل يسألني من البيع ما ليس عندي ، أبتاع من السوق ثم أبيعه ؟ فقال له رسول الله ﷺ : لا تبع ما ليس عندك » .

والدكتور العبادي يوافقه في وجهة نظره هذه حيث قال : إن حديث « حكيم بن حزام » نص في تحريم السلم في التجارة ولكنه أمكن الجمع بينه وبين الأحاديث الأخرى التي جاءت بجواز السلم كما نصت عليه كتب الفقه ، فإما أن تحمل الأحاديث الواردة في السلم على البيع المؤجل وحديث حكيم بن حزام على البيع الحال ، أي : أن السلم يجوز إذا كان مؤجلاً ولا يجوز إذا كان حالًا ، أو أن نفرق بين البيع والسلم فحديث حكيم بن حزام وارد في البيع وأحاديث السلم واردة في السلم ، لأن السلم غير البيع ، وإذا أطلق عليه فإنما هو من باب المجاز ... واستشهد الدكتور العبادي بما قاله ابن حزم في هذا الشأن .

والدكتور رفيق يرى أن كل الأحاديث الواردة في السلم إنما تعني السلم الزراعي والصناعي ، أما السلم للتجاري فإذا أردنا إباحته فعلينا أن نعتمد على اعتبارات أخرى : كالعرف والمصلحة ، ولا يرى الدكتور العبادي التفرقة بين السلم التجاري وغيره ولا داعي لاعتماد العرف أو المصلحة ما دام هناك نصوص تجيز السلم بأنواعه الثلاثة ، غير أنه يرى كما قال بعض الفقهاء : أن السلم قد جاء على خلاف الأصل والقياس ، وأنه مستثنى من بيع المعدوم ، أو بيع الإنسان ما لا يملك ، أو بيع ما لم يُخْلَق ... هذا ملخص ما جاء في المقالين .

الشريعـــة جاءت بالتيســـير ..

وقبل أن أدخل في مناقشة تفاصيل ما جاء في المقالين أرى أني في حاجة إلى التأكيد على أنه تنبغي إعادة النظر في كثير مما يعتبر من المسلمات عند بعض الفقهاء لأنها قد أصبحت أغلالاً منعت تحرك الفقه الإسلامي ، وعزلته عن حياة المسلمين ، وأن الأمر يتطلب من علمائنا المزيد من البحث بنظرة ثاقبة ، فلا يزال تراثنا الفقهي ينبض بالحياة وهو بحاجة إلى جهود الباحثين لينفضوا عنه غبار الزمن ، ليتحرك ويحرك حتى يتمكن المسلمون من السير على نهج الشريعة في معاملاتهم كلها ، وليس هناك فائدة من أبحاث وتقرير أحكام لا تقبل التطبيق العملي ، والتشدد والتعسف ليسا من الشريعة في شيء ، لأن الشريعة قد جاءت بالرحمة ، والتشدد والتعسف ينافيانها ... فالرحمة هدف الشريعة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

وجاءت الشريعة برفع الأغلال والآصار التي تثقل على الناس وتعجزهم عن الحركة ﴿ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ . فالاتجاه إلى التضييق على الناس والتكثير من الممنوعات والمحرمات يتعارض مع قاعدة أساسية في الشرع الإسلامي ، وهي : قاعدة رفع الحرج وأن الأصل في المعاملات الإباحة ، ولا يمكن أن يؤخذ برأي ابن حزم وأهل الظاهر ومن وافقهم على أن الأصل في المعاملات الحرمة إلا ما دلّ الدليل على إباحته ؛ فابن حزم وأهل الظاهر على الرغم من سعة إدراكهم في الفقه وقوة استدلالاتهم فإنهم في هذه المسألة ، أي : مسألة (أن الأصل في المعاملات الحرمـة) قد أخطأوا ، مما عد ذلك من هفواتهم وزلاتهم ... وقد جاء الإسلام وكانت للناس عقود يجرونها فيما بينهم ، كالبيع والهبة والإجارة والمضاربة والعارية وغيرها فأبقاها الإسلام ، وأبعد عنها ما يشوبها من استغلال محرم (الربا والميسر) ونهى عن بيوع كانت رائجة في الجاهلية لما فيها من الغرر والمقامرة وأكل أموال الناس بالباطل ، كبيع الملامسة والمنابذة ، وبيع الحصاة والمضامين والملاقيح .

وبيع السلم كان موجوداً أيضاً قبل الإسلام فأبقاه وأبعد عنه ما يؤدي إلى الخصومة والنزاع ، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما :

هل يجوز السلم في التجارة؟

قدم الرسول ﷺ المدينة وهو يسلفون في الثمار السنة والسنتين، فقال: «من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم».

وفي حديث آخر رواه البخاري وأحمد عن عبد الله بن أبي أوفى وعبد الرحمن بن أبزي قالا: (كنا نصيب الغنائم مع رسول الله ﷺ وكان يأتينا أنباط الشام فنسلفهم في الحنطة والشعير والزيت إلى أجل مسمى، قيل: أكان لهم زرع أو لم يكن؟ قالا: ما كنا نسألهم عن ذلك).

بيع المعدوم.

فالأصل في كل العقود: العدل، وهو الذي جاءت به الرسل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ومما كان له آثار سلبية عند الباحثين والفقهاء الملتزمين بالمذهبية، ويعتبر من المسلمات عند بعض الفقهاء: القول ببطلان بيع المعدوم. وكلما جاء نص في الشريعة بإباحة عقد من العقود ورأوا أنه يدخل في نطاق بيع المعدوم، قالوا: إنه جاء على خلاف القياس. وكأن ما يقاس عليه هو ما قرروه هم، لا ما قرره الشارع. فقالوا: إن السلم والإجارة والمضاربة والحوالة والمساقاة والمزارعة والقرض كل هذه العقود جاءت على خلاف القياس، وبنوا على هذا القول أحكاماً تُلغى بها كل العقود والمعاملات التي تأتي على منوالها، ولم يكن فيها دليل مستقل، فضيقوا على الناس في معاملاتهم، وألغوها من غير دليل شرعي من كتاب أو سنة.

والحق أن ما أثبته الشرع هو الأصل الذي يقاس عليه، وإنما يمنع استواء شيئين مع اختلاف حكمهما في الشرع، والعقود التي جاءت السنة بمنعها ليست العلة في المنع: العدم، بل لأنها غرر بذاتها، وقد جاءت السنة بمنع الغرر، وهو الذي لا يقدر على تسليمه سواء أكان موجوداً، كبيع الجمل الشارد أو السمك في البحر، أو معدوماً، كبيع ما ستحمله هذه الشجرة، إذ موجب البيع تسليم المبيع، فإذا كان البائع عاجزاً عن تسليمه فهو غرر ومخاطرة وقمار، وكذلك إذا كان لا يعرف وجوده ولا قدره ولا صفته؛ وقد أوضح لنا الشارع العلة في ذلك عندما نهى عن بيع الثمر قبل بدو صلاحه، فقال ﷺ: «أرأيت إن منع الله الثمرة أيأكل أحدكم مال أخيه بغير حق؟». فالبيع نفسه ليس هو الغرر، وقد غلط بعض الفقهاء عندما جعل العلة في النهي عن بيع الملامسة والمنابذة الجهالة وتعليق البيع بشرط، بل العلة واضحة وهي الغرر والمقامرة.

وليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ، ولا في كلام أحد من الصحابة أن بيع المعدوم لا يجوز، لا بلفظ عام ولا بمعنى عام والقياس الصحيح هو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين، مثل أن تكون العلة التي علق بها الحكم في الأصل موجودة في الفرع من غير معارض في الفرع يمنع حكمها، وأن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع (إعلام الموقعين) فالقول بعدم صحة بيع المعدوم هو الذي حمل الفقهاء على التوقف عن القول بإباحة كثير من العقود وانعكس ذلك على نظرتهم إلى عقود المقاولات التي أصبحت حاجة الناس إليها ماسة، وقد أجاز الحنفية عقد الاستصناع، وهو نوع من عقود المقاولات، وقالوا: إن القياس عدم جواز هذا العقد لأنه بيع شيء معدوم، فأجازوه استحساناً لعمل الناس عليه من غير نكير، ولحاجتهم إليه، كالسلم، وواضح أن تحفظات الفقهاء على عقود المقاولات هو بسبب قولهم بمنع بيع المعدوم، وحتى الحنفية الذين أباحوا الاستصناع لم يتوسعوا فيه بالقدر اللازم، وضيقوا العمل به بالنسبة لما تقتضيه حاجة الناس في مختلف العصور، وكأنهم لا يريدون أن يذهبوا بعيداً عن المذاهب الأخرى، ويقعوا في محذور بيع المعدوم.

أما حديث حكيم بن حزام (لا تبع ما ليس عندك) والذي هو قطب الرحى في هذا الموضوع والأساس الذي اعتمد عليه الفقهاء في القول بمنع بيع المعدوم، والذي فهم منه الكاتبان الفاضلان أنه نص في تحريم السلم التجاري، فأرى أن أحسن ما قيل في تفسيره هو ما أورده الإمام ابن القيم في (أعلام الموقعين) من أنه يحمل على معنيين:

● الأول:

أن يبيع عيناً معينة ليست عنده بل هي في ملك غيره ثم يسعى في تحصيلها وتسليمها إلى المشتري.

● الثاني:

أن يبيع مالاً يقدر على تسليمه وإن كان في الذمة وهذا أشبه لأنه ليس عنده حساً ولا معنى، فيكون قد باعه شيئاً لا يدري هل يحصله أم لا.. فالحديث يتناول أموراً

(١) بيع عين معينة ليست عنده.

(٢) السلم الحال في الذمة إذا لم يكن عنده ما يوفيه.

(٣) السلم المؤجل إذا لم يكن على ثقة من توفيته عادة.

تعليق على

نظرة جديدة للسلف هل يجوز السلم في التجارة؟

هل جاء السلم على خلاف الأجل ؟

أما القول : إن السلم قد جاء على خلاف الأصل والقياس . وإنه بيع معدوم .. إلخ ، فإن الإمامين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله يناقشان هذا القول ويردان عليه بأقوى الحجج والأدلة ، فيقولان : إن السلم دين من الديون ، كالابتياع بثمن مؤجل ، فأي فرق بين كون أحد العوضين مؤجلاً في الذمة وبين الآخر ؟ فهذا محض القياس والمصلحة ، وقد قال تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ . وهذا يعم الثمن والمثمن ، وهذا هو الذي فهمه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال : أشهد أن السلف المضمون في الذمة حلال في كتاب الله ، وقرأ الآية . فثبت أن إباحة السلم على وفق القياس والمصلحة ، وشرع على أكمل الوجوه وأعد لها ، فشرط فيه قبض الثمن في الحال إذ لو تأخر لحصل شغل الذمتين بدون فائدة ، ولهذا سمي « سلماً » لتسليم الثمن ، فلو أخر الثمن لدخل في بيع الكالىء بالكالىء بل هو نفسه وكثرت المخاطرة ودخلت المعاملة في حد الضرر ، ولذلك منع الشارع أن يشترط فيه كونه من حائط « بستان » معين ، لأنه قد يتخلف فيمتنع التسليم ، والذين شرطوا أن يكون دائم الجنس غير منقطع قصدوا به إبعاده عن الغرر بإمكان التسليم ، لكن ضيقوا ما وسع الله ، وشرطوا ما لم يشرطه ، وخرجوا عن موجب القياس والمصلحة ... أما القياس فإنه أحد العوضين فلم يشترط دوامه ووجوده ، كالثمن ، وأما المصلحة فإن في اشتراط ذلك تعطيلاً لمصالح الناس إذ الحاجة التي لأجلها شرع الله السلم : الارتفاق من الجانبين ، هذا يرتفق بتعجيل الثمن ، وهذا يرتفق برخص الثمن ، وهذا قد يكون في منقطع الجنس ، كما قد يكون في متصله ، فالذي جاءت به الشريعة أكمل شيء وأقومه بمصالح العباد .

فالذين ظنوا أن السلم على خلاف القياس توهموا دخوله تحت قول الرسول ﷺ « لا تبع ما ليس عندك » وقالوا : إنه بيع معدوم ، والقياس يمنع منه ، والصواب أنه على وفق القياس ، فإنه بيع مضمون في الذمة ، موصوف مقدور على تسليمه غالباً ، وهو كالمعاوضة على المنافع في الإجارة ، وقياس السلم على بيع العين المعدومة التي لا يقدر على تحصيلها أم لا والبائع والمشتري منها على غرر ، من أفسد القياس صورة ومعنى ؛ وقد فطر الله العقلاء على أن يفرقوا بين بيع الإنسان ما لا يملكه ولا هو مقدور عليه وبين السلم إليه في مُغلٍ مضمون في ذمته مقدور في العادة على تسليمه ، فالجمع بينهما كالجمع بين الميتة والمذكى والربا والبيع) (أعلام الموقعين ج ٣) .

من أين جاءت هذه التقسيمات ؟

اخترع الدكتور رفيق تقسيمات جديدة لعقد السلم فجعله ثلاثة أقسام : تجارياً وزراعيا وصناعياً ، وحرم إحداها ، وهو الذي سماه السلم التجاري ، وهو يعترف أنه لم يسبقه أحد في هذا التقسيم ولا في التحريم ، ولا اعتراض لنا على التقسيمات . فهي لا تقدم ولا تؤخر ، وقد نعتبره من باب التفنن في التعبير ، لكن الأمر الخطير هو أن يحرم على المسلمين عقداً جائزاً بالنص والإجماع ، وقد شعر هو نفسه أن في رأيه هذا تشدداً لا وجه له فألقى مسؤولية ذلك على فهمه للنص ، ولكنه لا يمانع من أن يترك النص هذا ليعتمد على العرف والحاجة والمصلحة ، ونسي أنه قد نفى المصلحة عن السلم التجاري عندما قال : (لو أبيح السلم التجاري لا فائدة معتبرة منه) فهو الآن يقول : (قد يخطر على بال القارىء أن منع السلم التجاري ضرب من التشدد في الشرع وقد أمرنا بالتيسير ، غير أن مرادي ليس هو التعسير ولا التيسير بل التوصل إلى الأحكام الشرعية العملية بالدليل والمنهاج الصحيح ، فقد يحرم السلم في التجارة من حيث الأصل والقياس ، ويجوز في حدود بعض الاعتبارات ، كالعرف والحاجة والمصلحة استحساناً ، كما فعل الحنفية في الاستصناع) .

ونقول للدكتور هنا : إنك فعلاً سلكت طريق التشدد ، فأنت لا تزال تؤكد ذلك حتى في هذه العبارة الأخيرة عندما تقول : إن مرادك التيسير ، فالتيسير هو مراد الشرع :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ .

ونلاحظ أن الدكتور قد جزم وادعى أن هناك نصاً في تحريم السلم التجاري ، واقتنع بهذا النص ، فكيف يوافق بعد ذلك أن يقدم العرف والمصلحة والحاجة على النص ، والمعروف في أصول الفقه أن النص مقدم على القياس والعرف والمصلحة ، فهل هذا هو التوصل إلى الأحكام الشرعية والعلمية بالدليل والمنهاج الصحيح ؟ نعم هناك قاعدة : أن ما حرم سداً للذريعة يباح للمصلحة الراجحة ، ولكن الكاتب لا يرى أن التحريم كان سداً للذريعة وهو يريد إباحته

آراء غريبة ؟! ..

وقد لاحظت أن للدكتور رفيق آراء غريبة أخرى في أبحاثه في الفقه الإسلامي ، ففي العدد [١٩٠] شوال ١٤٠٠هـ . من مجلة الوعي الإسلامي التي تصدر في الكويت كتب مقالاً عن الربا وكان مما جاء فيه قوله : (... إذا كان الشيئان المتبادلان شبه متماثلين كأن يختلفان في درجة الجودة دون الجنس ، تمر جيد بتمر رديء ، فإن عدم التساوي ممكن ، فأما التأجيل فهو محرم) ثم يقول : (... إن مقياسنا الأساسي في الربا المحرم ليس هو عنصر الزمن وبالتالي لا نميل إلى تعريف الربا أنه الزيادة في مقابل الأجل) .

أليس هذا الكلام غريباً على الفقه الإسلامي ، ثم ما باله في مسألة التمر الجيد بالرديء لا يلقي بالاً للحديث الصحيح المتفق عليه في ذلك ، وهو أن الرسول ﷺ استعمل رجلاً على خيبر فجاءه بتمر جنيب ، فقال ﷺ : « أكل تمر خيبر هكذا ؟ » ، قال : لا ، والله

إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة . فقال رسول الله ﷺ : « لا تفعل ، بع التمر بالدراهم ثم اشتر بالدراهم جنيباً » . وفي حديث آخر : جاء بلال رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بتمر برني ، فقال له النبي ﷺ : من أين هذا ؟ قال بلال : كان عندنا تمر رديء فبعت صاعين بصاع ليطعم النبي ﷺ . فقال له النبي ﷺ : أوه عين الربا . لا تفعل ، ولكن إذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به) .

وبعض الناس لم يستوعبوا الحكمة من اشتراط الشارع المساومة والتماثل بين الجيد والرديء ، وإرشاد الرسول ﷺ إلى بيع الرديء بالدراهم ثم شراء الجيد بالدراهم ، وهي : أن التشريع إنما يكون للعامة ، والناس لا يتساوون في معرفة الجيد من الرديء ، والخبراء في ذلك هم التجار ، وربما استغلوا عدم معرفة العامة ، وقد كانت المقايضة هي السائدة ، ولو أبيح ذلك لتعرض أغلب الناس للغش والخداع ، فسداً للذريعة وحماية للعامة من الغش منع الشارع ذلك ، والذي لا يعرف الحكمة يستغرب الحكم .

ويقول الدكتور : (إن من أدلته على عدم جواز السلم التجاري أنه استقرأ السلع الواردة في أحاديث السلم فوجدها سلعاً زراعية بالدرجة الأولى وصناعية بالدرجة الثانية ، ويقول : إن في الوكالة الحلال مندوحة عن الحرام الذي هو السلم التجاري ...) .

ونقـول هنا للدكتور الفاضل : وهل التجارة تكون إلا في السلع الزراعية والصناعية ؟ فأي سلع أخرى لا تكون من الزراعة والصناعة ؟ والذين يأتون إلى المدينة من الشام بالسلع هم في الغالب من التجار الذين يشترون من الزراع والصناع في بلادهم ويبيعونها في المدينة ، وما كان الصحابة يسألونهم : هل أنتم زرعتموها أو صنعتموها بأنفسكم ؟ والفلاح هل يترك أرضه ويأتي لبيع إنتاجه ، وقد تمتد رحلته إلى عدة أشهر ؟ وكل من الوكالة والسلم التجاري حلال ومتساويان في الحل ، وحاجة الناس إليهما معاً ، وللوكالة أحكام تختلف عن أحكام السلم ، فالوكيل مثلاً يستطيع أن يعزل نفسه ولا يقوم بالمهمة التي كلف بها ، بينما لا يستطيع المسلم إليه ذلك ، وقول الدكتور رفيق : إن المنتج الزراعي والمنتج الصناعي يغلب على الظن أنه قادر على التسليم غير عاجز عنه بينما التاجر لن يكون قادراً على التسليم لأنه يشتري البضاعة من غيره .. إلخ .

وفي رأيي أن الدكتور لو أمعن النظر لوجد أن العكس قد يكون صحيحاً أيضاً ، لأن المنتج للحبوب مثلاً قد يعجز عن تسليم إنتاجه لآفة أو لأية ظروف أخرى ، بينما تاجر الحبوب مثلاً لعدم اقتصاره على الشراء من منتج واحد سيتوفر عنده القدر المطلوب ، وقد تكون مخازنه مليئة بينما الزارع قد لا يجد ما يفي بدينه .

وقـول الدكتور : (... إن تسليم الثمن للتاجر لو أبيح السلم التجاري لا فائدة معتبرة منه ، لأن الأجل يكون قريباً بخلاف السلم الزراعي أو الصناعي فقد يمتد إلى السنة والسنتين ، كما جاء في الحديث ، وربما إلى ثلاث سنوات كما جاء في روايات أخرى) .

لا أدري أين فرقت الأحاديث بين السلم التجاري والسلم غير التجاري في المدة ، فالمعروف أن الأجل يجب أن يكون معلوماً وسواء أكان السلم تجارياً أو زراعياً أو صناعياً « من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم » .

أما ما أثاره الدكتور رفيق حول الوسـاطة الطفيلية غير المنتجة ... إلخ . فهذا أمر آخر لا دخل له في صحة العقود وعدم صحتها فيرجع إلى السياسة الاقتصادية العامة في كل إقليم ، فلو أن المزارعين أو الصناع في إقليم من الأقاليم تعرضوا لابتزاز الوسطاء الطفيليين من التجار ، فالقضاء على ذلك يأتي عن طريق تنظيم ولي الأمر للعلاقة بين التجار والمنتجين ، أما التجارة ودور التجار في بيع المنتجات الزراعية والصناعية فلا يستطيع أحد أن يلغيه ، فلو أردنا مثلاً أن نتعاقد على استيراد كميات من الحبوب ، فهل يعقل أن نذهب إلى المزارعين في حقولهم في أمريكا أو استراليا لنقدم لهم الثمن حتى إذا حصدوا إنتاجهم سلموا لنا الكميات المتفق عليها ؟ أو أن المعقول هو ما يجري فعلاً أن هناك تجاراً محليين أو أجانب نتعاقد معهم ليحضروا لنا الكميات المطلوبة من الأسواق العالمية ومواقع الإنتاج ؟!

كلمـــة واقتــراح ..

وقبل أن أختم كلمتي هذه أشكر للكاتبين الفاضلين جهدهما وسعيهما ، وأشكر مجلة « الأمــة » لإتاحتها الفرصة لمثل هذه الأبحاث القيمة ، غير أني أحب أن ألفت نظر الإخوة الباحثين في هذه المجالات بأنه ينبغي على الباحث في حالة أن يكون لديه رأي جديد لم يسبق إليه ألَّا يعلنه إلا بعد الدراسة الكاملة ، والتمحيص الشديد ، والبحث المستفيض خاصة في الحالات التي تتعلق بالتحليل والتحريم ، وأن يعرض ذلك قبل نشره وإعلانه على مجموعة من زملائه المختصين فيما يشبه الندوة ، حتى إذا أُشبع الموضوع بحثاً وقُلِّبت فيه وجهات النظر كان نشره بعد ذلك متكاملاً ، وذلك حتى لا تعمم الأخطاء وتتبلبل الأفكار ، فتأتي الأخطار على الناس في دينهم ودنياهم ، وحتى لا يكون ذلك من باب الجرأة على الفتيا وقد جاء في الحديث : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار » . وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وقال بعض السلف : (من إكرام الرجل نفسه ألا يقول إلا ما أحاط به علماً) وقال بعض السلف أيضاً ينتقد بعض المفتين : (إن أحدكم ليفتي في المسألة ولو عرضت على عمر لجمع لها أهل بدر) . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : (أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني ، وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت في كتاب الله بغير ما أراد الله ؟) ... نسأل الله أن يهدينا جميعاً إلى سواء السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ■■

علاقة الإعجاز القرآني بقضية الشك

تمهيد

■■ إن عناية حركة الاستشراق بالتراث العربي الإسلامي وحضارته قد فاقت كل الجهود التي قدمها الاستشراق لاختراق آفاق الشرق الفكرية والحضارية ، واكتشاف أسباب قوته ومقوماته ..

لقد أدركت الدوائر الاستشراقية أن الحضارة الإسلامية تشكل حضارة العصور الوسطى التي ربطت العالم القديم بالعالم الحديث ، ومن ثم ساهمت في تحضير شعوب الأرض ، وإيقاظ العقلية الأوروبية التي تشعر بأنها « ابتداءً من الفلسفة والرياضيات إلى الطب والزراعة ؛ مدينة لتلك الحضارة بشيء كثير »(١) .

من هنا انطلقت جهود المستشرقين للتنقيب عن مصادر تراث هذه الحضارة ، لفحصه ، وإخضاعه لما استحدثوه من مناهج ، لكن عقليتهم المشدودة إلى المادة ، والواقع ، والتجريب ؛ لم تستطع أن تهضم المناحي الغيبية الميتافيزيقية في روحانية هذا التراث ■■

وكان لابد أن تثار قضية الإعجاز القرآني في مجال الصراع بين الشرق والغرب ، وأن تشغل جانباً من تفكير العقل الحديث ، لأن النص القرآني يشكل قطب الرحى للحضارة الإسلامية ، ولأن الإقرار بإعجاز القرآن هو إقرار ضمني بمصدره الإلهي ، وإقرار بشرعيته ، واستمراريته ، وإشعاعه الحضاري ، وإثبات لوجود معتنقي تعاليمه .

كما أثيرت قضية الشك في الشعر الجاهلي في العصر الحديث ، في إطار اهتمام المستشرقين بالأدب العربي ، لصلة هذا الأدب بكتاب الإسلام الأكبر ، ولتحمل لغة العرب أسرار الإعجاز القرآني ، ولأهمية هذا الأدب في دراسة الشخصية العربية . من هنا ركزت الحركات الاستشراقية جهودها على الأدب العربي قصد الوصول إلى معرفة العرب واتجاهاتهم لغرض فلسفته ، وتوجيهه إياهم من جانب ، وسعياً إلى كشف المؤثرات التي تركها هذا الأدب في آداب أوروبا المختلفة بجانب ما تركتها آداب اليونان والرومان من جانب آخر(٢) ...

ومما يثير الانتباه أن جل المستشرقين جرّبوا حظوظهم في البحث في مجال الأدب الجاهلي . فمن أساطين الاستشراق الذين تناولوا الشعر الجاهلي بالدرس نذكر **فولدكه ، وبروكلمان ، وبلاشير ، وليال ، ودلافيدا** ... وتميز موقف المستشرق الانجليزي **مرجليوث** بالتطرف في نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي إذ رفض هذا الأخير جملة .

فما هي علاقة إعجاز القرآن بقضية الشك في الشعر الجاهلي ؟

[١] قضية الإعجاز البياني للقرآن

الإعجاز القرآني قضية ترتبط بجوهر الإسلام عقيدة وفكراً ولغة ؛ إذ كان إثبات هذا الإعجاز هو البرهان القاطع على صحة النبوة الإسلامية ، ولا شك أن إقامة الدليل على الإعجاز القرآني بشقيه الكلامي والبلاغي ، كان يهدف إلى ترسيخ النص القرآني في كل بيئة حضارية جديدة ؛ كما يحمل على ترسيخ الكيان العربي الإسلامي في وجه كل غزو فكري زاحف .

ومناط العناية بالنص القرآني يعود إلى ما أشاعه من حركة في الضمير والفكر والشعور ، وإلى ما تميز به أسلوبه من ثراء في العبارة وخصوبة في مناحي القول ؛ تجعله دائم التجدد والحيوية والتشويق .

(أ) القرآن معجزة لغوية

إن النص القرآني منهج محروس بمعجزة بيانية ، تحدى بها محمد بن عبد الله ـ رسول الإسلام ﷺ ـ قومه . ومهما اختلفت مناحي دراسة النص القرآني ، فإنها تنتهي إلى قطبين أساسيين : **اللغة والفكر** . فالقرآن كتاب أدبي وعقيدي في الوقت نفسه ،

بقلم : الدكتور .
عباس أرحيلة

في الشعر الجاهلي

■ القرآن خطاب لغوي توسل بالضمير اللغوي لترسيخ الضمير الديني وهو تشكيل لغوي يشخص كل سمات الكلام العربي .

■ القرآن نزل بلسان عربي مبين فمن زعم فيه غير العربية فقد أعظم القول .
[أبو عبيدة]

■ إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي .
[ابن عباس رضي الله عنهما]

وبالدرجة نفسها[٣] .

بل إن المقصد الأسبق ـ في كل دراسة قرآنية ـ هو النظر في القرآن من حيث إنه كتاب العربية الأكبر ، وأثرها الأدبي الأعظم .

ومنذ بدء الحياة الإسلامية أخذ القرآن مكان الصدارة بوصفه النص الأدبي الأول لهذه الأمة ، والكتاب المبين المعجز ، وكتاب الفن العربي الأقدس على حد تعبير **أمين الخولي**[٤] .

ومن ثم فإن فهم الرسالة السماوية بعقيدتها وتشريعها يقوم على فهم هذه الوسيلة الحاملة لفحوى مقاصد الرسالة واستيعابها . فالقرآن خطاب لغوي توسل بالضمير اللغوي لترسيخ الضمير الديني[٥] .

(ب) النص القرآني تشكيل لغوي يشخص كل سمات الكلام العربي ..

تحركت الدراسات القرآنية خلال مرحلة التدوين نحو قضية أساسية هي إثبات عربية القرآن ، مع مقابلة ذلك بما تعارف عليه العرب . وأشير هنا إلى محاولتين متقدمتين في الدراسات القرآنية ، عُنيتا بالتدليل على عربية القرآن تدليلاً عميقاً ؛ وهما :

١ ـ « **مجاز القرآن** » **لأبي عبيدة** [٢٠٩هـ] الذي يقول فيه : « **نزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول** » ، ومن هنا غلب عليه البحث في أساليب القرآن ، متمثلاً بما يشبهها من أشعار العرب وأساليبهم .

٢ ـ و « **معاني القرآن** » **لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء** [٢٠٧هـ] ، وهو في محاولته لا يفتأ يردد أن القرآن لا يخرج عن أساليب العرب ، وما تعارفت عليه من فنون القول ، وإن كانت له خصائصه التي تفرده عن غيره من ضروب الكلام ، فـ « **الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر** »[٦] .

ومن هنا يتضح أن الذهنية العربية تعاملت مع النص القرآني على أساس لغوي أصيل يتمثل في مادة الشعر الجاهلي ، ذلك الشعر الذي يمثل شاهد إثبات على محاذاة أساليب العرب لأنماط التعبير القرآني . مما يفسر قول **عبد الله بن عباس** :

« **إذا تعاجم شيء من القرآن ، فانظروا في الشعر ؛ فإن الشعر عربي**[٧] » .

وكان هذا منطلق العناية بدراسة هذا الشعر والكشف عن خصائصه ، والاستعانة به والاسترشاد به في فهم معاني النص القرآني ومقاصده . لكن هل يعقل أن يقوم القرآن الكريم بشعر مشكوك فيه لا قيمة له من الوجهتين : التاريخية واللغوية ؟

وما مصير الإعجاز إذا حام الشك حول رواية الشعر الجاهلي الذي يقوم

مقام الشهادة ؟

[٢] قضية الشك في الشعر الجاهلي

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذا الشعر : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه[٨] » ، تُرى هل وجدت أمة عنيت بآدابها عناية العرب بشعرهم ؟ وهل يشك أحد في أهمية الشعر العربي باعتباره المدخل الرئيسي لفهم الروح العربية ؟ ذلك الشعر الذي « **جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم** » **كما يقول ابن خلدون**[٩] .

فما مصير هذا « العلم » إذا اكتسحه الشك ؟

لقد أثيرت قضية الانتحال من جديد في العصر الحديث ، وتناولها المستشرقون والعرب ، ومن هؤلاء المعتدل المنصف ، ومنهم المشتط المسرف المتحامل ، وقامت مناقشات وكتبت ردود ، على أن هؤلاء لم يبلغوا في نظرية الانتحال من الشك والإسراف ما بلغه المستشرق الانجليزي مرجليوث ، فقد رفض الشعر الجاهلي جملة[١٠] .

مرجليوث والكيد الخفي . . .

مرجليوث [١٨٥٨ - ١٩٤٠م] مستشرق انجليزي ، تخصص في اللغات الشرقية ، أتقن العربية وكتب بها . اعتلى كرسي الأستاذية في جامعة أكسفورد منذ سنة ١٨٨٩م . زار معظم بلدان الشرق الأوسط ، وتعرف على علمائها . أحصى له نجيب العقيقي في كتابه (**المستشرقون ٢/٥١٨**) ثمانية وستين أثراً بين كتاب في أجزاء ، وبحث ، ومقالة ، وترجمة ، وفهرس ، وتعليق ، وبلغات متعددة .

ويلاحظ أن صلة مرجليوث بقضية الشك في الشعر الجاهلي قديمة ، رافقته طوال حياته العلمية ، واستغرقت ربع قرن حتى تبلورت في بحثه « **أصول الشعر العربي** » الذي نشره في مجلة الجمعية الملكية الأسيوية سنة ١٩٢٥م . وهو يفترض أن القرآن جاء بلغة جديدة لا صلة لها بالشعر الجاهلي ... وكأن القرآن لم يكن من بيئة العرب ، ولم يتحدث بلغتهم .. فإذا ما ذكر شاعر جاهلي عادات العرب في الحج أو الصوم ، أو ذكر الأفكار السائدة في الأديان السابقة ، وجاء القرآن بهذه الألفاظ ؛ فإن مرجليوث سرعان ما يحمل ذلك على أن الشعر قيل بعد القرآن وعلى نسقه .

ويبدو أن شعار الرجل هو الطعن في القرآن ، وفي الشعر الجاهلي ، **وأنه لا ينظر إلا بمنظار الشك** ، فهو يهدم كل شيء ، يشك في بداية الشعر ، وفي تدوينه ، ولغته ، وروايته . ويطعن في الإسلام وفي وحيه وعقائده ، وإعجازه .

استمع إليه يقول في « **أصول الشعر العربي** » :

« إن أسلوب القرآن يجب أن لا يكون مختلفاً عن طبيعة الشعر الذي نظموه في اللغة لأول مرة ، لكن إذا كان جمهور الناس قد ألفوا أن يسجعوا النثر ، ويقفوا الشعر في نهاياته المحكمة ، وقد عرض الشعر بشكل واضح قبل الإسلام مشخصاً في هذه الأساليب ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإن القول بإعجاز القرآن ينبغي أن يكون على الأقل أصعب من أن يبرهن عليه » .

ودون حاجة إلى تتبع هذا الرجل في مزاعمه ، يكفي أن أقول إن مكره الخفي يهدف إلى إنكار فضل القرآن على العرب وعلى العالم بأسره ، وبالتالي النيل من مكانة العربية التي حملت أسرار الإعجاز .

ولعل **مرجليوث** أحس بنجاح مهمته الدنيئة ، حين نفث سمومه ، وشكك في مصادر الحضارة العربية الإسلامية ، وذلك عندما أهدى له **شوقي** رائعته « **النيل** » التي تحتوي على أكثر من مائة وخمسين بيتاً ، ومما جاء في الإهداء :

« ... **ونسبتها إليك عرفاناً لفضلك على لغة العرب وما أنفقت من شباب وكهولة في إحياء علومها ونشر آدابها وإلقائها كلما طلعت الشمس خلف الضباب دروساً نافعة على أنبل شباب العصر في أعظم جامعات العالم**[١١] ... » .

ولعل **مرجليوث** ازداد يقيناً لما وجد من أبناء « **يعرب** » من يقوم بمهمته ، من أمثال **طه حسين** الذين شايعوه اتجاهه ، فطه حسين حين ألحّ عليه الشك - كما يقول - أخذ يفكر ويبحث حتى اهتدى « **إلى شيء إلَّا يكن يقيناً فهو قريب من اليقين ، ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ،**

■ **إن المنهج الذي ابتدعه مرجليوث بإثارة الشك في رواية الشعر الجاهلي إنما هو مكر خفي يطوي إدراكاً لمنزلة الشعر الجاهلي في شأن إعجاز القرآن .**

■ ابن خلدون : الشعر ديوان العرب وأخبارهم .. يرجعون إليه في علومهم وحكمهم ■

■ أمين الخولي : القرآن كتاب الفن العربي الأقدس والنص الأدبي الأول ■

■ أحمد شوقي : وقع في الشرك .. وأهدى رائعته « النيل » إلى مارجليوث ■

■ محمود محمد شاكر : الشعر الجاهلي هو أساس مشكلة إعجاز القرآن ■

ليست من الجاهلية في شيء ، وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام » .

ثم يقول :

« ولا أكاد أشك في أن ما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء ، ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي[12] » .

لكن من الثابت أن جمع الشعر الجاهلي ومدارسته ، منذ بداية النشاط العلمي في ظل الإسلام إنما كان العرض منه خدمة النص القرآني ، فهذا عمر بن الخطاب يستدعي شاهداً لمعنى من معاني القرآن ، في بيت شعر . فلما استمع إلى بيت الشعر ، عقب قائلاً :

« أيها الناس ، تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم ، فإن فيه تفسير كتابكم[13] » .

فماذا يعني الشك في هذا الديوان ؟ وأين نلتمس تفسير كتابنا ؟

أنلتمسه في شعر مصنوع ، وُضع على مثال القرآن ، كما يزعم **مرجليوث** ، إنه الكيد الخفي للإسلام ، وإنه رفض الشاهد على الإعجاز القرآني ، ودفع للتدليل عليه . وقد أدرك محمود محمد شاكر ارتباط قضية الإعجاز بقضية الشك في الشعر الجاهلي إيماناً منه بأن الحركة الاستشراقية ركزت جهداً كبيراً على التشكيك في تراث الإسلام ، وبثت سمومها في ميادين متفرقة منه . فاعتبر مسألة الإعجاز **« أعقد مشكلة يمكن أن يعانيها العقل الحديث ، حتى بعد أن يتمكن من إرساء كل دعامة يقوم عليها إيمانه بصدق نبوة رسول الله ﷺ ، وبصدق الوحي ، وبصدق التنزيل . وأيضاً فهي المسألة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية الشعر الجاهلي ، وبالكيد الخفي الذي اشتملت عليه هذه القضية ، بل إنها لترتبط ارتباطاً لا فكاك له بثقافتنا كلها ، وبما ابتلي به العرب في جميع دور العلم ، من فرض منهج خال من كل فضيلة في تدريس اللغة وآدابها[14] » .**

ويؤكد **محمود محمد شاكر** ، أن الشعر الجاهلي : **هو أساس مشكلة إعجاز القرآن ، كما ينبغي أن يواجهها العقل الحديث** . ذلك أن المنهج الذي ابتدعه **مرجليوث** بإثارة الشك في رواية الشعر الجاهلي إنما هو مكر خفي يطوي تحت أدلته ومناهجه وحججه ، إدراكاً لمنزلة الشعر الجاهلي في شأن إعجاز القرآن ، لا إدراكاً صحيحاً مستبيناً ، بل إدراكاً خفياً مبهماً تخالطه ضغينة مستكنّة للعرب وللإسلام .

خاتمة :

لا شك أن القارىء يدرك الآن خطورة تغلغل الفكر الاستشراقي في جامعاتنا ومناهجنا وفي تفكيرنا الإسلامي المعاصر ، ويدرك أن الحملة التي نظمت قصد نسف الثقة بالشعر الجاهلي ، إنما كانت تهدف في صميمها إلى وضع إعجاز القرآن « **في خبر كان** » . وأن العقلية الاستشراقية الدقيقة في الاستقصاء والبرهنة والاستنتاج ، تقف اليوم واجمة بعد مضي أمر قضية الشك في الشعر الجاهلي ، وقامت الدراسات الأكاديمية الرصينة التي وثقت ذلك الشعر ، كما أرست أسسه ، وحددت ملامحه ، وحققت نصوصه ، ويكفي في الأخير أن أسوق رأي مستشرق آخر ، من بني جلدة **مرجليوث ، وهو آربري حين يقول في خاتمة كتابه « المعلقات السبع ، مفنداً أقوال مرجليوث :**

« إن السفسطة ، وأخشى أن أقول : الغش ، في بعض الأدلة التي ساقها الأستاذ مرجليوث . أمر بيِّن جداً ، ولا تليق البتة برجل كان ، ولا ريب من أعظم أئمة العلم في عصره ، وهذا حكم شنيع ، لا على مرجليوث وحده ، بل على أشياعه وكهنته وعلى ما جاؤوا به من حطام الفكر » .

المراجع :

(١) الإسلام والعرب : روم لاندو - ترجمة منير البعلبكي .
(٢) فلسفة الاستشراق واثرها في الادب العربي المعاصر : احمد سمايلوفتش .
(٣) مدخل إلى القرآن الكريم : محمد عبد الله دراز .
(٤) دائرة المعارف الإسلامية .
(٥) الفكر العربي : محمد أركون .
(٦) معاني القرآن : تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار .
(٧) طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي - ت. محمود محمد شاكر .
(٨) مقدمة ابن خلدون .
(٩) أصول الشعر العربي : د.س. مرجليوث ، ترجمة د. يحيى الجبوري .
(١٠) « المستشرقون » للعقيقي .
(١١) الشوقيات .
(١٢) في الأدب الجاهلي : طه حسين .
(١٣) الإتقان : للسيوطي .
(١٤) الظاهرة القرآنية : مالك بن نبي ، ترجمة عبد الصبور شاهين (مقدمة محمود محمد شاكر)

في استقبال رمضان

سَطَعَ الفَجْرُ فاسْتجابَ المُنادي   وَأَذاعَ النِّداءَ في كُلِّ نادِ
أَقبلَ الضَّيْفُ يَسْحَبُ الذَّيْلَ تِيهاً   بِهِباتٍ مَيْمُونَةٍ وَأَيادِ
جاءَ في مَوْكِبٍ مِنَ المَلإِ الأَعْ......   ـلَى بِنُورٍ إِلى المَحَجَّةِ هادِ
كُلَّما غابَ ذابَتِ النَّفْسُ شَوْقاً   وَحَنِيناً إِلى اقْتِرابِ المَعادِ
فَإِذا لاحَ نَجْمُهُ اكْتَسَتِ الآ   فاقُ نُوراً يَفِيضُ في كُلِّ وادِ

****

ضَيْفُنا الواعِظُ الأَثِيرُ أَتى بالـ......   ـخَيْرِ وَاليُمْنِ وَالهُدَى وَالرَّشادِ
وَبِآيٍ مِنَ الكِتابِ تَلاها   خَيْرُ داعٍ إِلى طَرِيقِ السَّدادِ
لَيْلَةٌ فِيهِ عادَلَتْ أَلْفَ شَهْرٍ   فَاتَّقُوا اللَّهَ فَالتُّقَى خَيْرُ زادِ
لَيْلُهُ ساهِرٌ وَقُرْآنُهُ تا   لٍ وَأَنْغامُهُ رَبِيعُ الفُؤادِ
وَالتَّسابِيحُ صاعِداتٌ وَأَنْفا   سُ المُناجاةِ رائِحاتٌ غَوادِ
وَعَطاءُ السَّماءِ مُتَّصِلُ الفَيْـ......   ـضِ دَؤُوبٌ وَما لَهُ مِنْ نَفادِ
وَقُلُوبُ العُبّادِ في اللَّيْلِ يَقْظَى   وَلِهَذا العَطاءِ غَرْثَى صَوادِ
حَسْبُنا أَنَّ اللَّهَ مُعْطٍ كَرِيمٌ   واسِعُ الفَضْلِ باسِطُ الأَمْدادِ

****

رَبِّ إِنّا إِلى رِحابِكَ نَرْجُو   عِزَّةَ الوَصْلِ بَعْدَ ذُلِّ البِعادِ
ثَقُلَ الوِزْرُ وَالخَطايا تَوالَتْ   وَزِحامُ الذُّنُوبِ في الإِزْدِيادِ
وَالمُسِيءُ الظَّلُومُ في حَمْأَةِ الهَوْ   لِ مُعَنًّى وَلَيْسَ يَفْدِيهِ فادِ
لَيْتَهُ كانَ في الوُجُودِ تُراباً   لَيْسَ يَرْجُو الثِّمارَ يَوْمَ الحَصادِ

****

ما لَكُمْ يا بَنِي العُرُوبَةِ أَشْتا   تاً وَأَنْتُمْ ذَخِيرَةُ الآبادِ
هَبَطَ الوَحْيُ في حِماكُمْ فَكُنْتُمْ   في حِمَى الوَحْيِ كَعْبَةَ القُصّادِ
وَالرَّسُولُ الأَمِينُ فِيكُمْ وَمِنْكُمْ   جاهَدَ المارِقِينَ أَيَّ جِهادِ
جَمَعَ الصَّحْبَ حَوْلَهُ في إِطارٍ   مُحْكَمٍ ضَمَّ صَفْوَةَ الأَمْجادِ
وَتَلامِيذُهُ الأَعِزَّةُ كانُوا   في ثَباتِ اليَقِينِ كَالأَطْوادِ
رَسَمُوا مَنْهَجَ الحَياةِ سَوِيّاً   فَانْصُرُوا الحَقَّ يا حُماةَ الضّادِ

****

فَرَّقَتْكُمْ أَهْواؤُكُمْ فَجَنَيْتُمْ   بَعْدَ وَرْدِ الرِّياضِ شَوْكَ القَتادِ
وَانْتَهَتْ كِبْرِياؤُكُمْ بِعَمَى القَلْـ......   ـبِ فَما تُبْصِرُونَ غَيْرَ الفَسادِ

****

رَبِّ إِنَّ العِبادَ جارُوا وَلَجُّوا   في عُتُوٍّ وَغِلْظَةٍ وَعِنادِ
رَبِّ فامْنُنْ بِرَحْمَةٍ وَبِلُطْفٍ   يَغْمُرانِ الأَنامَ بِالإِسْعادِ

شعر: محمد السيد الداودي

قصة قصيرة

الميراث

بقلم : جميل فودة

■■ الإسكندرية في أواخر ديسمبر . شتاء هذا العام ثقيل وطويل وقاس ، الأمطار ظلت تهطل بشدة أياماً متوالية ليل نهار ، العواصف الشديدة العاتية تكاد تقتلع الأشجار ، الأمواج تتلاطم بعنف وتكاد تفتت الصخور على الشاطىء ، الأمواج العالية تأتي من بعيد كجبال شامخة فتحطم الحواجز الصخرية ، وتغرق الطريق ، وعلى امتداد البصر تتراءى من بعيد قلعة قايتباي وسط البحر شاهقة عالية ضخمة كأنها تتحدى عوادي الزمن من أيام السلطان المملوكي الذي سميت باسمه ، بناها لتحمي حدود مصر ، ولكنها الآن أصبحت متحفاً للزوار ، فشتان ما بين الأمس واليوم ، الكل يسرع الخطا خوفاً من الأمطار وشدة البرودة التي تكاد تجمّد الأطراف ، جلس محمد إبراهيم ، شاب في حوالي الأربعين من عمره ، على عينيه نظارة طبية ، تسلل الشعر الأبيض إلى فوديه قبل الأوان ، لعلها مشاكل الحياة ، جلس في سيارة « أوتوبيس » الأقاليم في (محطة الرمل) ، لتقله بعد قليل إلى بلدته في الريف ، حيث قريته الصغيرة القابعة في بطن الوادي ، والأهل والأقارب ، بلدته مسقط رأسه فيها نشأ وترعرع ، طفولته وصباه ، ذكريات عديدة تمر برأسه ، يتذكر بعضها وينسى أكثرها ، لا تبقى في ذاكرته سوى بعض الأحداث .

إنه اليوم يسافر ليأخذ حقه في الميراث ، من الأرض الزراعية التي تركها والده الحاج إبراهيم ، تذكره بوجهه الطيب وملامحه الهادئة ، تذكر والده الذي كافح وتعب طوال حياته حتى اشترى هذه الأرض ، رغم أنه بدأ حياته رجل شرطة يتقاضى جنيهات معدودة .

وتذكر طفله الصغير عمرو الذي لا يتجاوز العاشرة من عمره ، ملامحه البريئة وطفولته وتلقائيته ، إن طفله مريض ، عيناه تدمعان بكثرة ، لقد عرضه على أكثر من طبيب للعيون ، كل طبيب يكتب علاجاً يختلف عن الآخر ، ويشخص المرض بأسباب مختلفة عن الطبيب الآخر ، الدموع تنهمر من عيني الطفل بغزارة ، الطفل لا يستطيع متابعة المعلم ولا قراءة ما على السبورة ، لقد أثرت الحالة على نفسية الصغير ، اختفت ابتسامته ومرحه ، أصبح يميل إلى العزلة ، لا يستطيع اللعب مع أقرانه ، دموعه الغزيرة تفسد عليه لهوه البريء ، تذكر يوم عاد طفله من المدرسة باكياً ، اقترب من الطفل وعرف منه سبب بكائه ، لقد رسب في مادتين ، إنها المرة الأولى التي يرسب فيها .. دائماً كان متفوقاً ، هوّن على طفله الأمر ، وفي مساء اليوم نفسه ، اصطحبه إلى طبيب شهير للعيون ، تقع عيادته في ميدان شهير بالاسكندرية في ميدان محطة الرمل ، حيث الحي الراقي ، اقترب من عيادة الطبيب .. اللافتة عليها اسمه والشهادات العديدة التي حصل عليها ، والمناصب التي يتولاها في الجامعة .

دفع قيمة الكشف للممرضة (عشرة جنيهات) كاملة ، هذا المبلغ كبير بالنسبة له، ولكن ليس مهماً ، سيتحمل من أجل طفله ، جاء دوره في الفحص ، اصطحب الطفل ، استقبله الطبيب ببشاشة ظاهرة وترحيب زائد ، شرح له حالة طفله ، اقترب الطبيب من عيني الطفل وفحصه بدقة ، ثم رفع رأسه فجأة قائلاً : يا أستاذ محمد ، ابنك يحتاج لعملية جراحية عاجلة ، ثم نظر إليه مبتسماً : ستتكلف خمسمائة جنيه ... فتح الأب فاهه من فرط الدهشة قائلاً : لا يمكنني يا سيدي الطبيب أن أدفع هذا المبلغ الكبير ، فأنا موظف بسيط . رد عليه الطبيب : لا داعي للمساومة ، ليس عندي وقت ... وضغط على زر الجرس ليدخل المريض التالي .

خرج محمد آسفاً متعجباً من جشع الطبيب ، ولكن ماذا يفعل ؟ أمسك الطفل من يده ، خرج يجر قدميه جراً ، الأضواء تنبعث من المحلات ومن اللافتات لدور السينما والمسارح ، لا يشعر بشيء ، يسير كالأعمى ، الدنيا تظلم في عينيه . ماذا يفعل ؟ وكيف له بهذا المبلغ ؟ الطفل نظره يخبو يوماً بعد يوم ، وهو عاجز لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، وفجأة لمعت في رأسه فكرة . الأرض التي تركها له والده ، إنَّ له حقاً فيها ، فدان من الأرض

الميراث

الزراعية تقدر قيمته بعشرة آلاف جنيه ، ولكنه لا يريد سوى ثمن العملية الجراحية لطفله ، وابتسم في نفسه . لقد أراحته هذه الفكرة ، سيطالب بحقه في الميراث من شقيقه الأكبر صلاح ، عاد لشقته ، استقبلته زوجه بلهفة وقلق على أخبار الطفل ، وعما قاله الطبيب ، نظر محمد إلى زوجه وأخبرها بالمبلغ الذي طلبه الطبيب ، صعقت الزوجة من ضخامة المبلغ ، أخذت تبكي على طفلها .. احتضنته وهي تضمه بشدة ، والطفل ينظر إلى أمه لا يفهم شيئاً .. طمأن محمد زوجه وأنه سيدبر المبلغ بإذن الله ، ولكنها نظرت إليه والدموع تترقرق في عينيها ، وصاحت : من أين لنا بهذا المبلغ الكبير ؟ طمانها بانه سوف يأخذ حقه في الميراث ، ردت عليه بحدة : ليس لك حق ، لقد استولى أخوك على كل شيء : الأرض والمنزل ، باع أبوك له كل شيء قبل وفاته ، لكن محمداً كان متأكداً أن أباه كان حريصاً على الأرض حرصه على حياته ، تذكر حب أبيه للأرض ، كان يظل بأرضه من شروق الشمس إلى غروبها يرعاها ويهذِّبها ، أصبحت الأرض حياته كلها ، خاصة بعد وفاة زوجه رفيقة عمره ، لا يمكن أن يفرِّط والده في الأرض أبداً ، إنه أبي وأنا أعرفه جيداً .

عاد بذاكرته إلى الوراء عشرين عاماً مضت ، حيث أيام الطفولة ، أيام جميلة من العمر لا يمكن أن تنسى ، كل أمر سهل ، الحياة أمامه ناعمة وبلا متاعب ، لا شيء يقلقه .. تذكر والده رحمه الله ، فقد كان عطوفاً حنوناً ، أدخل أولاده في المدارس ، وكان التعليم حينئذ غالي التكلفة بالنسبة لمرتبة المتواضع ، ولكن الرجل كانت عنده آمال كبار ، لقد حرم من التعليم وكان كل أمله أن يرى أبناءه في أرفع المناصب ، مثل الرجال الذين يعمل تحت إمرتهم : كمفتش المباحث أو حكمدار المديرية ؛ عمل مع علية القوم وتفانى في عمله فأحبوه لشجاعته وإصراره على تعليم أولاده رغم ضآلة مرتبه .. تذكر محمد امه بوجهها الطيب الحنون وحنانها المتدفق ، وردد في نفسه : كم سهرت يا امي في ليالي الشتاء الطويلة الباردة تجلسين معنا ونحن نستذكر دروسنا ، تقدمين اكواب الشاي والأطعمة الخفيفة ، حتى نستطيع مواصلة السهر والاستذكار ، تذكرها بوجهها الحاني وطيبة قلبها وخوفها الدائم على أولادها ، كيف وقفت بجوار زوجها في معركة تعليم أولاده فكانت تحيك الثياب للجيران بقروش عديدة ، صوت ماكينة الخياطة لا يزال يطن في أذنيه . مسكينة أنت يا أمي ، لا يزال يذكرها بوجهها الشاحب من كثرة الإرهاق والتعب ، لا ينسى يوم أن صحا من نومه فوجدها نائمة على ماكينة الخياطة من شدة تعبها فأيقظها في رفق ، حتى أبوه حرم نفسه من المتع البريئة كالذهاب إلى المقهى وتناول القهوة مع أقرانه ، فقد وضع الرجل كل همه في تربية أولاده وإجابة مطالبهم التي لا تنتهي .

كل هذه الذكريات مرت بمخيلته ولا تزال ماثلة أمامه ، جلس محمد في السيارة لتقله بعد قليل إلى قريته ، تذكر شقيقه الأكبر صلاحاً ، كان جشعاً طماعاً يجد متعته في الاستيلاء على ما يملكه الآخرون ، ولو كان أخاه محمداً .. تذكر نقوده التي ادخرها وهو صغير فاستولى عليها شقيقه واشترى بها ملابس جديدة لنفسه ، وترك أخاه محمداً يبكي ، ولكن بلا جدوى ، حتى والده لم يعاقبه على فعلته . لقد كان مدللاً بسبب جراحة صغيرة أجريت له في طفولته ، تذكر سلمى الفتاة الجميلة التي كان يريد أن يتزوجها ، لكن أخاه خطبها لنفسه ، رغم علمه أن شقيقه محمداً يميل إليها .. ويوم حفل الخطبة غادر محمد القرية كلها إلى قرية قريبة عند أحد زملائه في الدراسة حتى انتهت الحفلة ، ثم عاد ليجد أخاه ينظر إليه بشماتة ، ويزين أصبعه بخاتم الخطبة ، فحزن محمد وخيمت عليه الكآبة ، والوالدان لا يعرفان سبب ذلك ، ولكن شقيقه يعرف جيداً السبب ويتكتم عليه ..

مرت الأيام طويلة ثقيلة وتخرجا في الجامعة ، محمد أصبح محاسباً في إحدى الشركات في مدينة الإسكندرية ، والأخ الأكبر عمل معلماً في إحدى مدارس قريته ، واستقر بها بعد وفاة الأم بحجة رعاية والده المسن ، ولكنه كان يضمر شراً ، لقد صمم على الاستيلاء على ممتلكات الأب كلها ليستأثر بها لنفسه .

لم يرحم شيخوخة أبيه ، فكم نهره أمام أطفاله ، وكم منعه من الخروج والجلوس في المقهى ، وكم رفع صوته عالياً ، الرجل مسكين ، الشيخوخة هدمته ، لا يقوى على الوقوف أمام طغيان الابن العاق ، لقد استغل مرضه وبصَّمه وهو على فراش الموت بأنه باع له كل شيء ، عمل غير إنساني وغير شريف ، لماذا فعلت يا أخي كل هذا ؟ لتحرمنا من ميراث أبينا ، وردد في نفسه : طوال حياتك وأنت أناني ، وهذا العمل الوضيع ليس جديداً عليك ، سوف أطعن في صحة هذه الأوراق ، إنها مزورة ، سأستشهد بأعمامي وبأقاربي ، تذكر خوف أقاربه من أخيه ، حتى لا يتسبب في رسوب أطفالهم في المدرسة حيث يعمل معلماً فيها ، الكل جبان ، ولكن ألا يوجد رجل واحد شجاع يقول كلمة حق ، إن أباه لم يبع الأرض ، وإن بصمته على العقد وهو على فراش الموت باطلة ، لم يحترم شيخوخة أبيه ، ولم يخف من حرمة الموت ، ولكن عمي عبد المعطي رجل صالح وسيقول كلمة الحق .

السيارة تسير بسرعة ، المسافة طويلة ، أغفى قليلاً من شدة التعب فخيل إليه أنه يمسك بتلابيب شقيقه ويتماسكان بالأيدي ، أصواتهما عالية ، تجمع الناس يتسلون برؤية الشقيقين اللذين يتصارعان من أجل الميراث ، صحا فجأة من غفوته وصمم أن يعرض

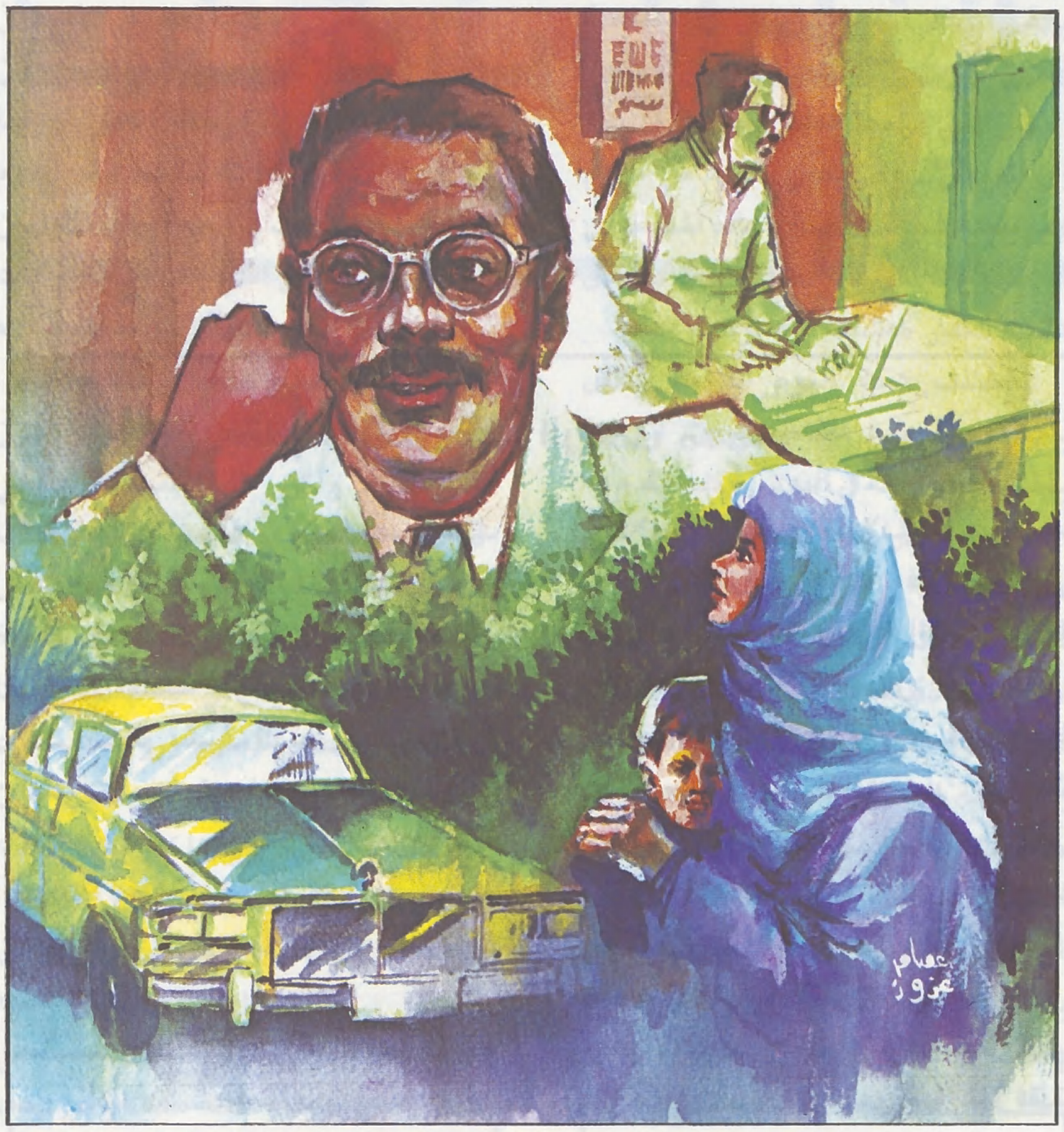

الموضوع بلين ورفق ، حتى يعطيه المبلغ الذي طلبه الطبيب لعلاج طفله ، إن الدم لا يمكن أن يصبح ماء ، هكذا قال الأجداد ، إن أخي لن يخذلني ، وسوف يعطيني المبلغ ، الأفكار تتكاثر في رأسه حتى كاد ينفجر ، السيارة تنهب الأرض ، أخذ محمد يشغل ناظريه برؤية الحقول الخضراء والأشجار العالية وأحياناً يتصفح الصحيفة اليومية ، السيارة تقترب من القرية التي ظهرت من بعيد وسط الحقول الخضراء ، عرفها بالمئذنة العالية ، الجامع العمري ، كم صعد إلى المئذنة وهو صغير ، وظل يدور في درجاتها رغم إحساسه بالدوار ، ولكنه كان يجد متعة كبيرة في الصعود ورؤية القرية والناس من أعلى المئذنة ، السيارة تقف أمام القرية ، نزل يحمل حقيبة صغيرة ، وجريدته اليومية ، الطريق الوحيد للقرية ضيق ومزدحم ، إنه سوق القرية ، الأجساد تتلاحم من شدة الزحام ، والأصوات يختلط بعضها ببعض ، سار بصعوبة يشق طريقه حتى خرج من زحام السوق ، اقترب من المنزل ، من على بعد يبدو كقصر ضخم ، ولكنه في الحقيقة المنزل القديم ، ولكن والده أعاد بناءه حتى يليق بأولاده الموظفين على حد تعبيره البسيط ، أخذ يجمع شتات فكره ، كيف يواجه أخيه ؟ لعل الله يهديه ويعطيه المبلغ الذي طلبه الطبيب .

سار بخطوات وئيدة ، وفجأة سمع صراخاً عالياً وأنيناً ينبعث من منزل أخيه ، أسرع الخطا ، دفع الباب بشدة ليعرف الخبر ، نسي كل شيء لم يبق في ذاكرته سوى الصراخ ، دلف بسرعة إلى مصدر الصوت ، حجرة أخيه ، هاله ما رأى .. أخوه أسلم الروح ، الجسد مسجّى على الفراش ، زوجته تبكي وتصرخ ، وأطفاله التفوا حول الجثمان يبكون ؛ ارتمى فوق جسد أخيه يقبله والدموع تنهمر بغزارة من عينيه ، أحس بالدنيا تظلم في وجهه ، وبالدموع تتحجر في عينيه من شدة الحزن ، هدأ من روعة أطفال أخيه وأبعدهم عن الجسد ، سرعان ما تجمع الأقارب ، وجد نفسه يسير في جنازة أخيه ، الكل يشد على يده بقوة ويقدم العزاء ويوصونه بأولاد أخيه الصغار فليس لهم أحد غيره ، فكان يردد : طبعاً ... طبعاً ، انتهت مراسم الدفن بسرعة ، لقد نسي كل شيء عن الميراث وعن سبب مجيئه ، لم يعد يفكر إلا في أولاد أخيه وزوجته المسكينة ، هاله ما صارت إليه ، أصبحت امرأة أخرى غير التي عرفها في صدر شبابه ، ترتدي السواد ، الشعيرات البيضاء تسللت بكثرة إلى رأسها ، التجاعيد ملأت وجهها ... مسكينة أنت يا سلمى ، سوف أكون لأولاد أخي الراحل عماً وأباً ، إنه يشعر بأنهم قطعة منه ، وعد زوجة أخيه بمداومته على زيارتهم والاطمئنان عليهم وإجابة مطالبهم فشكرته وهي تغالب دموعها .

لقد صمم أن يترك حقه في الأرض لأولاد أخيه ، إنهم أحق بها الآن خاصة بعد وفاة عائلهم ، سوف يربيهم على الحب والعطف والتعاون ، حتى يشبوا على ذلك .

مكث أسبوعاً في القرية يتلقى العزاء حيث قدم كثيرون لذلك ؛ أما طفله الصغير ، فسوف يخصص جزءاً من معاشه لمواجهة تكاليف العملية الجراحية ، ولم ينس قبل سفره أن يزور قبر أخيه .. المكان ساكن .. الهدوء الموحش يخيم على المكان ، رائحة الموت تبدو في كل مكان ، قرأ له الفاتحة وطلب من الله له الرحمة والغفران ، وردد بصوت خافت : نم يا أخي مطمئناً ، فليرحمك الله وليغفر لك .. سار بخطوات ثقيلة ، ثم وجد نفسه في السيارة لتقله إلى الإسكندرية .

من قضايا الأسرة

كيف توفرين لطفلك نوماً هادئاً

بقلم : أمال عبد الرحمن محمد

■■ أختي المسلمة .. بحكم مسؤوليتك الجسيمة في الإسلام كأم يقع عليك العبء الأكبر في إعداد الأجيال الصالحة وأنت تؤسسين اللبنة الأولى في حياة الصغير، وحتى نحظى بشرف الدنيا وثواب الآخرة ينبغي علينا أن نحمي أطفالنا من الاضطرابات، وأن نوفر لهم طفولة سعيدة ومناخاً أسرياً مستقراً. وأهم ما ينبغي أن نوفره لهم هو النوم الهادىء المستقر.

أهمية النوم

ولا شك أن كل ما في الكون ينطق بعظمة الخالق سبحانه؛ فما من نظام في الكون، بل وفي حياة البشر إلا ويجد فيه المتأمل مسحة من الإبداع في الخلق، وآية من آيات الله، ولنتدبر حكمة الله عز وجل في أنه يخلق الشيء ونقيضه؛ فلقد خلق الذكر والأنثى، والملح الأجاج والعذب الفرات، والليل والنهار، وخص النهار بالحركة والليل بالسكون، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (الإسراء : ١٢).

ذلك أن الإنسان لا يمكن أن يعيش دون أن تتخلل حياته فترات للراحة والسكون، والنوم إحدى الظواهر الطبيعية التي لا يستطيع الفرد أن يستغني عنه، فقد يصبر على طعامه وشرابه ولكنه لا يصبر على النوم.

ولقد أجريت بعض التجارب على الكلاب، فوجد أن الكلاب إذا حرمت من النوم لعدة أيام تموت. فإذا كان الفرد الراشد لا يمكن له مقاومة النوم، فما بال أطفالنا الصغار! ذلك لأن النوم هام في حياة الطفل، فهو يعوضه عن الإجهاد الجسمي والذهني والعصبي، كما يمثل وظيفة حيوية ليقي الطفل من حلول التعب مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ﴾ (النبأ ٩ - ١١) وهو ما يؤكد أن الله عز وجل جعل النوم لراحة الأجسام، وليعوضها عما فقدته من نشاط وحركة أثناء النهار؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً ﴾ (الأنعام : ٩٦) ليجد الناس في الليل فرصة مناسبة ووقتاً هادئاً للراحة؛ فضلاً عن أن النوم بحد ذاته آية من آيات الله، لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ (الروم : ٢٣) إذ أن في النوم واليقظة عبرة لمن يعتبر.

مواجهة بعض المشاكل تحول دون النوم

ولهذا ينبغي أن نوفر لأطفالنا نوماً هادئاً مستقراً مريحاً، خاصة أن بعض الأطفال يواجهون مشاكل في نومهم، وفي الانتقال من حالة اليقظة إلى حالة النوم، فقد يخاف الطفل من النوم؛ لأنه مرتبط في ذهنه بالوحدة والظلام، وقد تكون الصعوبة في النوم نتيجة شعور الطفل بالقلق والخوف والتوتر النفسي، وقد

كلمة

مشاركة المرأة المسلمة

□□ من الرسائل التي تلفت النظر - حول نتائج « استطلاع الرأي » - رسالة أخت - طالبة بكلية الزراعة بالقاهرة - تقول في مطلعها إنها تابعت هذه النتائج بنهم واهتمام شديد، وسعدت بما كان من وعي الإخوة القراء .. وتضيف: « ... ولكن بقدر سعادتي، فقد حزنت وأسفت أسفاً شديداً لحجم مشاركة المرأة المسلمة في الاستطلاع، حيث بلغت نسبته ٢٫٩٢٪ .. » ..

وترجع الأخت هذا إلى عوامل كثيرة؛ مما يدل على فهمها الصحيح للأسباب التي انتهت إلى واقع المرأة المسلمة اليوم، ولكنها ترى من هذه الأسباب أن المساحة التي تخصصها « الأمة » للمرأة « باب الأسرة المسلمة » لا تزيد عن صفحتين من مجموع عدد صفحات المجلة (٩٦ صفحة) أي بنسبة ٢٫٠٨٪ وهي - حسب ما تقول - أقل من نسبة مشاركتها في استطلاع الرأي ..

ونحن نتفق مع ما جاء في رسالة الأخت الكريمة من أن المرأة المسلمة لا تزال غير متمثلة لدورها الكامل في الحياة الإسلامية، لعوامل كثيرة تحتاج معالجتها إلى زمن، غير أن ملاحظتها الأخيرة قد لا تعبرٍ عن الحقيقة؛ ذلك أن القضايا التي تطرحها « الأمة » عموماً لا تختص بالرجل وحده، ولعل هذه الملاحظة قد جاءت نتيجة التصور السائد في عصرنا، بحصر وتحجيم دور المرأة واهتماماتها في عدد من القضايا المحدودة، الأمر الذي أحدث نوعاً من الانفصام في المجتمع ..

والحقيقة أن هذا الأمر يتناقض إلى حد بعيد مع التصور الإسلامي لدور المرأة المسلمة ومشاركتها في الحياة العامة في الصدر الأول، فقد بايعت .. وعاهدت .. وجاهدت في سبيل الله .. وحدَّثت ..

وكأن المطلوب أن ترفع عن المرأة بعض القيود التي كانت وريثة العادات والتقاليد، وظنَّها الناس - مع الزمن - أنها من الدين .. □□

يكون السبب اضطراباً في بعض الغدد وسوء الهضم أو الإمساك ، وربما كان نتيجة المناخ الأسري غير المستقر ، وقد يخاف الطفل من النوم نتيجة مشاهدته بعض المناظر المخيفة بالنهار ، أو مشاهدة أفلام الرعب والعنف ؛ ذلك لأن خبرات النهار التي مر بها الطفل يصطحبها معه إلى الفراش ، وقد يكون خوفه من النوم لأنه يفقده فجأة الاتصال بعالم المحسوس أو يشعر الطفل أنه يفقده ميزة يحصل عليها الكبار كمشاهدة مسرحية مثلاً .

وتختلف كمية النوم اللازمة للطفل باختلاف السن : فالطفل حديث الولادة يقضي معظم وقته في النوم ، وكلما تقدم به السن كلما تقل كمية النوم اللازمة له ، حتى تصل إلى الوضع الطبيعي وهو ثماني ساعات تقريباً ، ولا يجوز تحديد ساعة محددة لنوم الطفل ، كما لا ينبغي ترك الأمور بغير تنظيم ، إذ أن ذلك يعود إلى صحة الصغير ، كما يرجع أيضاً إلى حالة الطفل الجسمية من حيث الصحة العامة والتغذية ، وإلى الحالة النفسية من حيث الهدوء أو الاضطراب ، كما يتوقف على مناخ النوم من حرارة ورطوبة وغطاء .

إيجاد جو مريح ومشجع على النوم

ولقد ثبت أن من ينام في ظروف طيبة يحتاج لمدة أقل من الظروف غير المناسبة ، فينبغي تعويد الطفل الاعتماد على نفسه منذ طفولته الباكرة ، كأن يشعر أن له كيانه المستقل وممتلكاته ، حتى ننمي فيه الثقة بالنفس ، ولا يعتمد على غيره في تدبير أموره في كل صغيرة وكبيرة ؛ لأن ذلك يمتد أثره إلى مرحلة الكبر ، وربما واجهت الأم صعوبة بالغة بعد قدوم مولود آخر ، حيث لا يريد الطفل الأول أن يتنازل عن بعض امتيازاته ، ويكون ذلك نواة لنشأة الغيرة عنده ، وتستطيع الأم الحاذقة أن تعالج هذه المواقف بحكمة .

ومعظم حالات النوم المضطربة تكون عرضية ، ولكن إذا استمرت ينبغي دراسة الأسباب والعمل على علاجها بالطرق المناسبة ، ويتوقف اتجاه الطفل نحو الذهاب للفراش على اتجاهات الأسرة كلها ، حيث تغرس في طفلها اتجاهات إيجابية نحو النوم ، وتنبع تلك الاتجاهات من العلاقة السائدة بين الأمهات والأطفال ، وربما كان بعض الآباء يمارس سلطة شديدة على الأطفال ، فيصدر الأب أمراً للطفل أن يتوجه إلى الفراش ؛ مما يجعل الطفل يكره النوم ويعتبره وسيلة للعقاب ، كما يوحي للطفل بأن النوم وسيلة عقاب وأمر يجب تجنبه أو تفاديه ، كما ينبغي عدم تخويف الطفل بأشياء لإرغامه على النوم ، وأن لا يفرض نظام النوم على الطفل بروح الإرغام ، حيث يتعود المعاناة ، وربما نتج عنه كراهية الوالدين ، كما أنه يخلق مقاومة في الطفل غير ظاهرة ، وبذلك ينعدم التراخي اللازم قبل النوم ، خاصة أن النوم لا يدخل ضمن الأعمال الإرادية التي تخضع لقدرات الإنسان ، بل إن النوم يأتي حسب المناخ الصحي الملائم ؛ الذي يجعل الطفل يشعر بالحاجة إلى النوم ، وبالتالي يذهب إليه وهو راض ، ويفضل الطفل النوم في سرير مستقل وحجرة مستقلة بعد عامين تقريباً ، كما أنه ليس من الحكمة منع الطفل من اللعب فجأة وطلب النوم منه ، بل ينبغي التمهيد له وتخطىء بعض الأمهات في حمل أطفالهن بغرض التسلي بهم ، إذ يتعود الطفل على هذه العادة السيئة ، وقد تسبب لها متاعب في المستقبل .

إرشادات لتفادي المشكلات

وإليك أختي المسلمة بعض الإرشادات التي يمكن بها تفادي مشكلات النوم لدى الأطفال ، والتغلب عليها :

- ينبغي عدم إعطاء الطفل الأدوية المهدئة قبل النوم حتى لا يتعود عليها ، وتجعله مدمناً لا ينام إلا بتناولها .
- نظمي مواعيد نوم طفلك على أن يتسم ذلك بالمرونة .
- اجعلي طفلك يتناول وجبات سليمة ومعتدلة ووفري له جواً من السعادة اليومية واعملي على إشباع حاجاته فإن ذلك يساعده على النوم الجيد .
- وفري لطفلك جواً خالياً من الضوضاء ، وغنياً بالغطاء الجيد .
- لا توقظي طفلك من النوم ليشاهد الضيوف ، أو لأن والده أحضر له قطعة من الحلوى ، أو لأنه مشغول بالعمل طوال النهار ولم يشاهده ، لأنه ربما يجد صعوبة في النوم مرة أخرى .
- اعملي لطفلك حمامات دافئة قبل النوم .

تلك بعض التوجيهات التي أرجو أن تساعدك في رسالتك كأم مسلمة في توفير مناخ النوم المناسب لطفلك .

وفقنا الله في رعاية أجيال أمتنا ..

إصدار جديد

■■ « أروى » مجلة مصورة بالألوان للطفل [٣٤ صفحة] صدر العدد الأول منها عن الاتحاد الثقافي الإسلامي بباريس ، جاءت بديلاً لمجلة « إشراق » التي صدر منها العدد الأول فقط ...

هدفهـا : تأمين حصول الطفل على المعرفة والعلم الصادق والاستمتاع بالتسلية المفيدة ، كما جاء في تقديم العدد ...

من موضوعاته : « المغامرون الثلاثة » المأخوذة عن رواية صلاح حسن « ثمانون عاماً بحثاً عن مخرج » ـ هلال العيد « قصة » ـ أشعة الموت ـ الصياد والحوت ـ آداب إسلامية ـ يوسف عليه السلام ـ ذات النطاقين ـ القدس الشريف ـ شهيد العيد ... إلى جانب الطرائف وأخبار الأطفال وبعض النصائح ... ■■

الواقع الإسلامي في بلجيكا

الجيل الثاني يواجه مخاطر الذوبان

استطلاع

■■ بلجيكا تعتبر من الدول الأوروبية القليلة النادرة التي اعترفت بالدين الإسلامي ، وأقرّت تدريس التربية الإسلامية في مدارسها الرسمية .. وقد جاء هذا التطور نتيجة عدة عوامل مختلفة ، لعل أهمها اتفاقيات العمل لاستقدام اليد العاملة من بلدان العالم الإسلامي .. وحركة الهجرة التي أصابت بلاد المسلمين بشكل عام نتيجة للمعاناة السياسية والاقتصادية ، إلى جانب وجود أعداد لا بأس بها من المتخصصين والدارسين الذين قدموا لإتمام دراساتهم ..

وبعد ست سنوات تقريباً من الاعتراف بالدين الإسلامي .. إلى أي مدى استطاع المسلمون حسن التعامل معه والاستفادة منه ، لتشجيع الدول الأوروبية الأخرى على اتخاذ خطوة مماثلة ..

وإذا كنا نقتصر في هذا الاستطلاع على معالجة قضية معاناة الجيل الثاني في مجتمع أوروبي غير مسلم ، ومحاولات استنقاذه ، فسوف تكون لنا عودة في أعداد قادمة - إن شاء الله - لمناقشة أبعاد الاعتراف بالدين الإسلامي في بلجيكا .. ■■

● الفتيات بقرية « ووتر سكاي » ، في طريقهن إلى مدرسة المسجد ●

● في حصة التلاوة والتجويد ●

●● مهما قيل عن التجارب التي يعيشها المسلمون في مجتمعات الاغتراب - بسلبياتها وإيجابياتها - في أوروبا وأمريكا وغيرها ، فإن التجربة التي يعيشها المسلمون في بلجيكا تظل تجربة جديدة وفريدة في طبيعتها ، فالدولة هناك دولة علمانية ، لكنها تعترف بالإسلام ديناً للجالية الإسلامية .. وتعتمد تدريس مادة التربية الإسلامية ضمن المناهج الدراسية بمدارسها الرسمية حيث يتلقى التعليم أكثر من ثلاثين ألف طالب من الجيل الثاني من أبناء المسلمين ، وتدفع رواتب ما لا يقل عن ثلاثة آلاف معلم لهذا الغرض .. وينتشر في مدنها الكبيرة والصغيرة وفي قراها ما يقرب من مائتي مسجد ، ينظم أغلبها دورات تعليمية للأبناء لحفظ القرآن الكريم ودراسة اللغة العربية في العطلات الأسبوعية والموسمية ..

وبقدر ما يمكن أن تحققه الجالية الإسلامية هناك من فائدة - من خلال ذلك كله - فإن واقعها يحول دون ذلك ، فمعظم أفرادها من العمال البسطاء الذين لا يعرفون قوانين البلاد ، ولا يعرفون ما هي الحقوق التي يمكن أن يتمتعوا بها من خلال هذه القوانين ، كما أن لكل مجموعة من أعضاء الجالية تجربتها المنفصلة عن تجربة الآخرين - وبذلك تساهم سلبياً بتمزيق الصورة الإسلامية ، وإقامة كيانات الجنسيات المختلفة والجماعات المتعددة ، متمثلة في مساجد كثيرة تؤمها أعداد قليلة من المصلين ، ولا يجمعهم في النهاية

■ بلجيكا تعترف بالدين الإسلامي منذ عام ١٩٧٤م .. وتعتمد تدريس مادة التربية الإسلامية ـ ضمن مناهج مدارسها الرسمية ـ لأبناء الجالية الإسلامية من العام الدراسي ١٩٧٦م .

● محمد فياض ـ مسؤول التعليم الإسلامي في قرية «ووتر سكاي» ... المشكلات التي يواجهها الجيل الثاني .. ●

سوى الشعور بالمرارة لضياع أبنائهم ـ من الجيل الثاني ـ أمام أعينهم في مجتمع الاغتراب ، وعجزهم عن استدراك ذلك ـ في معظم الأحيان ـ خاصة في العاصمة والمدن الكبرى ، حيث ينكمش دور الأسرة وتأثير الآباء البسطاء المجهدين ، إلى حد بعيد ...

وهكذا اقتصر الاعتراف بالدين الإسلامي ـ الذي تم عملياً منذ حوالي ست سنوات ، وهي فترة زمنية قصيرة نسبياً ، على ساعتين أسبوعياً من التعليم الإسلامي النظري ، دون القدرة على مراعاة السلوكيات والتربية الخلقية ، إلا بحسب قدرة المعلم وجهده واستعداده وتوجهاته ، ومدى وعيه ومرونته في مواجهة الإدارة البلجيكية ونظامها في التعليم وتعنت بعض أعضائها ، والمواقف النفسية من الإسلام والمسلمين لبعض مديري المدارس ..

ولم يحدث إلى الآن ـ على سبيل المثال ـ أن حظيت أية جهة إسلامية ، حتى المعترف بها ، بحق إتمام عقد زواج شرعي إسلامي ، إلا بعد أن يتم الزواج المدني ...

حول هذا الواقع الإسلامي في بلجيكا .. أبعاده ومشكلاته وقضاياه ومستقبله .. كانت لنا هذه الجولة .. في أكثر من موقع ●●

التربية الإسلامية في مدارس الدولة

منطقة « أنفرس » ، تمثل الإقليم الفلاماني من المملكة البلجيكية ، وأهل هذه المنطقة من الفلامان يعتزون بلغتهم ـ الصعبة ـ ولهم اهتمامات كبيرة بتنمية بلادهم ، التي تعتبر من المناطق الغنية المزدهرة اقتصادياً ، لذلك فهي تحتاج إلى اليد العاملة الأجنبية ، وفي أنحائها الآن تتجمع أعداد كبيرة من العمال المسلمين ـ الأتراك والمغاربة على وجه الخصوص ـ الذين جذبتهم ظروف العمل التي كانت مزدهرة في الستينيات وبداية السبعينيات ، وهم يعيشون هناك مع أسرهم ، وبطبيعة الحال يختلطون ويشاركون البلجيكيين في مرافق الحياة المختلفة ، ويحاولون ـ من ناحية أخرى ـ الاحتفاظ بشخصيتهم الإسلامية ومقوماتها ، حتى لا ينصهروا هم وأبناؤهم في المجتمع البلجيكي الذي يختلف عن مجتمعهم الأصلي كل الاختلاف في دينه وعاداته وسلوكه وتقاليده وأخلاقه ، **لذلك كان أول مظهر من مظاهر المحافظة على كيانهم إقامة المساجد ، فنشطوا لذلك خاصة بعد اعتراف الحكومة البلجيكية بالدين الإسلامي ـ الذي صدر بشأنه مرسوم ملكي في ٢٤ أغسطس (آب) ١٩٧٤م ، وما تلاه من موافقة الحكومة ـ ٢٧ يونيو (حزيران) ١٩٧٥م ـ على إدخال دروس التربية الإسلامية ضمن البرامج المدرسية لأبناء الجالية المسلمة ابتداء من العام الدراسي ١٩٧٥/١٩٧٦م ، وموافقة البرلمان البلجيكي على هذا القرار وصدور المرسوم الملكي بالموافقة النهائية في فبراير (شباط) ١٩٧٨م وإحالة جميع شؤون ممارسة التعليم الإسلامي إلى إدارة « المركز الإسلامي والثقافي » في بروكسل العاصمة ، على أن تقوم الحكومة بدفع رواتب الأساتذة والمعلمين .. (ولنا عودة لمناقشة أبعاد هذه القرارات ومدى استفادة المسلمين منها في موضوعات خاصة قادمة بإذن الله)** ...

والمساجد التي يتوفر عليها هذا الإقليم « انفرس » تقام فيها شعائر صلاة الجمعة ، والصلوات الخمس ، ويقوم الإمام غالباً بتعليم الأطفال اللغة العربية (في مساجد المغاربة بالذات) وتحفيظهم القرآن الكريم يومي السبت والأحد وفي أيام العطلات ، وفي الأوقات التي لا تتعارض مع أوقات دراستهم في المدارس الرسمية .

وأهم مراكز تجمع الجالية الإسلامية في هذه المنطقة : **بوركراوت ، هوبكن ، طمس ، سان نيكولاس ، لوكرن ، كان ، مالين واللومبورج** ..

وفي قرية « **ووترسكاي** » ـ ومعناها ماء السماء ، إحدى قرى الإقليم .. حيث يتجمع عدد كبير من المسلمين (**٧٠٠ عائلة ، منها ٥٠٠ عائلة تركية و ٢٠٠ عائلة مغربية**) كان لنا هذا اللقاء حول الواقع الإسلامي ، واهتمامات الجالية ، والقضايا التي تشغلها ، خاصة ما يتعلق منها بشؤون الجيل الثاني من الأبناء ـ مع أحد معلمي مادة التربية الإسلامية ـ المبعوث من الحكومة التركية لهذا الغرض : **محمد فياض** ..

● **حول مسجد الجالية .. ومشروعاتها في هذا الصدد .. يقول** :

قبل عشرين عاماً ، جاء العمال المسلمون الأتراك إلى هذه البلدة للعمل في الميناء وفي المناجم المنتشرة في المنطقة وفي مصانع الحديد والصلب القريبة .. في البداية لم يكن لديهم مسجد لإقامة صلاة الجمعة أو الصلوات الخمس ، **ثم فتعاونوا على بناء المسجد المقام حالياً في إحدى الثكنات العسكرية للجيش الألماني منذ أيام الحرب العالمية الثانية ، بعد أن أجريت لها الإصلاحات اللازمة ، ورفعت فوقها أول مئذنة تقام في المنطقة ، وبعثت الحكومة التركية عالماً ليؤم الناس في الصلاة ويخطب الجمعة ، ويساهم بتحفيظ الأبناء القرآن الكريم** ..

وعندما زاد أفراد الجالية في القرية ، ولم تعد مساحة هذا المسجد تستوعبهم ، اجتمعوا وقرروا بناء مسجد جديد ، وبدأ المشروع الجديد بشراء فندق القرية « **الاكسلسيور** » بمبلغ ثلاثة ملايين فرنك بلجيكي لتحويله إلى مسجد ومدرسة داخلية ، ولكن مساحة الفندق أيضاً لم تعد كافية ، فقرروا إقامة بناء جديد إلى جواره ، وكانت تقديرات تكاليف المشروع الأول في حدود خمسة ملايين فرنك ارتفعت في المرحلة الثانية بالفعل إلى عشرة ملايين ، الأمر الذي يعتبر فوق طاقة أبناء الجالية ـ حيث إن معظمهم من العمال ذوي الرواتب الضئيلة وليس لديهم مدخرات كافية ـ وبعد جهود كبيرة استطعنا تدبير أربعة ملايين فرنك .. وتوكلنا على الله ، وبدأنا المشروع ـ كما ترون ـ ولكن العمل توقف به حيث لم يبق مال لإتمامه ..

والفكرة الأساسية من هذا المشروع تقوم على تحويل الفندق إلى مدرسة داخلية إسلامية ، يأتي إليها الطالب للإقامة الكاملة مع الدراسة وذلك لاجتذاب أبناء المسلمين من المناطق البعيدة التي لا توجد فيها مدارس إسلامية أو أئمة في المساجد

الجيل الثاني يواجه مخاطر الذوبان

استطلاع

لتحفيظ القرآن الكريم وتعليمهم أمور دينهم ، لكن الفكرة مؤجلة هذا العام رغم أننا اشترينا بعض الأسرَّة والمعدات ، وذلك لقلة الإمكانات المادية ، وقد حاولنا الحصول على معونة مالية من الحكومة البلجيكية ولم نوفق في ذلك **لأن القوانين هنا تقضي بعدم منح المعونات إلا للمدارس التي تطبق منهج التعليم البلجيكي كاملاً ..**

مدرسة المسجد

■■ هذا عن المشروع ـ الذي ندعو الله أن يوفقكم بجهودكم وبمساهمات أهل الخير من المسلمين إلى إتمامه بإذن الله ـ والآن ماذا عن قضية تعليم أبناء المسلمين في هذه البلدة ـ باعتبار أنكم تعملون في هذا المجال بتدريس مادة التربية الإسلامية ؟

ـ .. نعم .. أنا أقوم بتدريس مادة التربية الإسلامية في المدارس البلجيكية الرسمية في هذه المنطقة ضمن سبعة معلمين منهم الإخوة : **مصطفى عقل ، ويونس مصطفى ، وبرهان مصطفى** وغيرهم ، حيث يخصص لكل فصل أو شعبة ساعتان في الأسبوع ، ويقوم كل مدرس بالتدريس مدة ثلاثين ساعة لخمسة عشر فصلاً في هذا الأسبوع (**يبلغ عدد الطلاب من أبناء المسلمين في هذه المدارس (٧٠٠) طالب وطالبة**) ولكن بعد انتهاء برنامج المدرسة البلجيكية ، يتناوب المدرسون أسبوعياً تعليم الأبناء اللغة العربية وتحفيظهم القرآن الكريم والتجويد في المدرسة الملحقة بالمسجد ، أيام الأربعاء مساء والسبت والأحد من الساعة التاسعة صباحاً حتى الثانية بعد الظهر ..

■■ هل تقسمون الطلاب إلى مراحل تعليمية خاصة أم تعلمونهم حسب المراحل المعتمدة في المدارس الرسمية ؟ وماذا عن منهج الدراسة ؟

ـ هناك ثلاث مراحل للدراسة في مدرسة المسجد حسب الأعمار ، **المرحلة الأولى من سن سبع سنوات إلى ١٢ سنة** ، وفيها يحفظ الطلاب القرآن الكريم ابتداء من سورة « **الفاتحة** » حتى سورة « **الأعلى** » ، وحروف الهجاء العربية ـ التي تعتبر ضرورية لقراءة القرآن .. **أما المرحلة الثانية فهي تضم الطلبة حتى سن ١٥ سنة** ، وفيها يتعلمون قراءة القرآن الكريم وحفظه بالكامل **والمرحلة الثالثة حتى سن ١٨ سنة** ، ويتعلم الطلاب فيها علوم القرآن الكريم .

■■ هل تعلمونهم شيئاً من تفسير معاني القرآن الكريم ، والحديث والأحكام الفقهية ؟

ـ هذا يتم في المدارس الرسمية ، حيث نعلمهم أصول العقيدة ودروساً من سيرة رسول الله ﷺ ، وجوانب من التربية الإسلامية .. هذه كلها تُدرس في المدارس الرسمية .

صلاة الجمعة

■■ هل يسمحون في المدرسة البلجيكية الرسمية بتعليم أبناء المسلمين العبادات بصورة عملية ـ مثل الوضوء والصلاة ، وان يخرج الطلاب من الصف ، ليتوضؤوا بإشرافكم ؟

ـ نعم يسمحون بذلك ، ولدينا سجادة للصلاة في القسم ، حيث نقوم بتعليم الطلاب عملياً كيف يسبغون الوضوء ، ثم يقوم أحدهم بأداء الصلاة أمام زملائه بإرشاد المعلم الذي يجيب على أسئلتهم بهذا الخصوص .. ونحن نشجع الطلاب على أن يحضروا إلى المسجد لأداء الصلاة مع أهلهم أيام السبت والأحد ، ولأداء صلاة الجمعة ـ بالنسبة للفصل الذي يدرس تربية إسلامية فقط وقت صلاة الجمعة ، حيث نخرج بهم إلى المسجد ..

■■ وماذا عن بقية الطلاب الذين لا يدرسون في وقت صلاة الجمعة مادة التربية الإسلامية ، ألا يسمحون لهم بأداء الصلاة في المسجد باعتبار أن الحكومة تعترف بالدين الإسلامي والجمعة فريضة في الإسلام ؟

ـ لا يسمحون لهم إلا إذا كانوا يدرسون مادة التربية الإسلامية في الوقت نفسه ..

■■ لماذا لا يُطلب من المدرسة أن تسمح بذلك ؟

ـ سبق أن طلبنا ذلك ، ولكن المدير يقول : ـ لأسباب أمنية تتعلق بسلامة الطلاب في الطريق ـ كيف تمشون بأعداد كبيرة تصل إلى الخمسين هكذا في الطريق ، أما بالنسبة لعدد الطلاب في حصة التربية الإسلامية فلا يتعدى عشرة أو خمسة عشر طالباً وعموماً فإن الآخرين يخرجون إلى المسجد في ساعات أخرى ..

■■ هناك نقطة هامة نود أن نقف عندها وهي خاصة بمستوى التحصيل الدراسي لأبناء المسلمين في المدارس البلجيكية .. وهل يتفوقون في دراستهم بالنسبة لأبناء البلاد ؟

ـ في الحقيقة لا يتفوقون لأن هناك عقبة هامة في هذه المنطقة بالذات التي تتحدث اللغة الفلامانية ، فهذه اللغة صعبة للغاية ، وقد يدرس الطالب خمس سنوات أو عشراً ولا يستطيع أن يتقنها ..

■■ هذه مشكلة حقيقية قد تحدث تخلفاً علمياً ..

ـ نعـــم .

■■ وبعد انتهاء مرحلة الدراسة الثانوية ، هل يذهب الطلاب إلى الجامعة لإتمام دراستهم العالية والتخصصية ؟

ـ لا توجد جامعة في هذا البلد .. أما عن عدد الذين يتمون دراستهم العالية من أبناء المسلمين في الجامعة ، فيكاد لا يُذكر ، فهم يذهبون بعد دراستهم المتوسطة للعمل في الموانىء والمصانع مثل آبائهم .. أو يعملون بالتجارة في بعض الأحيان ، ونحن لا نعرف من أبناء المسلمين حتى الآن مهندساً أو طبيباً ، وجميع الذين يدرسون في الجامعات البلجيكية من المسلمين هم مبعوثون من بلادهم لإتمام دراساتهم وإجراء تخصصاتهم .

■■ معنى ذلك أن المسلمين سوف يستمرون في واقعهم ولن يكونوا قادرين على تجاوزه إذا لم يستطع أبناؤهم متابعة التحصيل الجامعي !!

■■ ننتقل إلى نقطة أخرى في الحوار حول علاقة المسلمين مع الآخرين من أهل البلد من البلجيكيين .. كيف ترون هذه العلاقة على ضوء ممارستكم الحياة الاجتماعية في المدرسة وفي مجتمع الغربة ؟

ـ علاقة المسلمين مع الأهالي هنا جيدة ، وليست لدينا أية مشكلة كما يحدث أحياناً في هولندا أو ألمانيا مثلاً ..

■■ طبعاً المسلم صاحب رسالة نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ..

فهل تحاولون تعريفهم بالإسلام ، وتبينون لهم أنه دين الله للناس جميعاً ؟

ـ نعم ، يحدث هذا ، وفي كل عام يعتنق الإسلام اثنان أو ثلاثة من البلجيكيين ، وهناك فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها أسلمت قبل أيام .. وهؤلاء والحمد لله يحسن إسلامهم ، أما من يسلمون من أجل الزواج فعددهم أكبر لكن معظمهم بعد ذلك لا يتمسكون بالإسلام ولا يستمرون عليه ..

■■ الملاحظ أن لكل جنسية من الجاليات الإسلامية كيانها الخاص بها وعملها المنفصل عن الجنسيات الأخرى ، فماذا عن علاقتكم بالمسلمين من أبناء الجاليات الأخرى غير التركية ، مثل المغاربة الذين يعيشون معكم في هذه القرية ؟

ـ المسلمون هنا يتعاونون ، ويتزاورون ويتناصحون ويذكر بعضهم بعضاً بأمور الدين ، خاصة في شأن لباس المرأة ، حيث يتمسك بعضهن باللباس الشرعي وبعضهن يقلدن المرأة الأوروبية ..

●● وقبل أن نغادر قرية « **ووتر سكاي** » ، ومجتمعها الصغير ، نسبياً القريب من بعضه ، حيث استطاع المسلمون فيه أن يحافظوا على

شخصيتهم ، واستطاعت الأسرة المسلمة أن تحتضن - إلى حد بعيد - أبناءها من الجيل الثاني .. توجهنا إلى المدرسة الملحقة بالمسجد ، وتابعنا فصلاً من فصول الفتيات الدراسية ، يقمن فيه بتلاوة القرآن الكريم تلاوة صحيحة وبلسان عربي واضح تمام الوضوح ...

استشعار الخطر

●● وفي المدينة الكبيرة « **بروكسل** » - العاصمة - تختلف ملامح الصورة إلى حد بعيد ، من حيث طبيعة العلاقات ونوع المشكلات والتحديات ، ودرجة حدتها .. وفي واحد من مساجد المدينة التقينا بأعضاء من الجالية الإسلامية القادمين من المغرب - عقب درس من الدروس التي يجتمعون لها بانتظام حول إمام المسجد .. وجرى الحوار الذي اشترك فيه عدد من الحاضرين ..

■■ **وحول أبرز المشكلات التي تواجه المسلمين في مجتمع الاغتراب ، يقول إمام المسجد :**

- المشكلة في الحقيقة لا تخص الإخوة المغاربة ، ولكنها تواجه جميع المسلمين هنا ويستشعرون خطرها ، وهي ضياع الأبناء من الجيل الثاني وذوبانهم نتيجة المعاشرة الطويلة في المجتمع والمدرسة ، وعلى الرغم من الجهود التي يبذلها الآباء في البيت ومحاولة اجتذاب الأبناء إلى المسجد ليتعلموا أمور دينهم ، فإننا نشعر أن الدور التربوي للمدرسة البلجيكية لا يزال هو الدور الأكبر ، وكذلك دور المجتمع غير المسلم وتأثيره عليهم ، فالتلاميذ من أبناء المسلمين هنا هم أبناء المدرسة البلجيكية بدرجة كبيرة ، وهذا الواقع المؤلم يؤرق الآباء والأمهات كثيراً ..

■■ **لكن أمام هذا الواقع الذي تستشعرونه ، ما هي الوسائل التي تحاولون من خلالها حماية الأبناء من الذوبان في هذا المجتمع غير المسلم ؟ ما هو دور المسجد في ذلك ؟ ودور البيت ، ودور التعليم الإسلامي الذي يمكن أن ينظم لهم في أيام العطلات الطويلة والإجازات الأسبوعية ؟ أو بمعنى آخر ، هل فكرتم بوضع حلول لهذه المشكلة من خلال الإمكانات المتاحة ؟**

- الحقيقة - في حدود الإمكانات - يقوم أعضاء الجالية بإقامة المساجد ، ويأتي إليها الأبناء أيام السبت والأحد ، ولكن حاجات الأبناء قد تختلف عن حاجات الكبار ، فهم مثلاً بحاجة إلى النادي يقومون فيه ببعض النشاطات خاصة في العطلة ، وهذا ما لا تستطيع الجالية أن توفره بإمكاناتها المحدودة ..

التحدي .. والذوبان

■■ .. **إذا كنا قد أقمنا المسجد ونحاول أن نجعل الأبناء يترددون عليه ، ولم نستطع أن نحقق بهذا ما نريد ، فهذا في الواقع يستدعي منا أن نفكر بوسائل أخرى في حدود ما نملك من إمكانات ولا نستسلم للواقع ، فعلى سبيل المثال يمكن أن ننظم لهم رحلات مشتركة بمبالغ زهيدة ، خاصة وأن وسائل المواصلات هنا ميسرة والحمد لله ، وتوجد الأماكن المناسبة التي يمكن الخروج إليها ، فقط نتخير الإنسان المسلم الذي يشرف عليهم** ، فيلعب الأبناء ويستفيدون علماً وسلوكاً وخلقاً إسلامياً ، ويتمتعون ، وتتوثق العلاقة بينهم ، ويلتقون ببعضهم في المسجد وفي المدرسة الإسلامية في غير أوقات الدراسة ، بل وفي المدرسة البلجيكية بالنسبة للأبناء الذين يدرسون بالمدرسة نفسها .. ويمكن أن نحاول تجميعهم في مدارس معينة في المنطقة ليشكلوا حجماً يساعدهم على التميز .

هكذا نشعرهم بأنهم مسلمون يجب أن يحافظوا على هويتهم ، ويعتز كل منهم بإسلامه ويشعر بالتحدي من حوله ، فالشعور بالتحدي لا يذوّبه .. **ولكن المهم كيف نصل إلى ذلك من خلال الواقع الذي نعيشه والإمكانات التي نملكها ؟**.. طبعاً كلنا يتمنى أن تكون لدينا الإمكانات الكبيرة التي نستطيع بها أن ننشئ المدرسة الإسلامية الخاصة والنادي الكبير ، ونخلّص الأبناء من مشكلاتهم ونحميهم من الذوبان .. **لكن ليس معنى أنه لا توجد لدينا الإمكانات الآن أن نستسلم للواقع** .. فالمجتمع الذي يعيشون فيه مختلف عنا في ثقافته وفي دينه وفي نظرته للحياة وفي علاقاته الاجتماعية ، ولا بد أن نهيء المناخ السليم لأبنائنا حتى لا ينحرفوا .. فهل نعالج هذه القضية بالإكراه والإجبار في مجتمع يدعو إلى الحرية في العلاقات ، ويحصل الإنسان فيه من سن مبكرة على كامل حريته ؟ وهل نستطيع أن نطبق الوسائل التربوية نفسها التي نعرفها في بلادنا - في العالم الإسلامي - على أبنائنا هنا وتأتي بنتائج مثمرة ، أم يجب أن نفكر بطريقة تربوية أخرى ..؟

إن مثل هذه القضايا هي الهاجس الذي لا بد أن يشغل فكر المسلم في هذا المجتمع باستمرار .

- **في الحقيقة ، يواجه المسلم تحديات كثيرة في المجتمع هنا ، ثقافية ومادية واجتماعية وخلقية ، وقد تكون الوسائل التي يملكها ضعيفة ، وقد لا تكون ضعيفة ولكن بعض الإخوة عاجز عن الاستفادة منها ، وبعضهم الآخر قد يستسلم للواقع ويُحَمِّلُ المدرسة والمجتمع المسؤولية كلها ، فيفقد الأمل ، ويبدأ اليأس يتسرب إلى نفسه ، فلا يخسر ابنه فقط بل يخسر نفسه أمام الله تعالى حيث لم يقم بواجبه ، إلا أن جانباً من المشكلة الأساسية يكمن في بعض الآباء أنفسهم الذين يفتقدون النشأة الإسلامية والتربية الإسلامية ..**

■■ إذا كان بعض الآباء لم ينشأ نشأة إسلامية فهذا درس لهم لكي يحاولوا تربية أبنائهم وتنشئتهم تنشئة إسلامية بزيادة من ثقافتهم قدر المستطاع ، والاستفادة من واقعهم الذي لا يرضون عنه . وحتى يكون أبناؤهم في الجيل الثاني أفضل منهم ؛ يجب أن يبذلوا من الجهد ما لم يبذله آباؤهم ..

وقد يكون من المناسب أن يتوسع المسجد هنا في رسالته ، فيتقدم بعض العارفين بقضايا التربية من المثقفين - بالقدر المتوفر - لتوعية الآباء وإشعارهم بمسؤوليتهم تجاه الأبناء عن طريق ندوات .. فإن ما يوفره الآباء من طعام وشراب ولباس لأبنائهم هي وسائل وليست غايات ، أما الغاية فهي تربية الابن على الإسلام .. وليستمع كل أب لتجربة الآخر في حل مشكلة ابنه ، وليتعاون الجميع في حل مشكلة هذا الابن ، ومن كانت لديه خبرة ينقلها لمن لا خبرة لديه ..

- **نعم .. في الواقع توجد آفاق كثيرة نملكها ، ويبقى أن نتعاون على استخدامها لعلنا نصل بقضية الأبناء إلى حل ما ..**

●● وفي « **مولنيك** » - أحد أحياء العاصمة

الجيل الثاني يواجه مخاطر الذوبان

استطلاع

● المسجد الجديد بالقرية ، يفتتح هذا العام ليستوعب الأعداد الكبيرة من أبناء الجالية الإسلامية .. ●

● الموانىء والمصانع .. هي المواقع التي بدأ العمل فيها منذ عشرين عاماً ، وهي مجال العمل اليوم للجيل الثاني (!!) ●

البلجيكية ـ هناك مشروع جديد ـ بدأت فكرته منذ عام ونصف العام ولم يكتمل بعد ـ لإنشاء مدرسة إسلامية ، تقوم به مؤسسة خاصة باسم : « **الجمعية التربوية لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية** » .. ويعتمد بالدرجة الأولى على تبرعات المسلمين .. وكان لنا هذا اللقاء مع واحد من اثنين يقومان بالتدريس بالمدرسة حالياً ، اسمه أبو معاذ نور الدين ، جاء إلى بلجيكا من المغرب ـ بعد دراسة أدبية وقانونية غير كاملة لمدة أربع سنوات ، وبدراسات إسلامية خاصة ..

واقع الأبناء

■■ **يقول عن أسباب الاتجاه بالتفكير لإقامة هذه المدرسة :**

ـ إنها محاولة لحل مشكلة أبناء الجالية الإسلامية في المجتمع الأوروبي ، حيث تغلب عليهم فيه العجمة والبعد عن عقيدتهم الإسلامية وتعاليمها .. الأمر الذي يحتاج إلى دراسة واسعة ومستفيضة لنفسية هؤلاء الأبناء على ضوء المؤثرات الموجودة ، لأننا في الحقيقة نخسر أبناء المسلمين في هذه البلاد ..

■■ **حينما شعرتم بالحاجة إلى مثل هذه الدراسة ، هل سجلتم شيئاً من الملاحظات عن واقع الأبناء والمؤثرات الخارجية في البيئة التي يعيشون فيها ، وعن بعض المشكلات التي تواجههم ؟**

ـ هناك مناقشات كثيرة دارت حول هذه الموضوعات ، وقد عقد لذلك مؤتمر خاص في بروكسل مؤخراً ..

■■ **وبالنسبة للبرنامج التعليمي الخاص بالمدرسة والمواد الدراسية ومستوياتها ، هل تم فيها مراعاة استكمال بعض الجوانب التي لا تتوفر في منهج التربية الإسلامية في المدارس البلجيكية الرسمية ، مثل دراسة اللغة العربية للمحافظة على لغته الإسلامية ؟ وهل لوحظ في ذلك معالجة بعض المشكلات التي يمكن أن يواجهها الأبناء في المدارس الرسمية ؟**

ـ في الحقيقة لم توضع برامج مكتوبة ومدروسة في هذا المجال ، ولكن توجد فترات حرة للطالب يطرح من خلالها معاناته ، ويمكن معالجتها عن طريق بعض الأساتذة والمتخصصين ممن لديهم تجربة أكبر وإعطاء بعض الإرشادات .

■■ **كم يبلغ عدد الطلاب حالياً في المدرسة ؟**

ـ ما بين ١٨٠ إلى ٢٠٠ طالب .. والعدد يزيد وينقص لأن الآباء يسحبون أبناءهم أحياناً من المدرسة ..

■■ **في تقديرك ، ما هي الأسباب التي تدفع الآباء لسحب أبنائهم من المدرسة بعد أن كانوا قد أقدموا على إرسالهم إليها لحفظ دينهم ولغتهم ؟**

ـ في الحقيقة لا نستطيع أن نعرف السبب بالضبط ، وقد يختلف من شخص لآخر ، ونحن في المدرسة مدرسان فقط نقوم بالتدريس لهذا العدد الكبير ، ولا نستطيع أن نفي بالشروط المطلوبة كاملة لأداء هذه المهمة ، بالإضافة إلى أن هناك مستويات مختلفة من الطلاب في القسم الواحد ، منهم من يعرف المبادىء الأولية في اللغة العربية ، ومنهم من لا يعرف ، فكيف نخصص لكل منهم وقتاً معيناً .. هي مشكلة بالفعل نحاول أن نحلها بإنشاء قسم ثالث ... إلا أن بعض الآباء سحبوا أبناءهم ـ وهم قليل ـ لأنهم يسكنون في مناطق بعيدة ..

القابلية

■■ **وماذا عن المنهج والمواد التي تدرسونها والكتب التي تعتمدونها في التدريس وأوقات الدراسة ؟**

ـ بالنسبة للمواد ، ندرس اللغة العربية في مستويين ، التحضيري الأول والتحضيري الثاني ـ أما الكتب التي نستعين بها فهي الموجودة هنا في السوق ، ربما تكون هناك كتب أفضل منها لكننا لم نستطع أن نتوصل إليها بعد ولكننا نسعى دائماً لتحسين وضعية التعليم .

■■ **لعلكم تعرفون أن تدريس المبادىء الأولى للغة العربية يمكن أن يكون من خلال تركيب كلمات تؤدي إلى خدمة الطالب في عقيدته وتتضمن بعض الأوامر الشرعية ، فحينما تكون الصياغات هادفة فإنها تعلم اللغة وفي الوقت نفسه تؤدي مهمة تربوية ، حيث يتعلم الطالب الدين من خلال مبادىء اللغة العربية .. فكأن الأمر هنا يحتاج إلى كتب من نوع معين ..**

ـ هذه في الحقيقة بداية بالنظر إلى الناحية المادية غير المتوفرة حالياً ، فنحن نستعين بالكتب والقصص الإسلامية المتاحة ، وإلى جانب تدريس اللغة العربية ندرّس العقيدة والعبادات والسيرة .. أما عن أوقات الدراسة فهي : يوم الأربعاء مساء

● ثكنة عسكرية من أيام الحرب العالمية الثانية ، ارتفعت فوقها أول مئذنة في المنطقة لتكون المسجد ●

● التعليم الإسلامي في مدرسة المسجد يوم عطلة نهاية الأسبوع .. ●

● فندق «اكسلسيور» بقرية «ووترسكاي» ـ مشروع المدرسة الإسلامية الداخلية ـ ●

من الساعة الثانية حتى السادسة ، ويومي الخميس والجمعة من السادسة والنصف حتى الثامنة ، ويومي السبت والأحد من التاسعة صباحاً حتى الواحدة ومن الثانية حتى السادسة ، بالإضافة إلى أننا نستغل أيام العطلات الطويلة .

■■ وماذا عن قابلية الطلاب للدراسة وحضور هذا البرنامج رغم أنهم ينتظمون في المدارس البلجيكية ؟

ـ هناك قابلية كبيرة ، وقد بدأنا مؤخراً في تدريس منهج لتحفيظ القرآن والتجويد ، وهو يلقى قابلية كبيرة أيضاً ..

■■ هل هناك تعاون مع بعض العاملين في حقل التعليم الإسلامي في بلجيكا من خلال مشاريع مماثلة أو مساجد تقوم بالتدريس للاستفادة من التجارب المختلفة ؟

ـ منذ البداية ونحن نتبادل البرامج مع بعض المعلمين ، ولكن لا يوجد التنسيق الكامل ، ونطمح أن يتم ذلك إن شاء الله حتى تكون الجهود متآزرة ولا يبقى كل فرد يعمل بمفرده وكل واحد منفصلاً بتجربته عن الآخر ، فالجهود حالياً موزعة ومبددة ، والتمزق يُعمّق في المجتمع الإسلامي ، وهذا سوف لا يؤدي إلى وحدة ثقافية منسجمة بين المسلمين .

● أبو معاذ نور الدين ـ المدرس بمدرسة الجمعية التربوية لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في بروكسل :

« مطلوب دراسة موسعة ومستفيضة لنفسية الطفل المسلم على ضوء المؤثرات الخارجية في المجتمع الأوروبي » ●

دور من نوع آخر !

■■ في الحقيقة : ما دام قد تم الاعتراف بالدين الإسلامي وتقرر تدريس مادة التربية الإسلامية في بلجيكا ، فيجب أن يتعاون المسلمون على التفكير باتجاهين ، الاتجاه الأول يهتم بوضع منهج مادة التربية الإسلامية في المدارس البلجيكية وأسلوب تدريسها ، واتجاه آخر يهتم بما يمكن أن يتم من صور تعليمية في أيام العطلات بالمساجد والمدارس الإسلامية الخاصة .

ـ أعتقد أن المشكلة يمكن أن تحل بكيفية جذرية عن طريق إنشاء المدرسة الإسلامية الكاملة الخاصة لأبناء المسلمين ..

■■ هذه قد تحل مشكلة حي من الأحياء ، أما كيف أستطيع أن أنشىء مدارس لأبناء المسلمين في بلجيكا كلها ، الذين يزيد عددهم عن ٣٠ ألفاً .. والحل العملي هنا هو انني استدرك المواد الدراسية العلمية لأبناء المسلمين من المدارس البلجيكية التي تنفق عليها الدولة ، حيث يمكن أن يحصل الطالب المسلم فيها على سوية تعليمية جيدة ، لو أحسنا نحن الاستفادة من الساعتين الاسبوعيتين في تقديم الثقافة والتربية الإسلامية والعقيدة الإسلامية واللغة العربية ، ويكون في هذا خير كثير .. وبقدر ما يستفاد من تدريس مادة التربية الإسلامية في المدارس البلجيكية الرسمية ، فإن هذا سوف لا يغني عن التعليم في المساجد والمدارس الإسلامية الخاصة .. لأن لها دوراً من نوع آخر ...

الصوم .. والقرآن

بين الصوم والقرآن صلة متينة عميقة ، وذلك لأن رمضان قد أنزل فيه القرآن ، فكان مطلع الصبح الصادق في ليل الإنسانية الغاسق ، فحسن أن يقرن هذا الشهر بالصوم كما يقرن طلوع الصبح الصادق بالصوم كل يوم ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يكثر من القرآن في رمضان ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة »

[أبو الحسن الندوي]

من نور كتاب الله

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٥) .

شهر الصبر والمواساة

روى ابن خزيمة في صحيحه ، قال : قال سلمان الفارسي رضي الله عنه :

خطبنا رسول الله ﷺ آخر يوم من شعبان فقال :

« يا أيها الناس ، قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ...

وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة . وشهر المواساة ، وشهر يزداد رزق المؤمن فيه ... وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ... فاستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم ؛ وخصلتين لا غناء لكم عنهما ...

فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه .

وأما الخصلتان اللتان لا غناء لكم عنهما : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار ... » .

قصة مثل

كمجير أم عامر !..

وهو يضرب في التنكر للمعروف ..

كان من حديثه أن قوماً خرجوا إلى الصيد في يوم حار ، فإنهم كذلك إذ عرضت لهم أم عامر وهي : « الضبع » ، فطردوها واتبعتهم حتى ألجؤوها إلى خباء أعرابي ، فاحتمته ، فخرج إليهم الأعرابي ، وقال : ما شأنكم ؟

قالوا : صيدنا وطريدتنا . فقال : كلا والذي نفسي بيده لا تصلون إليها ماثبت قائم سيفي بيدي . قال : فرجعوا وتركوه ؛ وقام إلى لقحة فحلبها ، وماء فقرب منها ، فأقبلت تلغ مرة في هذا ومرة في هذا حتى عاشت واستراحت ؛ فبينا الأعرابي نائم في جوف بيته إذ وثبت عليه فبقرت بطنه ، وشربت دمه ، وتركته . . فجاء ابن عم له يطلبه ، فإذا هو بقير في بيته ، فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها ، فقال : صاحبتي والله ، فأخذ قوسه وكنانته واتبعها ، فلم يزل حتى أدركها ، فقتلها ، وأنشأ يقول :

ومن يصنع المعروف في غير أهله ... يلاق الذي لاقى مجير أم عامر
أدام لها حين استجارت بقربه ... بها محض ألبان اللقاح الدرائر
وأسمنها حتى إذا ما تكاملت ... فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف : هذا جزاء من ... بدا يصنع المعروف في غير شاكر

(الأمثال العربية ومصادرها في التراث)

فــــرض الصِّيـــــام

كان فرض الصيام في السنة الثانية من الهجرة ، فتوفي رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضانات ؛ وفرض أولاً على وجه التخيير بينه وبين أن يطعم عن كل يوم مسكيناً ، ثم نقل من ذلك التخيير إلى تحتم الصوم ، وجعل الإطعام للشيخ الكبير والمرأة إذا لم يطيقا الصوم فإنهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكيناً ، ورخص للمريض والمسافر أن يفطرا ويقضيا ، وللحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما كذلك ، فإن خافتا على ولديهما زادتا مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم ، فإن فطرهما لم يكن لخوف مرض وإنما كان مع الصحة ، فجبر بإطعام المسكين كفطر الصحيح في أول الإسلام . . .

[ابن قيم الجوزيــــة]

الهـــــــدف الحـــقيقي

ليس هدف الصوم هو هذا الألم البدني ، وإن كان هذا الألم قد يقع في طريقه ، إن الله عز وجل حين قال لنا ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ لم يقل « لعلكم تتألمون » أو « تصحُّون » أو « تقتصدون » وإنما قال : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فجعل الصوم اختباراً روحياً وتجربة خلقية ، وأراد منه أن يكون وسيلتك إلى نيل صفة المتقين وأداتك في اكتساب ملكة التقوى . . . التقوى : هذا هو الهدف الحقيقي الذي إن أصبته جاءت من ورائه كل الثمرات مكرهة راغمة ، وإن أخطأته فقد أضعت عملك سدى .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾

[محمد عبد الله دراز رحمه الله]

مــن الفقيـــــه ؟

روي عن علي أنـــه قال :

ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه ،

الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ،

ولا يرخص للمرء في معاصي الله ،

ولا يدع القرآن رغبة إلى غيره ، إنه

لا خير في عبادة لا علم فيها ،

ولا خيـر في علم لا فقه فيه ،

ولا خير في قراءة لا تدبر معها . . .

[كتاب العلم للحافظ أبي خيثمة]

رجــولة مستعلنـــــة

الصوم وسيلة لتربية إرادة الأمة تربية حازمة ، فما الصائم إلا رجل يمارس في نفسه التغلب على اللذة المباحة حتى يستطيع التغلب على اللذة الآثمة ، ويتعهد نفسه بالامتناع عن المأكل والمشرب مختاراً حتى يستطيع الصبر على الجوع والعطش حين يضطر إلى ذلك اضطراراً . . .

ورمضـــان شهر الرجولة المستعلنة التي تكبح جماح غرائزها ، وشهر الإرادة المستعلية التي تأخذ باختيار وتدع باختيار ، فما أجمل أن يشمل رمضان الناس جميعاً . . .

[الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله]

حرمة رواية الموضوع

قال الإمام النووي رحمه الله :

(تحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً أو غلب على ظنه وضعه ، فمن روى حديثاً علم أو ظن وضعه ولم يبين وضعه حال روايته فهو داخل في هذا الوعيد ، مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ لقوله عليه الصلاة والسلام : « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » ولا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه كالترغيب والمواعظ وغير ذلك . . . وكله حرام من أكبر الكبائر ، وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع) .

[السيوطي : تحذير الخواص]

مخافــــة الســـآمة ..

روى البخاري ومسلم عن أبي وائل ، شقيق بن سلمة قال :

كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكرنا في كل خميس مرة ، فقال له رجل : يا أبا عبدالرحمن ، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم ؛ فقال : أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكم ، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا . . .

حوار مع

الدكتور يوسف القرضاوي

الاجتهاد والتجديد بين الضوابط الشرعية و الحاجات المعاصرة

●● حول قضيتي الاجتهاد والتجديد كان هذا الحوار مع الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر :

□□ الاجتهاد من الدين وهو أصل من أصوله التي تثبت حيوية الإسلام وقدرته على إيجاد الحلول المناسبة لمشكلات الحياة المتجددة ، فما هي المراحل التاريخية لحركة الاجتهاد : وهل أغلق بابه كما قال بعضهم في عصور معينة ، ومن يتحمل مسؤولية هذا الأمر ؟

ــ بدأ الاجتهاد منذ عهد النبي ﷺ ، كما ظهر ذلك في قصة [صلاة العصر في بني قريظة] ، وفي حديث معاذ حين أرسله النبي ﷺ إلى اليمن وسأله : بماذا تقضي إن عرض لك قضاء ؟ فقال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد برأيي ولا آلو ... فأقره وأثنى عليه . وهو حديث مشهور جَوَّد إسناده عدد من الأئمة مثل ابن تيمية ، وابن القيم ، والذهبي ، وابن كثير وغيرهم ... وقد اجتهد عدد من الصحابة في عدد من القضايا في غيبتهم عن النبي ﷺ ، وبلغه ذلك ، فمنهم من أقره على اجتهاده ، ومنهم من صحح خطأه .

بعد عهد النبي ﷺ اجتهد الصحابة رضي الله عنهم ، وواجهوا مشكلات الحياة المتجددة في مجتمعات الحضارات العريقة التي ورثوها بحلول إسلامية اقتبسوها من نصوص الإسلام أو من هديه العام ، ووجدوا فيه لكل عقدة حلاً ، ولكل داء دواء .

واجتهاد الصحابة في وقائع الحياة وفقههم لدين الله في علاجها ، يمثل بحق الفقه الأصيل للإسلام الذي يتسم بالواقعية والتيسير ومراعاة الشريعة ومصالح العباد ، دون تجاوز أو افتئات على النصوص .

والناظر في فقه الخلفاء الراشدين أو في فقه ابن مسعود وابن عباس وعائشة وغيرهم رضوان الله عليهم يجد ذلك واضحاً للعيان ، ويوقن أن الصحابة هم أفقه الأجيال لروح الإسلام .

ومن الأمثلة على ذلك : موقف عمر ومن معه من فقهاء الصحابة ، مثل : علي ومعاذ ، حين أبى قسمة أرض العراق على الفاتحين باعتبارها غنيمة لهم أربعة أخماسها ، كما هو ظاهر قوله تعالى : **﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ... ﴾ (الأنفال : ٤١)** ورأى أن توقف الأرض لمصلحة الأجيال الإسلامية ، وقال لمن عارضه : **أتريدون أن يأتي آخر الناس وليس لهم شيء ؟!** .

وقال له علي ومعاذ :

انظر أمراً يسع أول الناس وآخرهم !

وقرر بذلك وجوب تكافل الأمة في جميع أجيالها ، إلى جوار تكافلها في جميع أقطارها .

ومثل ذلك موقف عثمان رضي الله عنه من ضالة الإبل ، فقد جاء في الحديث الأمر بتركها ، وقال لمن سأله عنها : « **مالك ومالها ؟ معها حذاؤها وسقاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يأتي ربها** » ، وهكذا كانت تترك ضوال الإبل في عهد أبي بكر وعمر مرسلة تتناتج ، لا يمسها أحد ، حتى يجدها صاحبها ، فلما كان عهد عثمان ، وجد الناس قد تغيروا ، وامتدت الأيدي إلى ضوال الإبل ، فلم يعد بعضها يصل إلى أصحابها فرأى المصلحة تعينت في التقاطها ، فعين راعياً يجمعها ويعرفها ، فإن لم يجد صاحبها باعها وحفظ الثمن له حتى يجيء .

وفي عهد علي رضي الله عنه رأى تضمين الصناع إذا ضاع ما في أيديهم من متاع الناس ، مع أن يدهم في الأصل يد أمانة ، ولكن علياً قال :

لا يصلح الناس إلا ذاك ...

وهكذا كان فقه الصحابة في سعة أفقه وواقعيته وتيسيره مع التزامه بالأصول ولا ريب .

وقد سار في هذا الاتجاه تلاميذ الصحابة من التابعين الذين كونوا مدارس فقهية في كل الأمصار تعلم وتفتي في النوازل ، وتواجه كل حادث بحديث ، ومن هذه المدارس أو الجامعات التي نشأت تحت سقوف الجوامع ، برز مشاهير الأئمة أصحاب المذاهب المتبوعة مثل : الثوري ، الأوزاعي ، الطبري ، وداود الظاهري ...

وقد كان المجتهدون في القرون الأولى أكثر من أن يحصروا .. وقد تنوعت مشاربهم ومداركهم في استنباط الأحكام ، ولكنهم اتفقوا على أن المصدر الأساسي لأحكام الشريعة هو الكتاب والسنة : فالكتاب هو الأصل والسنة هي الشارحة والمبينة ، ويأتي بعد ذلك الإجماع والقياس عند جمهور الأمَّة ، وتأتي بعد ذلك المصادر التبعية الأخرى ، مثل : الاستحسان والاستصلاح وسد الذرائع ، ورعاية العرف ، وشرع من قبلنا ، وغيرها مما اختلف فيه الفقهاء ، ما بين مثبت ونافٍ ، موسع ومضيق ...

المهم أن الفقه نما واستبحر ، وكثرت مسائله الواقعة والمتوقعة أو المفترضة ودُوِّنت كتبه وقُعِّدت

■ أخشى ما أخشاه الهزيمة النفسية أمام الحضارة الوافدة والاستسلام للواقع القائم في مجتمعاتنا المعاصرة ■

■■ في ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر - الذي عقد في العام الماضي - اقترح أحد المشاركين تغيير موعد صلاة الجمعة ليكون في يوم العطلة في البلاد غير الإسلامية (يوم الأحد) .. وكان الاقتراح جديراً بلفت الانتباه إلى قضية الاجتهاد - التي كان الملتقى منعقداً بشأنها أصلاً - فهل يدخل هذا الاقتراح في مجال الاجتهاد ؟ أم أن الاجتهاد بتعريفه الشرعي وببدايته منذ عصر الرسول ﷺ وعبر مراحله التاريخية حتى عصرنا الحاضر ، له أطر محددة ومجالات يتاح للعلماء فيها أن يبذلوا الجهد ويجتهدوا ، وأخرى لا مجال فيها للاجتهاد ؟!

وخلال التطور الدائم لحركة الحياة ، تنشأ كثير من المشاكل والقضايا ، وتظهر أنواع متعددة من المعاملات تجعل الحاجة دائما ماسة لوجود المجتهدين الذين تتوافر فيهم شروط الاجتهاد سواء أكانوا مجتهدين مطلقين أو في مسائل جزئية .. كما يطرح الأمر في الاجتهاد : قضية التجديد : فللتجديد أيضاً مجالات ومفاهيم .. وهل المجدد فرد أو جماعة ؟ وفيم يجددون ؟ لقد حاول بعضهم الدخول إلى الفكر الإسلامي بمطاعن عديدة تحت شعاري الاجتهاد والتجديد ■■

قواعده ، وضبطت طرائق استنباطه بواسطة علم الأصول الذي ابتكره المسلمون ، ولا يوجد عند أمة مثله ، ويعد من مفاخر التراث الإسلامي .

وقد ظل الفقه الإسلامي أساس القضاء والفتوى في المجتمعات الإسلامية كلها حتى دخل الاستعمار بلاد المسلمين ، وعزل الشريعة عن التقنين والقضاء إلا في دائرة ضيقة هي ما سموه : « **الأحوال الشخصية** » .

وليس صحيحاً ما يقال : إن الإسلام قد عُطّل بعد عصر الخلفاء الراشدين ، فإن الذي لا شك فيه أن المسلمين طوال اثني عشر قرناً ، لم يكن لهم دستور ولا قانون يتحاكمون إليه غير الشريعة الإسلامية ، برغم ما حدث من سوء الفهم أو سوء التطبيق لأحكامها السمحة .

إغلاق بـــاب الاجتهاد ..

أما عن إغلاق باب الاجتهاد فنقول :

أصبحت الدولة العثمانية مشجباً يعلق عليه الكثيرون كل الأخطاء والعثرات في شتى المجالات .. فالواقع أن سيطرة التقليد والتعصب المذهبي وذبول شجرة الاجتهاد المطلق أمور سبقت الدولة العثمانية ، واستشرت في أقطار العالم الإسلامي بنسب متفاوتة ، وإن لم يخل عصر من العصور من مجتهدين ومجددين ، حتى وجدنا الإمام السيوطي (المتوفى ٩١١هـ) يعلن أنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق ، ويرجو لنفسه أن يكون مجدد المائة التاسعة كما هو المشهور في فهم الحديث الوارد في التجديد ، ويؤلف كتابه [**الرد على من اخلد إلى الارض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض**]

وفي القرن الثاني عشر نجد المجدد الكبير حكيم الإسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف باسم : شاه ولي الله الدهلوي (المتوفى ١١٦٦هـ) صاحب (حجة الله البالغة) وغيره من الكتب الأصيلة ... وفي القرن الثالث عشر يظهر في اليمن الإمام المجتهد المطلق محمد بن علي الشوكاني (المتوفى ١٢٥٥هـ) والذي تجلى اجتهاده في الفروع والأصول في كتابه (نيل الأوطار) و (السيل الجرار) و (الدراري المضيئة) وشرحه (الدرر البهية) و (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) .

على أنه من الإنصاف للواقع وللتاريخ أن نقول : **إن الدولة العثمانية اهتمت بالجهاد أكثر من اهتمامها بالاجتهاد** ، مع أن القيادة الإسلامية تحتاج إلى كلا الأمرين : الاجتهاد لمعرفة الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، والجهاد لحمايته والذود عنه .. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

« **لا بد للدين من كتاب هاد وحديد ناصر** ... »

مشيراً إلى قوله تعالى :

﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ** ... ﴾ (**الحديد : ٢٥**) .

وكان اهتمام الدولة العثمانية بالحديد أكثر ، أي : بالجانب العسكري أكثر من الجانب الفكري حتى كانت الصدمة المذهلة بمواجهة نهضة الغرب الحديثة .

□□ **يرى بعضهم ان حركة الاجتهاد في العصر الحديث قد بداها** (**جمال الدين الأفغاني**) ، **إلا أن تلامذته من بعده عادوا تدريجياً إلى الاقتصار على النص ، فأصبحوا أقرب إلى التقليد خاصة محمد رشيد رضا فهل يمكن وضع هذه الجهود في إطارها المناسب من حركة الاجتهاد ؟**

- هذه المقولة تدل على أن قائلها لم يحط علماً بمدلول الاجتهاد ومجاله وشروطه .. ولو أحاط بذلك علماً لعرف أن المسيرة كانت تصاعدية ، ولم تنتكس كما زعموا ، بل بدأت بالعموميات والمجملات ثم أخذت تتخصص ، وبدأت رجراجة ثم شرعت تنضبط ، فالشيخ محمد عبده كان أقرب إلى الانضباط بمحكمات الشرع من شيخه **الأفغاني** بحكم ثقافته الأزهرية المتعمقة .. **والسيد محمد رشيد رضا** كان أقرب إلى الانضباط بمحكمات الشرع من شيخه الأستاذ **الإمام** ، بما له من سعة اطلاع على كتب السنة والآثار ، وإنتاج المدرسة السلفية التي يمثلها **الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم** ، وهو الذي شن حملاته القوية من مجلته العتيدة « **المنار** » على الجمود والتقليد ، وكتب المقالات الإصلاحية والفتاوى العلمية التجديدية خلال ثلث قرن من الزمان ، وذاعت اجتهادات **الشيخ رشيد** ، وفتاواه التجديدية في العالم الإسلامي كله ، ولقيت من القبول أكثر مما لقيته اجتهادات شيخه على قلّتها .. أما اجتهادات السيد **جمال الدين** فلا نكاد نعرف له اجتهاداً معيناً ، وقد كانت شخصيته شخصية الزعيم « **الثائر** » الموقظ للعقول ، المحرك للمشاعر ، المثير للهمم والعزائم ، لا شخصية الفقيه المنضبط بأصول وقواعد ، وكلٌ ميسر لما خُلق له .

■ لا بد للدين من كتاب هاد وحديد ناصر ...

[ابن تيمية رحمه الله]

■ من الإنصاف لمن يريد تقويم شخص وتقدير فكره وعمله أن يضعه في إطاره التاريخي الخاص لا يعدو به زمانه ومكانه إلى زماننا نحن ومكاننا ■

وقد أُخذ على **الشيخ محمد عبده** بعض آرائه في تأويل القرآن، كقوله في قصة آدم، وكلامه عن الطير الأبابيل ونحو ذلك، وعذره أن الحضارة الغربية كانت في أوجها، وكان الانبهار بها على أشده، لذا غلبت النزعة العقلية، ومحاولة إخضاع النص حتى يوافق المفاهيم الجديدة.

ومن الإنصاف لمن يريد تقويم شخص ما، وتقدير فكره وعمله، أن يضعه في إطاره التاريخي الخاص، لا يعدو به زمانه ومكانه إلى زماننا نحن ومكاننا، فبعض ما يبدو لنا اليوم واضحاً مسلماً، لم يكن كذلك في زمنه، فرحم الله امرءاً أنصف من نفسه، وأعطى كل عامل ما يستحقه، وأقام الشهادة لله...

□□ الاجتهاد الشرعي فرض كفاية حيناً، وفرض عين حيناً آخر، وله مدلوله ومجاله وشروطه .. هل يمكن تحديد هذه القضايا حتى لا تختلط الأمور .. ويدخل باب الاجتهاد من ليس أهلاً له؟

ـ الاجتهاد هو بذل غاية الجهد، واستفراغ غاية الوسع في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها بطريق النظر وإعمال الفكر، وهو فرض كفاية على الأمة في مجموعها، تأثم إذا لم يتوافر لها عدد من أبنائها يسد حاجتها فيه، وهو فرض عين على من أنس في نفسه الكفاية له، والقدرة عليه، إذا لم يجد في المسلمين من يسد مسده...

والاجتهاد يعمل في منطقتين:

● **إحداهمـــــا**:

منطقة ما لا نص فيه، مما تركه الشارع لنا قصداً منه، رحمة بنا غير نسيان.. ليملأ المجتهدون هذا الفراغ بما يحقق مقصد الشارع، وفق مسالك الاجتهاد التي يتبعها المجتهدون من القياس أو المصلحة المرسلة أو الاستحسان أو استصحاب الحال ـ أو غير ذلك... ومن الملاحظ أن بعض المجالات كثرت فيه النصوص إلى حد التفصيل أحياناً، مثل: العبادات وشؤون الأسرة، لأنها مما لا يكاد يتغير بتغير الزمان والمكان، والحاجة ماسة فيه إلى نصوص ضابطة لمنع التنازع ما أمكن ذلك... وإلى جانب ذلك توجد مجالات تقل فيها النصوص إلى حد كبير، أو تأتي عامة مجملة، لتدع للناس حرية الحركة في الاجتهاد لأنفسهم ـ في ضوء الأصول الكلية ـ وفق مصالح مجتمعهم، وظروف عصرهم، دون أن يجدوا من النصوص المفصلة ما يقيدهم، أو يعوق مسيرتهم، كما في شؤون الشورى ونظام الحكم وقوانين الإجراءات والمرافعات وغيرها...

● **وثانيتهمـــــا**:

منطقة النصوص الظنية، سواء أكانت ظنية الثبوت، ومعظم الأحاديث النبوية كذلك، أو ظنية الدلالة، ومعظم نصوص القرآن كذلك... **فوجود النص لا يمنع الاجتهاد كما يتوهم واهم، بل تسعة أعشار النصوص أو اكثر قابل للاجتهاد وتعدد وجهات النظر**، حتى القرآن الكريم ذاته يحتمل تعدد الأفهام في الاستنباط منه، ولو أخذت آية مثل آية الطهارة في سورة المائدة، وقرأت ما نقل من أقوال في استنباط الأحكام منها، لرأيت بوضوح صدق ما أقول.

وبجانب هاتين المنطقتين المفتوحتين للاجتهاد، توجد منطقة في الشريعة مغلقة بإحكام، لا يدخلها الاجتهاد، ولا يجد حاجة لدخولها: إنها منطقة القطعيات في الشريعة، مثل وجوب الفرائض الأصلية، كالصلاة والزكاة والصيام، وتحريم المحرمات اليقينية، كالزنى، وشرب الخمر، والربا، وأمهات الأحكام القطعية، كأحاديث المواريث المنصوص عليها بصريح القرآن، وأحكام الحدود والقصاص، وعِدَدِ المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن، ونحو ذلك مما جاءت به النصوص القطعية في ثبوتها، القطعية في دلالاتها.

هذا النوع من الأحكام ـ التي لا يدخلها الاجتهاد ـ هو الذي يجسد الوحدة الفكرية والسلوكية للأمة، فلا يجوز أن تدخل معترك الاجتهاد، ليبحث باحث:

هل يجوز السماح بالخمر من أجل السياح؟

أو نعطل الصيام من أجل زيادة الإنتاج؟

أو نجد الحج توفيراً للعملة الصعبة؟

أو نعلق الزكاة اكتفاء بالضرائب الوضعية!

أو نعطل الحدود والقصاص إشفاقاً على المجرمين كأننا أرحم من الله بعباده ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ... ﴾ (البقرة: ١٤٠).

وهذا هو الذي يجب الاحتراس منه:

أن نجتهد فيما لا يجوز فيه، أو أن يلج باب الاجتهاد من ليس أهلاً له، ولا تتحقق فيه شروطه، وهذا هو الذي دعا بعض العلماء قديماً أن ينادوا بإغلاق باب الاجتهاد، ليسدوا الطريق على الأدعياء والمتطفلين... على أن باب الاجتهاد سيظل مفتوحاً، ولا يملك أحد إغلاقه بعد أن فتحه **رسول الله ﷺ**... ولا يسع فرداً أو مجموعة من العلماء أن يقولوا في واقعة تعرض عليهم: ليس لنا حق الاجتهاد فيها، لأن الأقدمين لم يقولوا شيئاً في شأنها؛ إذ الشريعة لا بد أن تحيط بكل أفعال المكلفين، وأن يكون لهم حكم في كل واقعة، وهذا ما لا يختلف فيه اثنان.

□□ لا بد من توافر شروط محددة فيمن يتصدى للاجتهاد الشرعي؛ فما هي هذه الشروط؟ وهل تنسحب على المجتهدين عموماً، أم أن هناك فرقاً بين من يتصدى للاجتهاد المطلق، ومن يتصدى للاجتهاد الجزئي؟

ـ ليس في الإسلام طبقة خاصة تحتكر الاجتهاد أو تتوارثه، إذ ليس فيه كهنوت ولا (**إكليروس**)، ولكن هناك عالماً متخصصاً يملك أدوات الاجتهاد وتتحقق فيه شروطه، فهو الذي يجتهد فيما يعرض عليه من وقائع، ويصدر فيها رأيه بما انتهى إليه اجتهاده، أصاب أو أخطأ.

وشروط المجتهد معروفة ومفصلة في كتب أصول الفقه، منها: شروط علمية ثقافية، مثل: العلم باللغة العربية، والعلم بالكتاب والسنة، والعلم بمواضع الإجماع المتيقن، والعلم بأصول الفقه وطرائق القياس والاستنباط، والعلم بمقاصد الشريعة وقواعدها الكلية.. وهذا الأخير هو الذي ركّز عليه **الإمام الشاطبي**، وجعله سبب الاجتهاد؛

■ واجه الصحابة رضي الله عنهم مشكلات الحياة المتجددة في مجتمعات الحضارة العريقة التي ورثوها بحلول إسلامية اقتبسوها من نصوص الإسلام أو من هديه العام ■

■ الدولة العثمانية اهتمت بالجهاد أكثر من اهتمامها بالاجتهاد مع أن القيادة الإسلامية تحتاج إلى كلا الأمرين ■

ولا بد مع هذا كله أن يكون لديه ملكة الاستنباط، وهي تنمو بممارسة الفقه ومعرفة اختلاف الفقهاء ومداركهم، ولهذا قالوا: « **من لم يعرف اختلاف الفقهاء لم يشم رائحة الفقه** ».

وشرط آخر نبَّه عليه **الإمام أحمد**، وذكره **ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين)** وهو: **معرفة الناس**. وهذا أمر مهم؛ ألا يعيش المجتهد الذي يفتي الناس في برج عاجي أو صومعة منعزلة ويصدر أحكاماً بعيدة عن الواقع، أو يطبق أحكام عصر انقضى وأناس مضوا على عصر آخر وأناس آخرين، مغفلاً هذه القاعدة العظيمة: أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال والعرف، كما ذكر المحققون.

ويستلزم هذا اطلاع المجتهد على أحوال مجتمعه، وإلمامه بالأصول العامة لثقافة عصره بحيث لا يعيش في واد والمجتمع من حوله في واد آخر، فهو يسأل عن أشياء وقد لا يدري شيئاً عن خلفيتها وبواعثها وأساسها الفلسفي أو النفسي أو الاجتماعي فيتخبط في تكييفها والحكم عليها، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ـ كما يقول علماء المنطق ـ.

والمجتهد الحق هو الذي ينظر إلى النصوص والأدلة بعين، وينظر إلى الواقع والعصر بعين أخرى حتى يوائم بين الواجب والواقع، ويعطي لكل واقعة حكمها المناسب لمكانها وزمانها وحالها.

ذكر ابن القيم أن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية مَرَّ في زمنه على جماعة من جنود التتار قد استغرقوا في شرب الخمر، فأنكر عليهم بعض أصحابه، فما كان منه إلا أن قال لهم: دعوهم في سكرهم ولهوهم، فإنما حرَّم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل الأنفس وسفك الدماء!

وهذا يتمشى مع قاعدة مقررة: وهي السكوت على منكر ما، مخافة منكر أكبر منه، ارتكاباً لأخف الضررين، وأهون الشرين.

وهنـاك شرط آخر في المجتهد، وهو شرط ديني أخلاقي، وهو أن يكون عدلاً مرضي السيرة، يخشى الله فيما يصدر عنه، ويعلم أنه في فتواه في مقام رسول الله ﷺ؛ فلا يتبع هواه، ولا يبيع دينه بدنياه، فما بالك بدنيا غيره؟!

وإذا كان الله تعالى قد اشترط العدالة لقبول الشهادة في معاملات الناس فكيف بمن يشهد في دين الله، ويتحدث عن الله بأنه أحل كذا، وحرم كذا، وأوجب كذا، ورخَّص في كذا.

وهذه الشروط العلمية التي ذكرناها إنما يجب توافرها في حق المجتهد المطلق، أي: الذي يجتهد في جميع أبواب الفقه ومسائله؛ أما المجتهد الجزئي فيكفيه أن يحيط من العلم بما يتعلق بمسألته، بعد أن تكون عنده المؤهلات العلمية العامة، بناء على أن الاجتهاد يتجزأ، وهو القول الراجح عند الأكثرين..

فيستطيع أستاذ الاقتصاد أن يجتهد في مسألة ما في مجال تخصصه، إذا أحاط بكل ما ورد فيها من نصوص، وما يتعلق بها من اجتهادات، إذا كان لديه المعرفة بأصول الاستدلال وقواعد التعارض والترجيح وغير ذلك.

□□ ثارت مناقشات كثيرة حول قضية الاجتهاد في السنوات الأخيرة، مما أدى إلى ظهور بعض الاجتهادات المنحرفة في هذا السبيل، وما دام الأمر كذلك فلا بد من وضع ضوابط تجب مراعاتها في الاجتهاد الشرعي المعاصر حتى يمكن للمسلمين التعرف على هذه الاتجاهات ونبذها.

ـ الضوابط التي ينبغي مراعاتها في الاجتهاد المعاصر أستطيع أن أجملها في هذه النقاط:

● البعد عن منطقة « **القطعيات** » فمجال الاجتهاد ما كان دليله ظنياً من الأحكام، ولا يجوز لنا أن ننساق وراء المتلاعبين الذين يريدون أن يحولوا القطعي إلى ظني، والمحكم إلى متشابه... وبذلك لا يبقى لنا معول نعتمد عليه، ولا أصل نحتكم إليه.

● وكما لم نجز تحويل القطعي إلى ظني، يجب ألا نحول الظني إلى قطعي، ونزعم الإجماع فيما يثبت فيه الخلاف.. **فلا يصح أن نشهر سيف الإجماع في وجه كل مجتهد، كما فعل معاصرو ابن تيمية في اختياراته واجتهاداته، مع أن الإمام أحمد قال: « من ادَّعى الإجماع فقد كذب، ما يدريه: لعل الناس اختلفوا وهو لا يدري »**.

● **أخشى ما أخشاه هو الهزيمة النفسية أمام الحضارة الوافدة، والاستسلام للواقع القائم في مجتمعاتنا المعاصرة، وهو واقع لم يصنعه الإسلام، ولم يصنعه المسلمون، بل صنعه لهم الاستعمار المتسلط، وفرضه عليهم بالقوة والمكر**، وقام هذا الباطل الدخيل في غفلة من أهل الحق الأصيل الذي لدى المسلمين.

لهذا يجب رفع ذلك النوع من الاجتهاد ـ إن صح أن يسمى اجتهاداً ـ وهو اجتهاد (التبرير للواقع) خاصة إذا كان فيه إرضاء للسلطة الحاكمة، واجتهاد (التقليد للآخرين) كاجتهاد الذين يحاولون منع الطلاق وتعدد الزوجات، ومحاربة الملكية الفردية، وتسويغ الفوائد الربوية.. وغيرها.

● **يجب أن يتحرر المجتهد من الخوف بكل الوانه، الخوف من سلطان المتسلطين من الحكام**، الذين يريدون فتاوى جاهزة دائماً تبرر تصرفاتهم، وتضفي الشرعية على أعمالهم... والخوف من سلطان الجامدين المقلدين من العلماء، الذين يشنون الغارة على كل اجتهاد جديد، وهم الذين كانوا وراء سجن ابن تيمية ومحنه المتتابعة، فقد كانت محنته رحمه الله منهم لا من السلاطين.. وأن يتحرر من الخوف من سلطان الجماهير والعوام الذين يستطيع هؤلاء المقلدون أن يثيروهم على كل رأي مخالف لما ألفوه.

● **يجب أن نفسح صدورنا للاجتهاد وإن خالف ما نشأنا عليه من آراء، وأن نتوقع الخطأ من المجتهد**، ولا نضيق به ذرعاً، لأنه بشر غير

الدكتور يوسف القرضاوي

■ باب الاجتهاد سيظل مفتوحاً ولا يملك أحد إغلاقه بعد أن فتحه رسول الله ﷺ ■

■ الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال والعرف كما ذكر المحققون ■

معصوم ، وقد يكون ما حسبناه خطأ هو الصواب بعينه ، ورب رأي رفضه جمهور الناس يوماً ، ثم أصبح بعد ذلك هو الرأي المقبول والمرتضى ، وليس في الإسلام سلطة (بابوية) تقول : **هذا الرأي صواب فيغدو صواباً ، ويستحق البقاء ، وذاك خطأ فيحذف من الوجود ويحكم عليه بالإعدام .**

□□ هناك قضايا معاصرة يحتاج المسلمون فيها إلى فقه متجدد يحل لهم مشكلاتهم .. ما هي أهم هذه القضايا ، وكيف ترى هذه الأمور داخل إطار العملية الاجتهادية ؟

— نظراً لتغير شؤون الحياة عما كانت عليه في الأعصار الماضية ، وتطور مجتمعات اليوم تطوراً هائلاً في الأفكار والسلوك والعلاقات ، فإن عصرنا الحاضر أحوج ما يكون إلى الاجتهاد .. وذلك بعد الثورة التكنولوجية التي يشهدها العالم ، وكان من جرائها أن طرحت قضايا جديدة كل الجدة مثل : أطفال الأنابيب ، وشتل الجنين ، وبنوك الأجنة المجمدة ، والتحكم في جنس الجنين ، وزرع الأعضاء ، ونقل الدم ، وما جدَّ في العلاقات الدولية والأنظمة المالية والاقتصادية من أشياء لم يعرفها السابقون ، أو عرفوا بعضها في صورة مصغرة جداً .

فهذه وما شابهها تقتضي اجتهاداً جديداً ، وهو ما نسميه (**الاجتهاد الإنشائي**) أي : الذي يُصدر فيه المجتهدون حكماً جديداً ، وإن لم يتقدم من قال به من فقهائنا السابقين ، ولم ينص عليه أحد ؛ مثل زكاة العمارات والمصانع والأسهم والسندات والرواتب ، واعتبار الذهب وحده أساس نصاب النقود ، وإيجاب زكاة الأرض المستأجرة على كل من المالك والمستأجر ، كلٌ فيما وصل إليه إذا بلغ نصاباً ، فالمالك يزكي الأجرة بمقدار زكاة الخارج من الأرض ، والمستأجر يزكي الخارج من زرع أو ثمر ... طارحاً منه الأجرة ، لأنها دَيْنٌ عليه .

وهناك اجتهاد آخر أسميه « **الاجتهاد الانتقائي** » ، وهو اختيار أرجح الأقوال من تراثنا الفقهي العظيم ، مما نراه أقرب إلى تحقيق مقاصد الشرع ومصالح الخلق ، والليق بظروف العصر ؛ وقد يكون الانتقاء داخل المذاهب الأربعة مثل ترجيح مذهب أبي حنيفة في إيجاب الزكاة في كل ما أخرجت الأرض ، وترجيح مذهب الشافعي في إعطاء الفقير كفاية العمر ، وترجيح مذهب مالك في إبقاء سهم المؤلفة قلوبهم ...

وقد يكون الانتقاء من خارج المذاهب الأربعة : فالأئمة الأربعة على جلالتهم وفضلهم ليسوا كل الفقهاء ، فهناك من عاصرهم من نظرائهم ، ومن يمكن أن يكون قد تفوق عليهم ، وهناك من سبقهم من شيوخهم من فقهاء الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ممن هم أفضل منهم بيقين .

فلا حرج في الأخذ بمذهب أحدهم إذا ترجح لدينا باعتبارات شرعية ، كالأخذ بمذهب عمر رضي الله عنه في التضييق في زواج الكتابيات إذا خيف منهن على نساء المسلمين أو الذرية ، أو خيف عدم التدقيق في شرط الإحصان :

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ... ﴾ (**المائدة** : ٥) أي : العفيفات منهن ، أو الأخذ بمذهب عطاء في إيجاب المتعة لكل مطلقة ، أو الأخذ بمذهب بعض السلف في عدم وقوع الطلاق في حالة الغضب الشديد ، وهو ما فسروا به حديث « **لا طلاق في إغلاق** » أو مذهب بعضهم في إيقاع طلاق الثلاث بلفظة واحدة أو في مجلس واحد ، طلقة واحدة رجعية فقط ، وهو ما أفتى به ابن تيمية وابن القيم ، ومثله : **عدم إيقاع الطلاق البدعي** : أي الطلاق في حالة الحيض ، وكذلك الطلاق إذا أريد منه الحمل على شيء أو المنع منه ، فيعامل معاملة اليمين ، وفيه كفارة يمين ..

ونحو ذلك الأخذ بمذهب بعض السلف في وجوب الوصية لمن لا يرث من الأقربين ، وعلى أساسه قام في مصر وغيرها قانون « **الوصية الواجبة** » للأحفاد إذا مات آباؤهم أو أمهاتهم في حياة والديهم ، فلهم نصيب الوالدين بشرط ألا يزيد على الثلث .

ومن ذلك ما رجحه العلامة **الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر** من الإفتاء بمذهب عطاء وطاووس من التابعين في جواز رمي الجمرات قبل الزوال في الحج ، تيسيراً على الناس ، ورفعاً للحرج والمشقات الهائلة التي يتعرض لها الناس من الزحام حول المرمى ، إلى حد الهلاك تحت الأقدام .

والاجتهاد الذي نحتاج إليه في عصرنا هو « **الاجتهاد الجماعي** » الذي يقوم في صورة مجمع فقهي عالمي ، يضم الكفايات العلمية العالية ، ويصدر أحكامه بعد دراسة وفحص ، بشجاعة وحرية ، بعيداً عن ضغط الحكومات ، وضغط العوام .

ومع هذا أؤكد أنه لا غنى عن الاجتهاد الفردي الذي ينير الطريق أمام الاجتهاد الجماعي بما يقدم

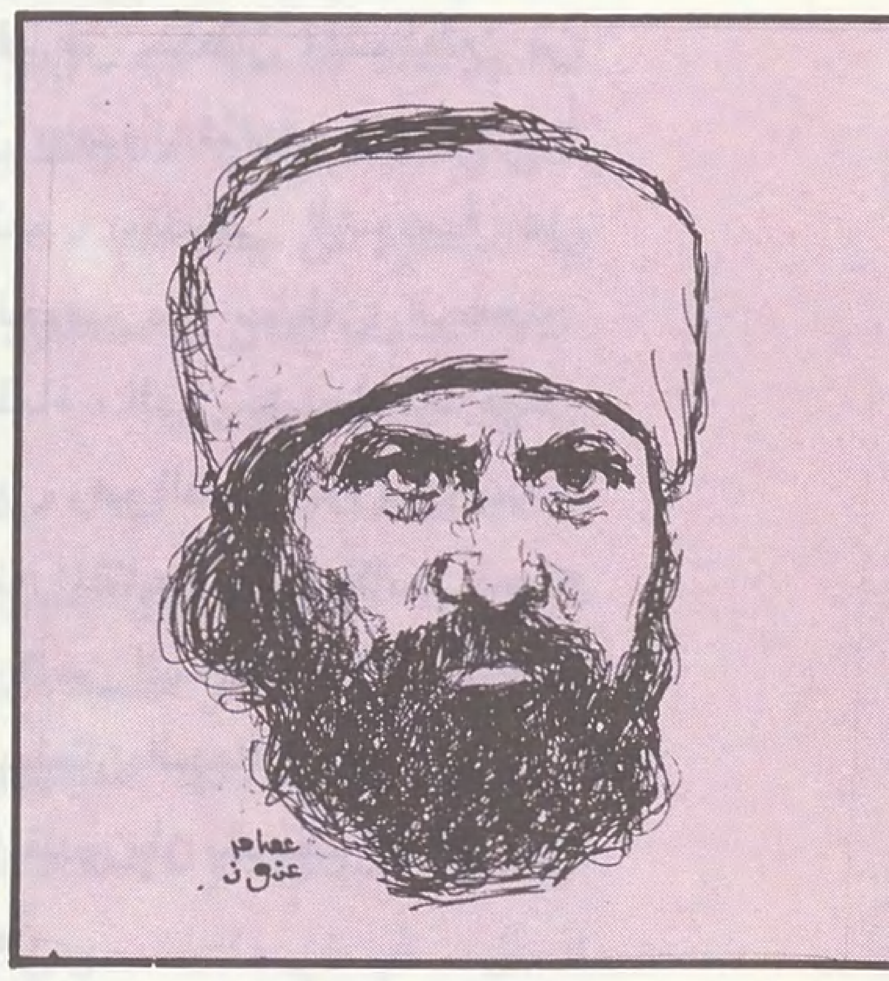

■ جمال الدين الأفغاني ..كانت له شخصية الزعيم الثائر المثير للهمم والعزائم ■

■ الدكتور محمد البهي رحمه الله .. كشف زيف أدعياء التجديد في كتابه القيم « الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » ■

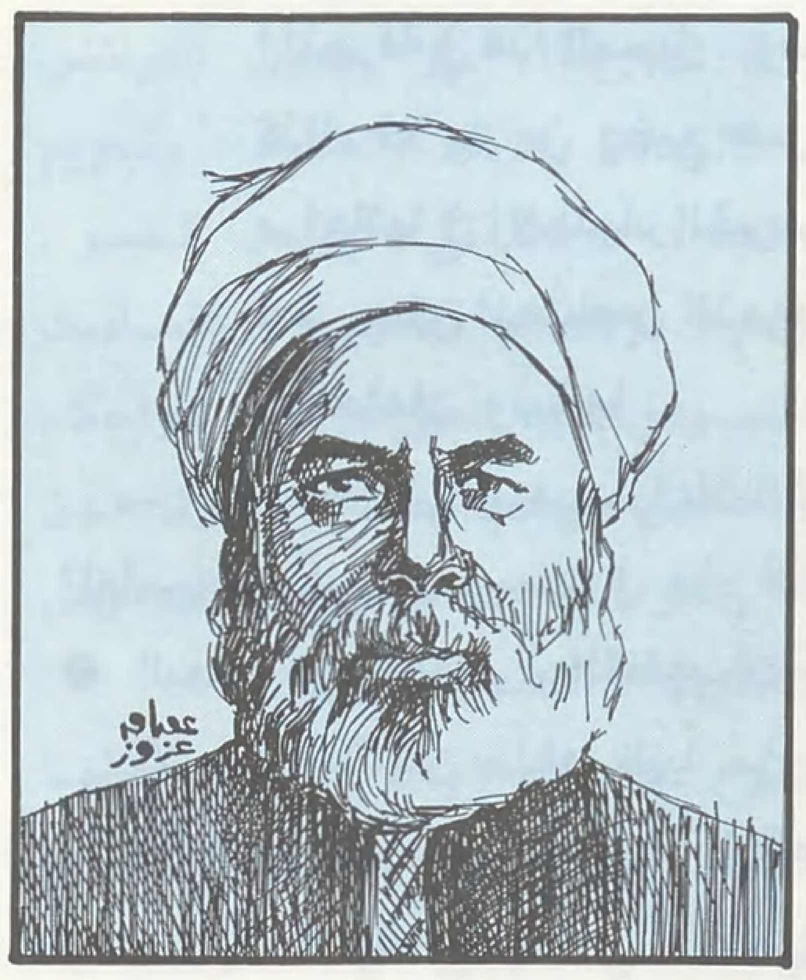

■ الشيخ محمد عبده .. كان أقرب للانضباط بمحكمات الشرع بحكم ثقافته الأزهرية المتعمقة ■

■ يجب رفع اجتهاد التبرير للواقع غير المسلم وأن يتحرر المجتهد من الخوف بكل ألوانه من المتسلطين الذين يريدون فتاوى جاهزة تبرر تصرفاتهم ■

■ إن عصرنا الحاضر أحوج ما يكون إلى الاجتهاد وذلك بعد الثورة التكنولوجية التي يشهدها العالم الآن وكان من جرائها أن طرحت قضايا جديدة كل الجدة ■

من دراسات متأنية مخدومة .

□□ يُتهم بعض الدعاة إلى الإسلام أحياناً بأنهم أنصار للجمود والتشدد ، ومعاداة أي تجديد .. فهل يرتبط هذا بحقيقة واقعة ، أم أنه يرتبط برغبة أخرى خفية ؟ وهل لنا أن نتعرف على الموقف الصحيح للدعاة من قضية التجديد ؟

ــ ينقسم الناس بشأن التجديد إلى أصناف ثلاثة :

(١) أعداء التجديد الذين يريدون أن يبقى كل قديم على قدمه ، حكمتهم المأثورة : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وشعارهم المرفوع : ليس في الإمكان أبدع مما كان !

وهم بجمودهم يقفون في وجه أي تجديد : في العلم ، في الفكر ، في الأدب ، في الحياة ، فما بالك بالدين ؟! إن مجرد كلمة (التجديد) بالنسبة للدين يعتبرونها هرطقة .

وفي مجال الدين وجدت فئتان ينتهي موقفهما إلى « **تجميد الإسلام** » تحدثت عنهما في بعض ما كتبته في مجلة (**الأمة**) بمناسبة القرن الخامس عشر ، وهما : **فئة مقلدي المذاهب** ، المتعصبين لها ، الذين يرفضون أي خروج عليها ، ولا يعترفون بحق الاجتهاد لفرد ولا لجماعة في هذا العصر .

والفئة الأخرى هي التي سميتها « الظاهرية الجدد » وأعني بهم الحرفيين الذين يقفون جامدين عند ظواهر النصوص ، ولا يمعنون النظر إلى مقاصدها ، ولا يفهمون الجزئيات في ضوء الكليات ، ولا غرو أن تراهم يقيمون معارك حامية من أجل أمور هامشية في الدين ، وهؤلاء وأولئك قوم مخلصون للإسلام ، ولكنهم معه كالأم التي تسببت في موت وليدها بحبسه والإغلاق عليه خوفاً عليه من الشمس والهواء .

(٢) ويقابل هؤلاء : الغلاة في التجديد ، الذين يريدون أن ينسفوا كل قديم ، وإن كان هو أساس هوية المجتمع ، ومبرر وجوده ، وسر بقائه ، كأنما يريدون أن يحذفوا « **أمس** » من الزمن ، ويحذفوا « **الفعل الماضي** » من اللغة ، ويحذفوا « **علم التاريخ** » من علوم الإنسان !

وتجديد هؤلاء هو التغريب بعينه ، إن قديم الغرب غدا عندهم جديداً ، فهم يدعون إلى اقتباسه بخيره وشره وحلوه ومره .. وهؤلاء هم الذين سخر منهم الرافعي رحمه الله حين دخل معركته معهم « تحت راية القرآن) وقال : إنهم يريدون أن يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر .

ورد عليهم شاعر الإسلام **محمد إقبال** بأن « **الكعبة لا تجدد بجلب حجارة لها من أوروبا** » وأشار إليهم **أحمد شوقي** ـ أمير الشعراء ـ في قصيدته عن الأزهر :

ولو استطاعوا في المجامع انكروا
من مات من آبائهم أو عمرا !
من كل ساع في القديم وهدمه
وإذا تقدم للبناية قصرا !

وهذا الصنف والذي قبله هما اللذان شكا منهما **الأمير شكيب أرسلان** حين قال : **إنما ضاع الدين بين جامد وجاحد ، ذلك ينفر الناس منه بجموده ، وهذا يضلهم عنه بجحوده** .

(٣) وبين هذين الصنفين يبرز صنف وسط ، يرفض جمود الأولين ، وجحود الآخرين ، يلتمس الحكمة من أي وعاء خرجت ، ويقبل التجديد ، بل يدعو إليه ، وينادي به ، على أن يكون تجديداً في ظل الأصالة الإسلامية ، يفرق بين ما يجوز اقتباسه ، وما لا يجوز ، ويميز بين ما يلائم وما لا يلائم .

إنه يدعو إلى أخذ العلم المادي والتقني بكل ما يستطيعه مما تحتاج الأمة إليه ، بشرط أن نهضم التكنولوجيا ونتشئها لا أن نشتريها ونظل غرباء عنها .

وهذا هو موقف دعاة الإسلام الحقيقيين : إن شعارهم : الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح .. والانفتاح على العالم دون الذوبان فيه .. والثبات على الأهداف والمرونة في الوسائل .. التشديد في الأصول والتيسير في الفروع ...

□□ بين الاجتهاد والتجديد كمفهوم معاصر صلة ، فإذا كان الإسلام يعتبر الاجتهاد أداة لفهم أحكام القرآن والسنة ، فهل يقبل الإسلام التجديد كما يقبل الاجتهاد ؟

أم أنه ينافي طبيعة الدين الذي جاء ليضبط الحياة بعقائده وقيمه ومفاهيمه وأحكامه ، أم أن لكل منهما مجاله الذي يعمل فيه ؟

ــ أدهشني إنكار عالم فاضل نسبة التجديد إلى الدين ـ في حوار مع أحد الصحفيين ـ باعتبار أن الدين ثابت لا يتجدد ولا يتطور ، ودافعه إلى هذا ـ فيما أعتقد ـ خشيته أن يفهم الناس من إطلاق كلمة « **تجديد الدين** » إعمال يد التغيير فيه بالحذف أو الزيادة ، فأراد أن يسد الباب كلية بإنكار مطلق التجديد .

والحقيقة أن الحديث الشريف قد فصَّل في هذه القضية ، وذلك فيما رواه أبو داود والحاكم والبيهقي وغيرهم ، بإسناد صحيح « **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها** » . وليس بعد قول **رسول الله ﷺ قول** ، ولا بعد حكمه حكم .

وكثير من العلماء المخلصين ينكرون أشياء ثابتة لسوء استخدام بعض الناس لها ، وهم بهذا يعالجون الخطأ بخطأ ، والمنهج السليم هو إثبات الثابت ، وإعطاؤه التفسير الصحيح ورد كل فهم أو تفسير خاطىء :

فتجديد الدين ثابت بالنص ، ولكنه ليس هو الاجتهاد بعينه ، وإن كان الاجتهاد فرعاً منه ، ولوناً من ألوانه ، فالاجتهاد تجديد في الجانب الفكري والعلمي ، أما التجديد فيشمل الجانب الفكري والجانب الروحي ، والجانب العملي ، وهي الجوانب التي يشملها الإسلام ، وهي : العلم والإيمان والعمل .

وأمتنا أحوج ما تكون اليوم إلى من يجدد إيمانها ، ويجدد فضائلها ، ويجدد معالم شخصيتها ، ويعمل على إنشاء جيل مسلم يقوم في عالم اليوم بما قام به جيل الصحابة من قبل ، وهو الذي سميناه [**جيل النصر المنشود**] . وقد بدأ هذا الاجتهاد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، من أمثال : **سعيد النورسي ، وحسن البنا ، وأبي الأعلى المودودي** رحمهم الله ، وعلى من بعدهم أن يكملوا المسيرة ويصححوها حتى يتم الله نوره ...

□□ للحديث الشريف « يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها » أهمية في القضية ، فماذا

الدكتور يوسف القرضاوي

■ الاجتهاد الذي نحتاج إليه في عصرنا هو الاجتهاد الجماعي الذي يقوم بصورة مجمع فقهي عالمي يضم الكفايات العلمية العالية ■

■ إنما ضاع الدين بين جامد وجاحد ذلك ينفر النَّاس منه بجموده وهذا يضلهم عنه بجحوده ■ [شكيب أرسلان رحمه الله]

تعني كلمة (مَنْ) كما وردت في الحديث ، وهل تظل عملية ترقب المسلمين لفرد مجدد ملازمة لتفكير المسلم في بداية أو نهاية كل قرن هجري ؟ في ظل الفهم الإسلامي لدور الجماعة في حياة الفرد يبدو مفهوم الحديث يحمل المسلم مهمات وتبعات في إطار تجديد أمر الدين ..

ــ هذا الحديث الذي رواه أبو داود في سننه ، والحاكم في مستدركه ، والبيهقي في معرفة السنن والآثار ، والطبراني في الأوسط ، يمد الأمة بشعاع قوي من الأمل ، يطرد عنها ظلام اليأس ، ويبعث فيها الروح والأمل في أن الله لا يدعها طويلاً لأنياب الضعف حتى تفترسها ، ولا لدخان الهمود حتى يخنقها ، ولا لمخالب التمزق حتى تقتلها ، بل يهيء لها بين قرن وآخر ، من يجمعها من شتات ، ويحييها من موات ، ويوقظها من سبات ، وهذا بعض معاني التجديد ، فهو يجددها بالدين ، ويجدد بها الدين .

وقد فهم شراح الحديث أن المراد بـ (من) يجدد الدين فيه : فرد واحد ، يهبه الله من الفضائل العلمية والخلقية والعملية ما يجدد به شباب الدين ، ويعيد إليه الحيوية والقوة عن طريق كلم نافع أو عمل صالح ، أو جهاد كبير ، وهذا ما جعلهم يحاولون تحديد هذا المجدد على رأس كل قرن ، فاتفقوا حيناً ، واختلفوا حيناً آخر ؛ فقد اتفقوا على أن مجدد **المائة الأولى** : خامس الراشدين **عمر بن عبد العزيز** .. ومجدد **المائة الثانية** : الإمام **محمد بن أدريس الشافعي** ، ومجدد **المائة الخامسة** : **أبو حامد الغزالي** ، ومجدد **المائة السادسة** : **ابن دقيق العيد** ، واختلفوا فيما عدا ذلك اختلافاً شاسعاً .

وأرى أن (مَنْ) في الحديث ، وفي لغة العرب عامة تدل على الجمع ، كما تدل على المفرد ، وهي هنا تدل على الجمع كذلك ، فمن يجدد الدين في كل قرن ليس بالضرورة فرداً معيناً ، بل جماعة من الناس ، قد يكون منهم العلماء ، ومنهم الولاة ، ومنهم القواد ، ومنهم المربون .. وقد يكونون في بلد واحد ، وقد يكونون في عدد من البلاد ، وقد يعمل كل منهم وحده في مجاله ، وقد يتعاونون فيما بينهم فيما يشبه الرابطة أو الجمعية ، وقد يكون تجديد بعضهم في مجال الدعوة والثقافة ، وآخر أو آخرين في مجال الفقه ، وجماعة في مجال التربية والتكوين ، وغيرهم في مجال الإصلاح الاجتماعي ، وفئة أخرى في المجال الاقتصادي ، وخامسة في المجال السياسي ولا مانع من تعدد هذه المجالات واختلاف الوان العمل والتجديد ، على أن يكون اختلاف تنوع وتخصص ، لا اختلاف تضـاد وتناقض ، أعني : أن يكون هناك تكامل وتناسق وتعاون بين هذه الأنواع المختلفة من العمل ، بحيث يكمل بعضها بعضاً ، ويشد بعضها أزر بعض لا أن ينكر بعضها على الآخر ، أو يعوق بعضها بعضاً فيؤدي ذلك إلى ضعفها جميعاً وقوة أعدائها .

إن ربط التجديد بفرد واحد فذّ ، يجعل الناس يعيشون على أمل ظهوره ، وكل ما عليهم انتظاره حتى تنشق الأرض عنه ليجدد ما عجزوا عنه ، وهذا سر تعلق الجماهير بفكرة « **المهدي المنتظر** » والذي أراه أن يُربط التجديد بجماعة أو مدرسة أو حركة ، يقوم كل مسلم غيور فيها بنصيبه في موكب التجديد ، ويسهم على قدر طاقته في مسيرته ، ولا يصبح السؤال إذن متى يظهر المجدد للدين ؟ بل يكون : **ماذا أعمل لتجديد الدين ؟**

□□ في عالمنا الإسلامي ارتبط التجديد والمجددون باتجاهات مختلفة ، ودعاوى باطلة من علمانية أو إلحاد خفي ، لتجريد المسلمين من حقيقة دينهم ، فهل هذا هو التجديد ، وهؤلاء هم المجددون ؟

ــ تسمية هؤلاء بـ « **المجددين** » تسمية خاطئة ، هؤلاء مبددون لا مجددون ، لأنهم لا يمتون إلى التجديد الحقيقي بصلة ، فتجديد شيء يعني العودة به إلى ما كان عليه عند بدايته وظهوره لأول مرة ، وترميم ما أصابه من خلل على مر العصور ، مع الإبقاء على طابعـه الأصيل ، وخصـائصه المميزة ، هذا ما نضعه في أي قصر أو بناء أثري عريق نريد تجديده ، فلا نسمح بتغيير طبيعته ، وتبديل جوهره ، أو شكله أو ملامحه ، بل نحرص كل الحرص على الرجوع به إلى عهده الأول ، أما إذا هدمناه وأقمنا مكانه بناءً شامخاً على الطراز الحديث ، فهذا ليس من التجديد في شيء .

والذين أشرت إليهم في سؤالك هم من هذا النوع الذي يريد هدم (**الجامع**) القديم ليقيم على أنقاضه (**كنيسة**) حديثة ، بكل مقوماتها وخصائصها ، إلا أنه كتب عليها اسم (**جامع**) !

والذي سمى هؤلاء « **مجددين** » إنمـا هو الاستعمار وتلاميذه وعملاؤه من المستشرقين والمنصِّرين ، وتسميتهم الحقيقية [**عبيد الفكر الغربي**] ، فهم لا يرقون ليكونوا تلاميذ الفكر الغربي ، فإن التلميذ يناقش أستاذه ، وقد يخالفه ويرد عليه ، ولكن موقف هؤلاء من الفكر الغربي هو التبعية والعبودية ، التي ترى أن كل ما يؤمن به الغرب هو الحق ، وكل ما يقوله فهو صدق ، وكل ما يفعله فهو جميل ! ويستوي في هذا عبيد اليمين وعبيد اليسار ، فمنبع الجميع واحد ، وكلهم فرع من الشجرة الملعونة في القرآن والتوراة والانجيل : شجرة المادية الخبيثة التي تفرغ الإنسان من الروح ، والحياة من الإيمان ، والمجتمع من هداية الله ؛ وقد كشف زيف هؤلاء من أدعياء التجديد أستاذنا **الدكتور محمد البهي** ـ رحمه الله ـ في كتابه القيم « **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي** » .

المجدد الحقيقي هو الذي يجدد الدين بالدين وللدين ، أما من يريد تجديد الدين من خارجه ، أي : بمفاهيم مستوردة وأفكار دخيلة ، ويجدده لمصلحة الغرب أو الشرق فهو أبعد ما يكون عن التجديد الحق ...

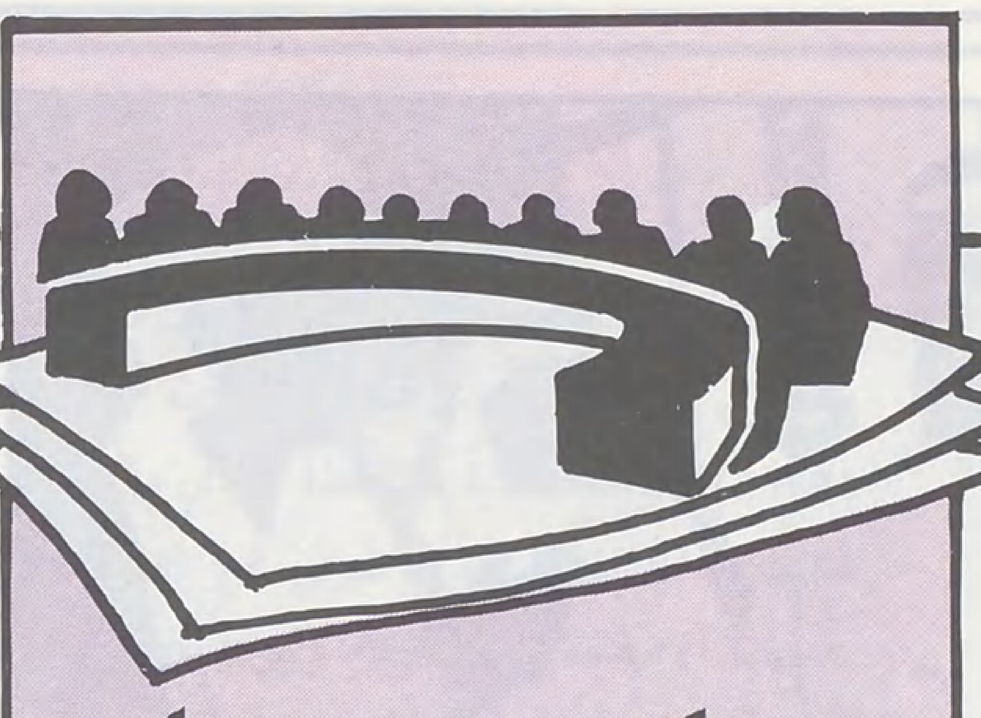

مؤتمر الزكاة الأول في الكويت

■■ بدعوة من بيت الزكاة بالكويت ، انعقد مؤتمر الزكاة الاول خلال الفترة من ٢٩ رجب إلى أول شعبان ١٤٠٤هـ ، ولمدة ثلاثة أيام ، وكان فرصة للقاء جمع من العلماء والباحثين والصحفيين .

اشتمل برنامج اليوم الأول على كلمة الافتتاح ثم ألقي فيه بحثان الأول للدكتور يوسف القرضاوي عن (آثار الزكاة في الأفراد والمجتمعات) والثاني : للأستاذ أحمد أمين حسان عن (الجوانب التطبيقية لإنشاء وتنظيم وإدارة مؤسسات الزكاة وتطبيقاتها العملية المعاصرة) وقدمت أيضاً الحلقة الأولى من تقارير مؤسسات الزكاة ، وفي اليوم الثاني قدم الدكتور محمد عقلة بحثه (التطبيقات التاريخية والمعاصرة لتنظيم الزكاة ودور مؤسساتها) والحلقة الثانية من تقارير مؤسسات الزكاة ، ثم بحث الدكتور محمد أنس الزرقاء عن (دور الزكاة في الاقتصاد العام والسياسة المالية)

أما اليوم الثالث فقد ألقي فيه بحث الدكتور شوقي إسماعيل شحاتة عن (أصول محاسبة الزكاة وضبط جمعها وصرفها) والحلقة الثالثة من تقارير مؤسسات الزكاة . وفي الجلسة الختامية المسائية كان الاجتماع الختامي وإعلان التوصيات

تميز المؤتمر ـ بجانب المحاضرات العامة والتعقيبات والحوارات ـ باللجان التخصصية العلمية التي ناقشت بعض القضايا الدقيقة في موضوع الأموال والمصارف .. كما أعدت دراسات المؤتمر وأبحاثه لتوزع في المستقبل وتكون سجلاً لهذه المناقشات .

واتخذت في نهاية المؤتمر عدة توصيات أهمها : إنشاء أمانة عامة أو اتحاد لمؤسسات الزكاة لتنظيم جميع شؤون الزكاة وعقد المؤتمرات المتخصصة ، وتشكيل لجنة علمية من الفقهاء والمتخصصين لمعالجة الأمور المعاصرة المتعلقة بالزكاة ورفع توصياتها للجهات المعنية ، وتكوين صندوق أو منظمة باسم صندوق الزكاة تشترك فيه الدول الإسلامية يكون تابعاً لمنظمة المؤتمر الإسلامي للتنسيق بين مؤسسات الزكاة .. ودعوة الجامعات الإسلامية للاهتمام بتدريس مقررات الزكاة وجوانبها المختلفة ضمن مناهجها .

ويعد المؤتمر تتويجاً للجهود التي يقوم بها بيت الزكاة الكويتي في مختلف أنحاء العالم الإسلامي كمؤسسة اقتصادية إسلامية شعبية ، استطاعت مع غيرها من المؤسسات أن تواكب الصحوة الإسلامية المعاصرة وتؤدي دورها في مجال التكافل الاجتماعي بين المسلمين .. فمنذ نشأته ـ منذ سنتين ـ قدم مساعداته إلى اللاجئين في كل من فلسطين وأوغندا وأريتريا والصومال وأفغانستان ومنكوبي زلازل اليمن وتركيا ، ومتضرري الجفاف في أفريقيا خاصة ، والمضطهدين في الهند وكشمير ، والمسلمين البهاريين في بنجلاديش . كما قام بتنفيذ عدة مشاريع خيرية ، لعل أبرزها مشروع طالب العلم الذي يوفر فرص التعليم للطلبة المحتاجين ، ومشروع كافل اليتيم .. وتتكون موارده من : أموال الزكاة التي تقدم طواعية من الأفراد وغيرهم ، والهبات والتبرعات من الهيئات والشركات ، ثم الإعانات السنوية من الدولة .

وتميزت الأبحاث الخمسة التي ألقيت في المؤتمر بنظرات تخصصية دقيقة فيما عرضت له ، سواء في الأموال التي تجب فيها الزكاة أو في الأصناف التي تجب لها الزكاة ، وعالجت الجوانب النظرية والتطبيقية لدور الزكاة في النهوض بالمسلمين أفراداً وجماعات من معاناتهم المختلفة في مجتمعاتهم المعاصرة .

جاء البحث الأول للدكتور يوسف القرضاوي الذي يعد من أبرز المتحدثين في مجال الزكاة فله اهتمامات ومؤلفات عرضت لقضية الأموال التي تجب فيها الزكاة ، وتميزت أبحاثه بنظرات دقيقة واجتهادات فريدة ولا سيما مؤلفه فقه الزكاة (في جزأين) ، وكان البحث بعنوان [آثار الزكاة في الأفراد والمجتمعات] .

قال : « ... إذا كان الإسلام قد عُني بالمجتمع عموماً ، فإنه عني عناية خاصة بالفئات الضعيفة فيه .. وإذا كانت بعض المجتمعات تهمل هذه الفئات الشعبية الضعيفة ، ولا تلقي لها بالاً في سياستها الاجتماعية والاقتصادية ، ولا تكاد تعترف لها بحق ، لأنها لا تُرجى ولا تُخْشى ، وليس بيدها خزائن المال ولا مقاليد السلطان ، فإن رسول الله ﷺ قد نبَّه إلى قيمة هذه الفئات ومكانها في المجتمع ... » وإلى هذه الحقيقة يشير حديث النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص حين قال له فيما رواه البخاري : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » ، فالضعفاء هم عدة النصر في مواجهة الأعداء ، وعدة الإنتاج والأيدي العاملة في السلم وبجهادهم وإخلاصهم يتنزل نصر الله على الأمة كلها ، وبجهودهم وكدحهم في الإنتاج يتوافر الرزق .

وعن أثر الزكاة في حياة الأفراد قال : « ... إن نظرة الإسلام في التغيير والإصلاح هي « غَيِّر

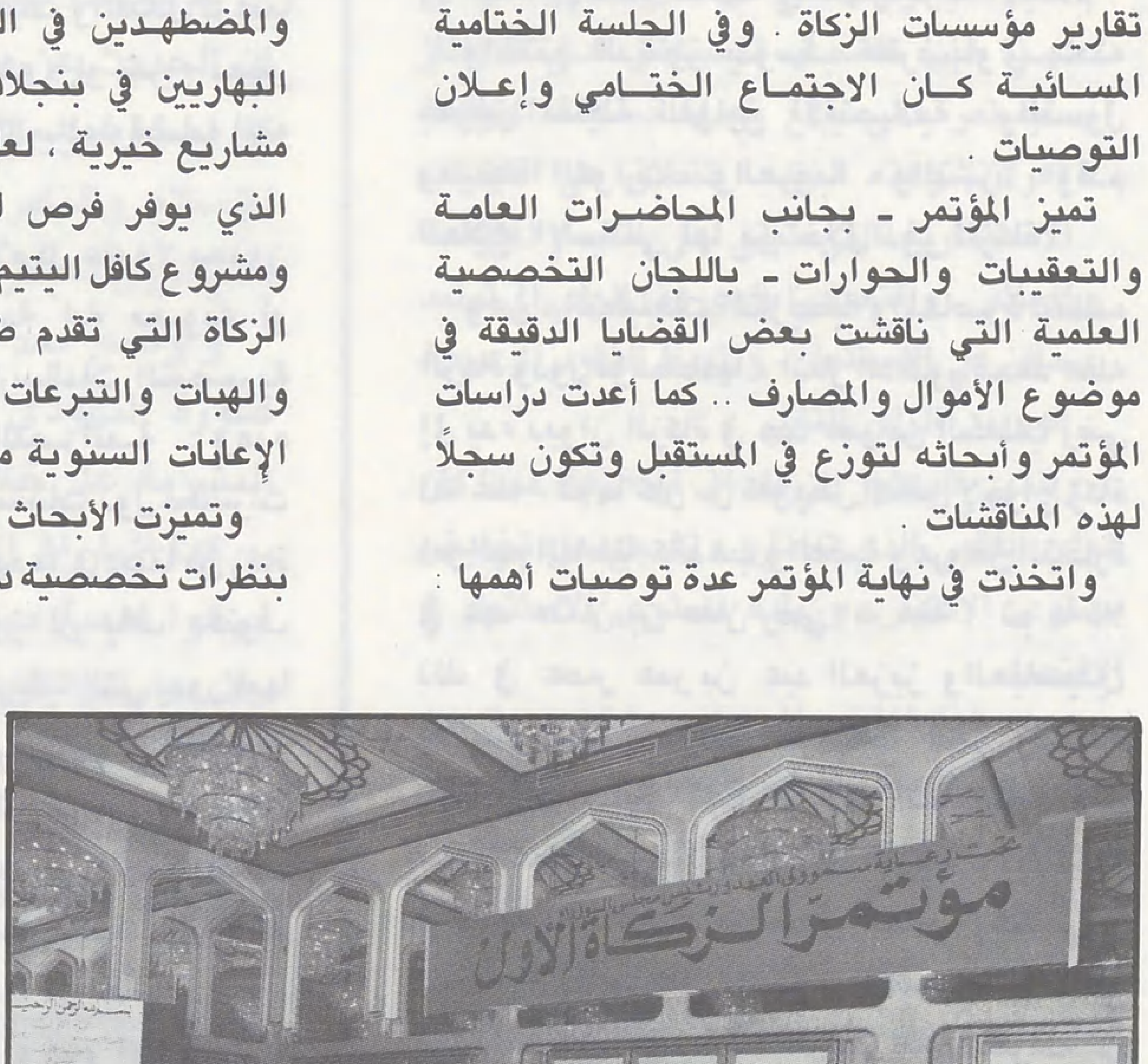

● نظرات تخصصية دقيقة في أبحاث المؤتمر ●

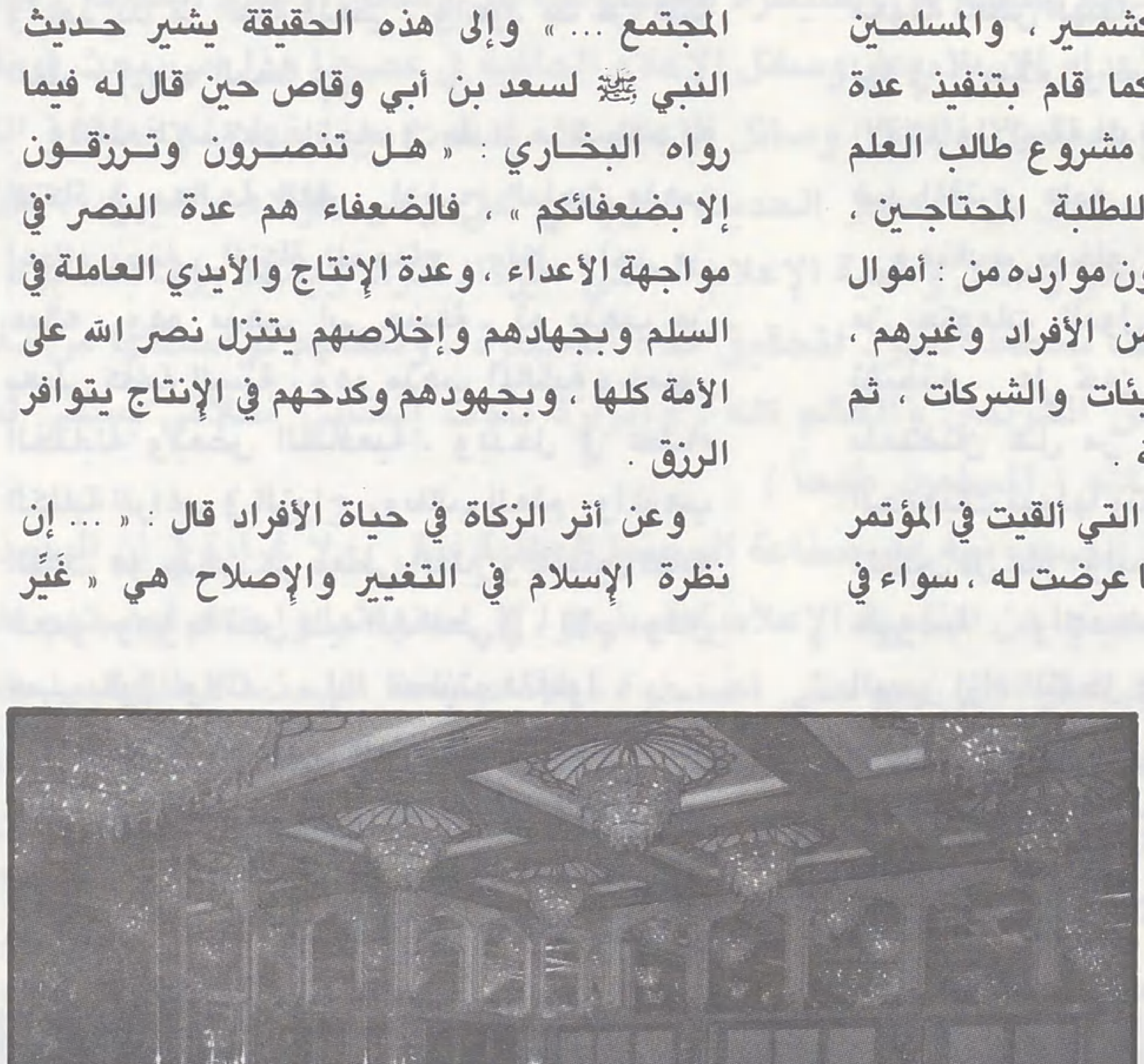

● حضور ومتابعة من العلماء والباحثين والصحفيين ●

ندوات ومؤتمرات

مؤتمر الزكاة الأول في الكويت

الأنفس يتغير التاريخ » ﴿ ... إنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١) .. وأول ما يزكي النفس الإنسانية ويسمو بها هو تحريرها من العبودية لغير الله تعالى ، ومن ذلك العبودية للذات أي لهوى النفس ، وشر إله عبد في الأرض الهوى .. ولا يحرر النفس من العبودية لغير الله إلا التوحيد الحق .. » وللزكاة وظيفتها في مساعدة الفرد على التحرر من كل ألوان العبودية لغير الله تعالى سواء بأثرها في نفس معطيها أو أثرها في نفس المستفيد منها .

بعد ذلك أوضح الدكتور القرضاوي نظرة الإسلام إلى الفقر وأنه خطر على العقيدة وخطر على الأخلاق ، وخطر على سلامة التفكير ، وعلى الأسرة ، وعلى المجتمع ، وهو بلاء ومصيبة يطلب دفعها ، ويستعاذ بالله من شرها ، خاصة إذا عظم الفقر ، حتى أصبح فقراً منسياً ، فهو مثل الغنى إذا تفاقم حتى يصبح غنى مطغياً ، وقد روى أكثر من صحابي عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ بالله من الفقر ، ولولا أنه شر وبلاء ما استعاذ بالله منه . فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يتعوذ « اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، ومن عذاب النار ، وأعوذ بك من فتنة القبر ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر » [رواه البخاري] .

وللفقه الإسلامي اتجاه في مقدار ما تساهم به الزكاة في معالجة الفقر أوضح الباحث مذهب إعطاء نصاب الزكاة للمحتاج ، ولكل واحد من عياله ، وهو مذهب أبي حنيفة ، ثم مذهب من يعطي كفاية السنة ، وهو مذهب المالكية وجمهور الحنابلة وبعض الشافعية ، ويدخل في عطاء الكفاية الراغب في الزواج ، وطالب العلم . والمذهب الثالث هو مذهب من يعطي الفقير والمسكين كفاية العمر ، وهو ما نص عليه الشافعي في « الأم » وكان عمر يقول لولاته : « إذا أعطيتم فأغنوا » .

بذلك يتبين أن هدف الزكاة ليس إعطاء الفقير أقداراً من الحبوب أو دريهمات من النقود كما يتوهم .. وإنما الهدف هو تحقيق مستوى لائق لمعيشته ، بوصفه إنساناً كرّمه الله واستخلفه في الأرض ، ولائق به بوصفه مسلماً ينتسب إلى دين العدل والإحسان ، وينتمي إلى خير أمة أخرجت للناس .. وأدنى ما يتحقق به هذا المستوى أن يتهيأ له ولعائلته طعام وشراب ملائم وكسوة للشتاء وللصيف ، ومسكن يليق بحاله ..

تساءل الباحث بعد ذلك : هل تعني الزكاة الاعتراف بأبدية الفقر ، ما دامت الزكاة فريضة محكمة ، ووجود الفقراء باعتبارهم طبقة اجتماعية فرض لها حق الزكاة ؟ وأجاب :

الإسلام ينظر إلى الفقر باعتباره عارضاً من عوارض الحياة ونوازعها التي تحل بالناس مثل المرض والحرب ونحوهما ، ثم إن الرسول ﷺ يخبر عن زمن يستغني فيه الناس عن الصدقة فيما روي عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه » وفي تاريخ الإسلام انتصار للمسلمين على الفقر (عهد عمر بن عبد العزيز) .. أما الشبهة الثانية عن الفقراء ، فهم ليسوا طبقة ، فالطبقة بالمعنى الذي عرفته أوروبا في القرون الوسطى لا وجود لها في مجتمع الإسلام ، وكما أن المريض قد يصح ، والعزب قد يتزوج ، فإن الفقير قد يغتني ، فالفقر في المجتمع المسلم ليس أمراً ثابتاً ، بل هو أمر دائم التغير بتغير ظروف الحياة وفرص الكسب وقوانين الميراث وغيرها ..

وللزكاة دور في تمويل الجهاد الإسلامي والدعوة الإسلامية ، ويرى الدكتور القرضاوي أن الحاجة إلى تأليف القلوب - في بند المؤلفة قلوبهم في الزكاة - لم تنقطع ، فالهدف الذي قصده الشارع من سهم المؤلفة هو استمالة القلوب إلى الإسلام أو تثبيتها عليه ، أو تقوية الضعفاء فيه ، أو كسب أنصار له ، أو كف شر عن دعوته ودولته .. وقد يكون ذلك في العصر الحاضر بإعطاء مساعدات لبعض الحكومات غير المسلمة لتقف في صف المسلمين أو معونة بعض الهيئات والجمعيات والقبائل ترغيباً لها في الإسلام أو مساندة أهله ، أو شراء بعض الأقلام والألسنة للدفاع عن الإسلام وقضايا أمته ضد المفتري عليه

وهناك من يدخلون في الإسلام كل عام ولا يجدون من حكومات الدول الإسلامية أية معونة أو تشجيع .. على حين تقوم الإرساليات التنصيرية باحتضان كل من يعتنق النصرانية .. وهذه الجمعيات تمولها وتمدها مؤسسات دول بعشرات الملايين كل عام ، وليس في دينهم ما في ديننا من زكاة مفروضة .. والإسلام لا يجوز أن يقف مكتوف اليدين إزاء التدخل في قارة أفريقيا التي يدور فيها صراع ديني وسياسي ومذهبي رهيب .. فالتنصير الاستعماري أو الاستعمار التنصيري من ناحية ، والتسلل الصهيوني الإسرائيلي من ناحية ثانية ، والتغلغل الشيوعي من ناحية ثالثة : كلّ يريد صبغ القارة بصبغته أو ضمها إلى جانبه .

أما سهم (في سبيل الله) ، فمع الاختلاف في المراد به ، هل هو الجهاد ، أم إطلاق اللفظ ، فإن الباحث يميل إلى أنه كل عمل يراد به نصرة الإسلام وإعلاء كلمته ، ونشر دعوته هو (في سبيل الله) استلهاماً من قول النبي ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » فيلحق بذلك كل عمل ثقافي أو تربوي أو إعلامي أو اقتصادي أو اجتماعي ، يراد به إعلاء كلمة الإسلام في الأرض وحماية المسلمين من معاول الهدم وتحصينهم ضد أسلحة الغزو التنصيري والشيوعي والانحلالي والعلماني .. حتى معنى الجهاد فقط لا يعني الجانب العسكري وحده ، بل يكون الجهاد بالقلم واللسان ، ويكون بالبر والإحسان ، ومن (سبيل الله) تحرير أرض الإسلام من حكم الكفار ، ومنه السعي لإعادة حكم الإسلام في الأرض ..

ثم ضرب أمثلة للجهاد في سبيل الله في العصر الحاضر فذكر منها إنشاء مراكز للدعوة إلى الإسلام الصحيح وتبليغ رسالته إلى غير المسلمين ، ومراكز إسلامية واعية أيضاً داخل بلاد الإسلام نفسها تقف في وجه الصحف الهدامة والمضللة ، ونشر كتاب إسلامي أصيل يحسن عرض الإسلام ، ويفضح أباطيل خصومه ، وتعميمه ، وتفريغ رجال أقوياء أمناء مخلصين للعمل في المجالات السابقة بهمة وغيرة وتخطيط ، ومعاونة الدعاة إلى الإسلام الحق ، والصرف على هذه المجالات المتعددة لهو أولى ما ينبغي أن يدفع فيه المسلم زكاته ، وفوق زكاته ، فليس للإسلام - بعد الله - إلّا أبناء الإسلام خاصة في عصر غربة الإسلام .

واختتم الدكتور يوسف القرضاوي بحثه بعرض لمشكلة الفوارق الاقتصادية ، والتسول ومشكلة الكوارث ، والعزوبة ، والتشرد ، وقدم العلاج الإسلامي لها من خلال دور الزكاة ..

مناقشات وتعليقات وحوارات على هامش المؤتمر

وعن « التطبيقات التاريخية والمعاصرة لتنظيم الزكاة ودور مؤسساتها » أشار الدكتور محمد عقله إلى بدء ديوان الزكاة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم ما كان من تفويض الناس لإخراج زكاة أموالهم الباطنة كالذهب والفضة وعروض التجارة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه .. ثم ما تلا ذلك في عصر عمر بن عبد العزيز والعباسيين والأيوبيين ... ولكن الباحث أنهى رصده للتطبيقات بأفول نجم الخلافة العثمانية ، ولم يتابع عملية الرصد لتطبيقات الزكاة - بأشكالها المختلفة - في العديد من بلدان العالم الإسلامي في العصر الحديث على المستوى الشعبي ، واكتفى بإبراز بعض مؤسسات الزكاة التي تكونت في السنوات القليلة الماضية رسمياً .

وعن « دور الزكاة في الاقتصاد العام والسياسة المالية » ألقى الدكتور محمد أنس الزرقاء بحثه ، ومن أهم القضايا التي ناقشها : أثر الزكاة على الاستثمارات الثابتة .. فهناك أكثر من راي فقهي ، عُني الباحث بتتبعها وركز على الأثر الاقتصادي لكل منها :

● الراي الأول يعفي قيمة هذه الاستثمارات (أو زكاة المستغلات كما سماها الدكتور

القرضاوي) ودخلها أيضاً من الزكاة ، ما لم يدخل من دخلها مقدار يزيد على نصاب النقود ، ويحول عليه حول ، فيزكى تزكية النقود (٥ر٢٪) . واقتصادياً فإن هذا الرأي يؤدي إلى تشجيع الاستثمارات الأخرى غير المزكاة على حساب الاستثمارات المزكاة ويولد حافزاً قوياً ضد اكتناز النقود ويشجع استثمارها في مجالات غير مزكاة .

● والرأي الثاني : يعامل الاستثمارات معاملة عروض التجارة (رأس المال التجاري) فيقوِّمها مالكها كل عام ، ويضيف إليها ما ادخره من إيرادها ، ويزكي المجموع بـ (٥ر٢٪) شأن عروض التجارة . وهذا الرأي يسوي بين كل صور الاستثمار والاكتناز ، وقد يتراءى أن ذلك لن يشجع الاستثمار ، ولن يثبط الاكتناز ، ولكن الصحيح أن النقود في اقتصاد إسلامي لا يمكن أن تدر على حائزها أي دخل ما لم يستثمرها (لأن إقراضها بفائدة حرام) ولا يرغب الفرد عادة أن يترك مدخراته تتآكل بالزكاة ، بل يريد المحافظة عليها على الأقل ، والسبيل إلى ذلك هو الاستثمار ، لذلك فإن هذا الرأي يولد حافز الاستثمار ويثبط الاكتناز .

● أما الرأي الثالث فهو يطرح من إيراد الاستثمارات السنوي ما يقابل استهلاك رأس المال ، ويزكى « صافي الإيراد » فور قبضه زكاة بنسبة (١٠٪) شأن المحاصيل الزراعية .. فإن لم يربح الاستثمار أو خسر لا تجب عليه الزكاة (كالأرض الزراعية إن هلك محصولها) ، ولو أن المستثمر اكتنز النقود ولم يستثمرها لوجب عليه أداء زكاتها على كل حال بمعدل (٥ر٢٪) لهذا فإن تفضيل الاستثمار على الاكتناز سيستمر حتى يبلغ معدل خسارته المتوقعة (٥ر٢٪) وهذه النتيجة تنطبق على القرارات الاستثمارية التي تبنى على القيمة المتوقعة للعائد .. واقتصادياً يؤدي هذا الرأي إلى توليد حافز على الاستثمار ، وتثبيط النقود إلى درجة أكبر من الرأي الثاني .

وانتهى الدكتور الزرقاء إلى أن الزكاة مهما كان الرأي الفقهي الذي تختاره ، تشجع على تخفيض مستوى الاكتناز ، وزيادة مستوى الاستثمار في الاقتصاد .

ويعد هذا المؤتمر إلى جانب ما تعرض له من موضوعات فرصة للقاءات والحوارات للاطلاع على مشكلات المسلمين المتعددة بما يتوافر فيه من باحثين وعلماء من مختلف بلدان العالم الإسلامي .. فهي ظاهرة وإن حملت بعض السلبيات فإنها تسدد مستقبلاً .. ولعل قضية نقل أموال الزكاة وتحديد الأولويات بالنسبة للمصارف الشرعية الثمانية والتفاوت في نسب الفقر في بلاد العالم الإسلامي من القضايا الهامة التي يجب أن تطرح مستقبلاً للبحث بعد هذا المؤتمر ، فالمجتمعات الإسلامية ليست في سوية واحدة مادياً نتيجة لعدم التكافل الاجتماعي .. ومن هنا يجب القيام بعملية تنسيب الفقر في العالم الإسلامي لتحدد أولوية صرف الأموال إلى من هم أشد حاجة .. ونرجو أن تتاح الفرصة لنشر مثل هذه الأبحاث مستقبلاً .

الغزو الفكري في وسائل الإعلام

محمود قطام

■■ برعاية المركز الثقافي الإسلامي بالجامعة الأردنية ، عقد في الثلاثين من جمادى الآخرة الموافق للأول من نيسان اللقاء الفكري الثاني حول الغزو الفكري في وسائل الإعلام ، وكان من المتحدثين الأستاذ يوسف العظم الذي عَرَّف الإعلام وميدانه وحقوله ووسائله .

بعد ذلك تطرق إلى وسائل الإعلام في العالم الغربي (بريطانيا وسويسرا وأمريكا) وركز بشكل خاص على الإعلام في أمريكا ، وقال : إن الصحافة ووكالات الأنباء وشبكات التلفزيون في أمريكا تعتبر أهم وسائل الإعلام في الحياة الأمريكية ، فهناك عشرات الشركات التي تبث برامجها التلفزيونية سواء أكانت على المستوى المحلي أو القومي ، وأهمها شركة (سي . بي . إس) وشركة (إيه . بي . سي) وشركة (إن . بي . سي) وشركة (سي . إن . إن) .

وأوضح أن شبكات التلفزيون الرئيسة الثلاث تخضع للإدارة اليهودية فمثلاً الجنرال ديفيد سارنوف كان يدير (إيه . بي . سي) ووليم بيلي يدير (سي . بي . إس) وليونارد غولد سون يدير (إن . بي . سي) وثلاثتهم من اليهود اللامعين .

وعن الإعلام في الاتحاد السوفييتي قال : إن هويته ماركسي مع ما يدخل عليه من تبديل وتغيير يقتضيه طبيعة الموقف ، كما لا يسمح بنشر شيء يخالف هوية الدولة ورأي الحزب الحاكم .

وخلص إلى القول : كان من ثمرات الإعلام المنحرف في عالم المسلمين ، الذي سار بعيداً خلف الإعلام الغربي بشقيه ، نشر الكثير من الضلالات ، وضياع الهوية وتشتيت الأمة فكراً وولاءً وتصوراً وهدفاً ومسيرة ، إلى جانب العمل على تشويه الحركة الإسلامية المعاصرة ، ونعتها بالكثير من الأوصاف المنفرة مستغلاً بعض الأخطاء التي قد تقع فيها لمحاولة إقامة حاجز بينها وبين جماهير الأمة ، إلى جانب استعدائه بعض الأنظمة اللا دينية (العلمانية) عليها لضربها ومحاولة القضاء عليها .. إلى جانب محاولة إرساء التبعية الذليلة والولاء للأجنبي ، والوقوف مع أعداء الأمة ضد عقيدتها وفكرها ومصالحها ...

ثم تحدث السيد زياد أبو غنيمة عن السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية ، فقال : إن الحديث عن سيطرة أعداء الإسلام على وسائل الإعلام العالمية في عصرنا هذا أمر يبعث في نفس كل مسلم غيور ألماً وأسىً عميقين ، ذلك لأن وسائل الإعلام هذه قد أدت دوراً خطيراً وخبيثاً في الكيد للإسلام والتآمر على المسلمين في العصر الحديث . ويأتي على رأس هؤلاء : اليهود ، الذين يسيطرون سيطرة خانقة على وسائل وأقنية الإعلام العالمي ، يزداد أثرها ويشتد يوماً بعد يوم ...

وأوضح بعد ذلك كيف يخطط اليهود لتحقيق هذه السيطرة ، وتمكنهم بواسطتها من تغير صورة اليهودي في أذهان الغربيين والعالم كله ، وإبرازه بثوب إنساني أخلاقي يسعى لخير البشرية على خلاف أعدائه (المسلمين طبعاً) .

كما أشار إلى السيطرة الصهيونية على صناعة السينما العالمية فقال : ولا غرابة في أن اليهود قد أدركوا أهمية صناعة السينما من الناحية الإعلامية فسارعوا إلى احتوائها وإحكام قبضتهم عليها منذ بداياتها الأولى ، ولم يطل الأمر بهم حتى أصبحوا سادة صناعة السينما العالمية من خلال امتلاكهم لأشهر شركات الإنتاج السينمائي العالمي وخاصة الأمريكي منه حيث تشير بعض الإحصاءات إلى أن أكثر من ٩٠٪ من مجموع العاملين في الحقل السينمائي الأمريكي إنتاجاً وإخراجاً وتمثيلاً وتصويراً ومونتاجاً من اليهود ■■

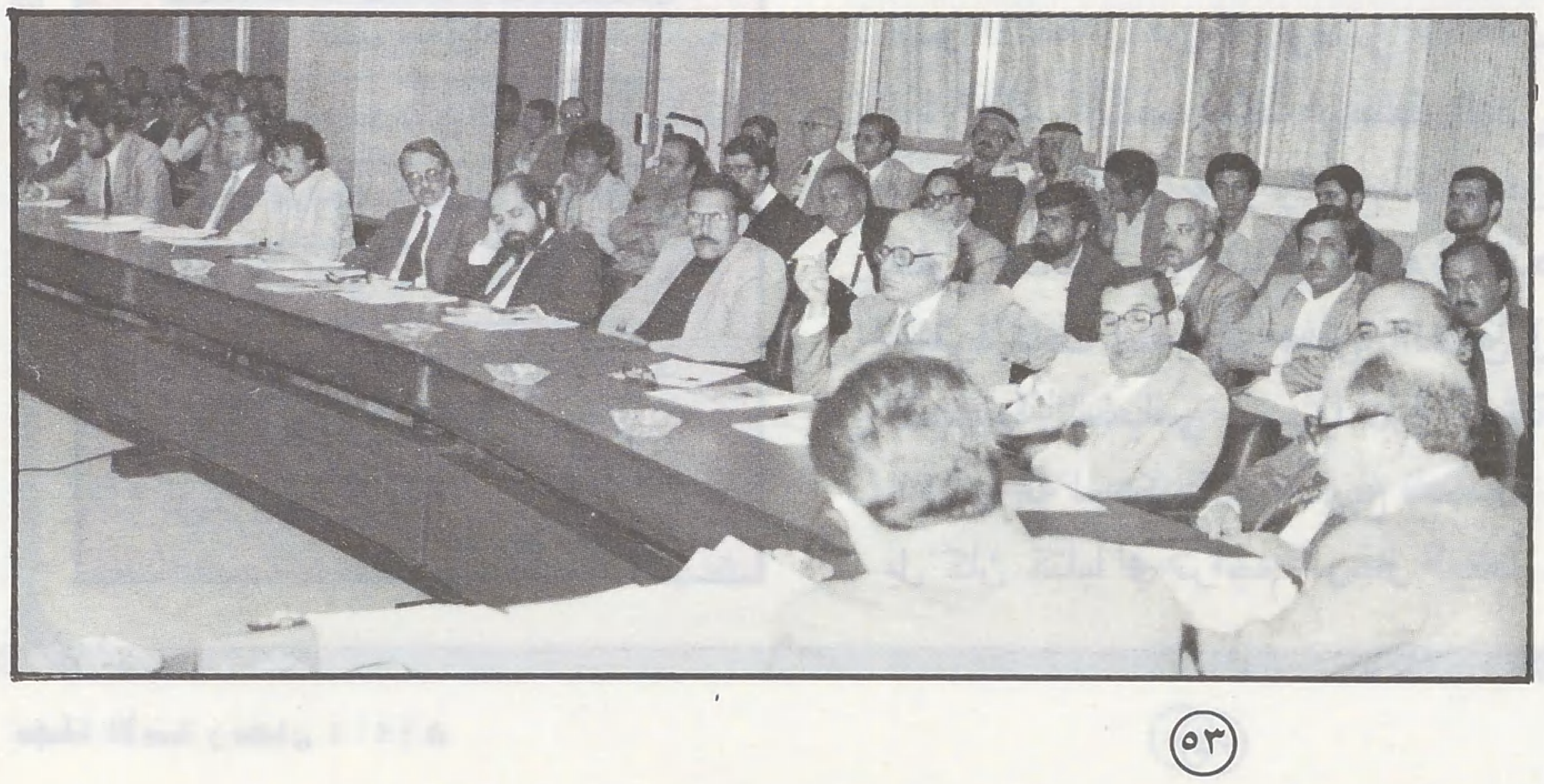

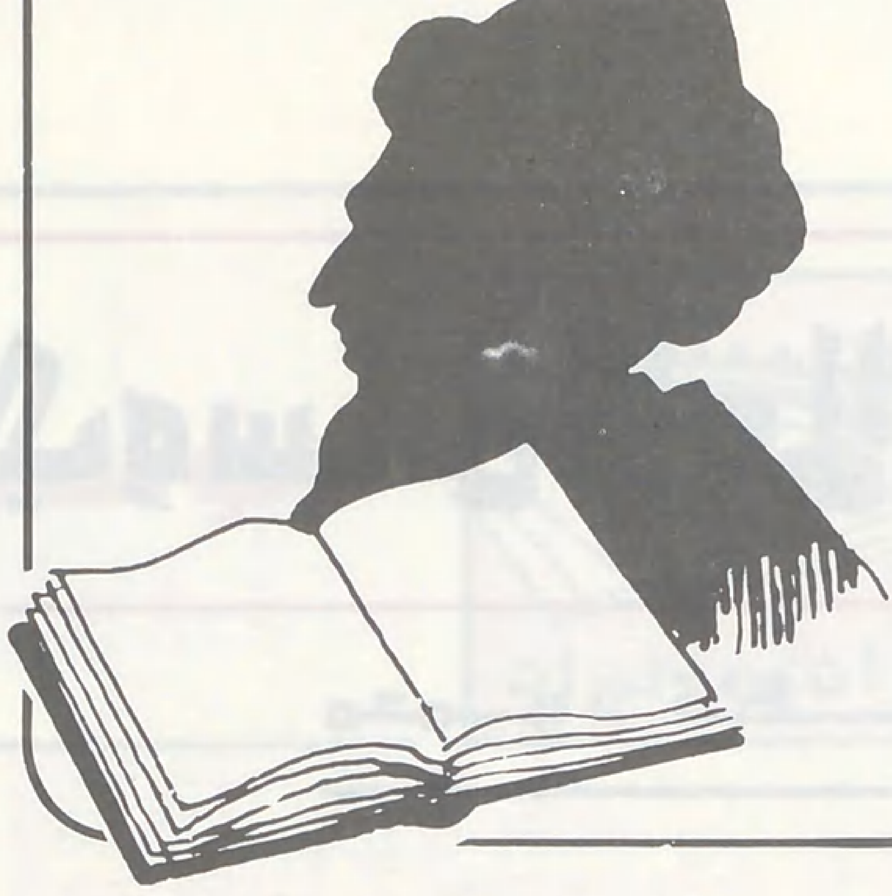

عبد الرحمن الجبرتي في تاريخه الكبير
عالم وكتاب

■■ يعد المؤرخون كتاب «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» لعبد الرحمن الجبرتي واحداً من المصادر الأساسية لدراسة التاريخ الإسلامي في سيرته الطويلة وهو ثالث ثلاثة كتب في التاريخ الإسلامي وقفت كالقمم الراسخة العالية في سلسلة كتابات تاريخية كثيرة تخللتها عبر العصور وأول تلك القمم الثلاث كان كتاب «تاريخ الرسل والملوك» لابن جرير الطبري الذي تحدث عن أخبار الدول وملوكها وأحداث الزمان منذ فجر التاريخ حتى بداية القرن الرابع الهجري حيث تُوفي هذا المؤرخ العظيم والمحدث الكبير في ٢٦ شوال سنة ٣١٠هـ، والقمة الثانية من تلكم القمم كان كتاب «الكامل في التاريخ» لأبي الحسن عز الدين علي بن محمد بن الأثير الجزري. وقد ظل هذا الكتاب المصدر الأساسي للمؤرخين منذ القرن الرابع الهجري حتى يومنا هذا، ذلك لأنه يمتاز عن تاريخ الجبرتي الذي سنواصل الحديث عنه في هذا البحث في أنه كان تاريخاً شاملاً للدولة الإسلامية في شتى أقطارها، على حين اقتصر تاريخ الجبرتي على تاريخ مصر وحدها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين ■■

وقد تُوفي ابن الأثير المؤرخ في سنة ٦٣٠هـ، أي في نهاية الثلث الأول من القرن السابع الهجري، ولكن كتابه لا يزال حياً، يحمل إلى الدنيا كلها أخبار العالم الإسلامي وأحداثه وملوكه وأمرائه إلى اليوم.

أما القمة الثالثة فهي كتاب عبد الرحمن الجبرتي الكبير «**عجائب الآثار في التراجم والأخبار**».

ويستمد هذا الكتاب أهميته في أنه أرخ لفترة شهدت أحداثاً ضخمة في قطر كبير من أقطار العالم الإسلامي. **فقد شهدت هذه الفترة انحلال النظام العثماني المملوكي الذي قام في مصر منذ فتحها السلطان سليم الأول عام ١٥١٧م. ثم شهدت حكم الفرنسيين لها نحو ثلاث سنوات (١٧٩٨ - ١٨٠١م)، ثم شهدت محاولة النظام العثماني العودة إلى مصر من جديد، ثم الإجهاز عليه تماماً على يد محمد علي، وكان هذا الإجهاز تمهيداً لبناء النظام الجديد**[1]. **وقارىء التاريخ اليوم لا يجد كتاباً يتحدث عن هذه الفترة المضطربة غير كتاب الجبرتي.**

ويعد الجبرتي في هذه الفترة الحافلة بالأحداث شاهد عيان، يرى ويسمع فيحلل ويكتب. فقد عاش الجبرتي بين عامي ١٧٥٤ - ١٨٢٥م وعامي ١١٦٧ - ١٢٤٠هـ. فشهد بذلك النصف الثاني من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. **وفي هذه الفترة كانت مصر على مفترق الطرق في اتجاهها السياسي**. ويزيد من أهمية الكتاب أنه لم يكن كتاب تاريخ فحسب، بل كان كتاباً في تراجم الرجال أيضاً.

فقد ترجم الجبرتي للآلاف من العلماء والشيوخ والأمراء والحكام والخطباء والشعراء والكتاب والأعيان والتجار، بل إن كتابه يشمل أخباراً طريفة كثيرة عن أبناء الطبقات الدنيا من المجتمع المصري، حيث يورد أسماء كثيرين من الباعة وأهل البدع وبعض أصحاب الطرق والمجذوبين وغيرهم ممن يكثرون أيام الاحتفالات الدينية والمواسم.

ويمكن القول: **إن الجبرتي يقدم صورة كاملة للمجتمع المصري خلال العصر العثماني.**

عبد الرحمن الجبرتي سيرة وحياة وكتاب

يذكر المؤرخون أن الجبرتي حبشي الأصل، نزح أسلافه من جبرت - إحدى مدن الزيلع الإسلامي في بلاد الحبشة - إلى مصر وتعاقبت أجيالهم فيها[2]. ولكن الدكتور محمد محمود الصياد ذكر أن «**صحة الاسم هو: (جبره) بفتح الجيم والباء الموحدة والراء المهملة ثم هاء في الآخر، هكذا رواه القلقشندي نقلاً عن صاحب تقويم البلدان**»[3].

ومهما يكن من أمر فإن نسبة **الجبرتي** ذاعت وانتشرت، وقد عرف بها عدد من الرجال كان منهم **العلامة الشيخ حسن بن إبراهيم بن الشيخ حسن بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الجبرتي الحنفي والد مؤرخنا الشيخ عبد الرحمن الجبرتي.**

ويذكر المؤرخون أن **الشيخ حسن** - والد المؤرخ - كان من أعلام علماء الأزهر الشريف، درس على الشيخ

عجائب الآثار في التراجم والأخبار

بقلم : عودة أبو عودة

حسن بن الشيخ حسن الشرنبلالي حتى أجازه ، وتصدر للتدريس في الأزهر ، وفي مدرسة السنانية ببولاق بجامع سنان باشا ، وكان الشيخ حسن الجبرتي على جانب كبير من الثراء ، وكان له بيوت ثلاثة ، أحدها بالصنادقية والثاني على النيل ببولاق والثالث بمصر العتيقة . وكانت مكتبته عامرة بالكتب القيمة والمخطوطات النادرة ، آهلة في كل وقت بالعلماء والمجاورين[٤] .

في هذا البيت العامر بالعلم والدين والأدب **ولد الشيخ عبد الرحمن الجبرتي في عام ١١٦٧هـ** أي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري الموافق لعام ١٧٥٤م أي في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي . وهو الابن الوحيد الذي عاش للشيخ حسن الجبرتي من أبنائه الذكور ، فاهتم به أشد الاهتمام ، ورعاه أحسن الرعاية خاصة بعد أن لمس فيه مخايل النجابة والذكاء ودقة الفهم . فقد حفظ القرآن الكريم وهو في الحادية عشرة من عمره ، وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث والروايات والأخبار التي يقصها والده على المشايخ الناشئين والمهاجرين الذين كانوا دائمي التراداد على منزله بالصنادقية . ولهذا صار والده يخصه بأحداث العصر وأخبار الولاة والعلماء الذين عرفوه وعرفهم .

ولما توفي والده ترك له أموالاً طائلة وصداقات عديدة أكثرها من المشايخ والمريدين والأمراء والحكام ؛ وواصل عبد الرحمن دراسته إلى أن تخرج في الأزهر بعد أن درس علوماً شتى في الفقه واللغة . ثم عكف على خزانة والده يستزيد من علوم الفلك والحساب والهندسة وغير ذلك . وصار الشيخ عبد الرحمن يعقد حلقات التدريس وفق ما جرت به عادة المتفوقين البارزين من علماء الأزهر . وهنا في هذه الحقبة خبر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي أخبار العلماء وأخلاقهم ، وكان غير راض عن أعمال زملائه في الأزهر . ولعل عدم الرضى هذا هو المسؤول فيما بعد عن عادة النقد والتفكير الجاد والتحليل الذي عرف به الجبرتي عند كتاباته لتراجم الرجال . فقد أخذ على هؤلاء العلماء افتتانهم بالدنيا وعدم إخلاصهم للعلم وحرصهم على جمع الأموال ، واستخدامهم لكثير من الخدم والمقدمين والأعوان ، ومخاصماتهم الكثيرة بعضهم مع بعض . ومن هنا تولدت عند الجبرتي جذور الإدراك الواسع والفهم الدقيق لأخلاق الرجال ، وطبيعة المشكلات التي يمر بها .

وفي الحادية والعشرين من عمره بعد أن توفي والده أخذ **الجبرتي** يتنقل في أنحاء مصر . ليعرف مواقعها ، ويتصل بعلمائها وعظمائها وليعرف ألوان الحياة في القرى ، وما يعانيه الفلاح من شظف العيش . وقد كان هو بطبيعته ميالاً للشهرة محباً للرحلة وقد ساعده على ذلك ثراؤه الواسع ، ورغبته في المعرفة والاطلاع . وقد كان هذا أحد الأسباب البارزة التي مكنته من تأليف كتابه الكبير فيما بعد ، إذ لا شك أن الجبرتي قد أحاط بكثير من أخبار البلاد ، وأخلاق العباد ، مما جعله صادق الأحكام دقيقاً في تحليل الأمور مستوعباً لكل صغيرة وكبيرة من حياة الشعب المصري في الفترة التي تحدث عنها .

ولا شك أن **الجبرتي** قد استغرق في هذا العمل ليله ونهاره . وطفق يبحث عن مصادره ومراجعه ، وبدأ يدون الأسماء « **وكان من الطبيعي أن يبدأ بالمشايخ ، ومن كان منهم شيخاً للأزهر ، ثم أشياخ الأروقة وأرباب الحلقات . ومن كان أبوه يطلق عليهم « الطبقة العليا » ثم الطبقة التي تليها ممن اشتهروا بالعلوم الفقهية والعقلية والنقلية والشعر والأدب والخطابة وغير ذلك . كما شرع بدون أسماء أمراء الوجاقات والصناجق ومن بلغ منهم مشيخة البلد ومن شاركه في الحكم** »[٥] .

طلبه العون ..

وقد استعان **الجبرتي** في عمله هذا بكل من اعتقد أنّ عندهم عوناً . ومن هؤلاء **صديقه إسماعيل الخشاب** الذي التحق شاهداً بالمحكمة ، وكان من العدول المشهورين بالعلم والأدب ...

لا شك أن الجبرتي بعد ذلك قد أعد الدفاتر واطمأن باله ، فقد كان يشكو من استبهام المئة الماضية عليه حتى السنة السبعين ، أي من عام ١٠٧٠هـ حتى ١١٧٠هـ . لأن هذه السنوات سابقة على حياته فهو قد ولد سنة ١١٦٧هـ كما سبق القول ، ولذلك حرص على أن يدون الأسماء من الدواوين الرسمية والأوراق الثبوتية المعتمدة ، أما ما بعد ذلك فهو عليه هيِّن ، يقول :

« **إنها تستبهم عليّ (المئة الماضية إلى السنة السبعين) وأما ما بعدها فأمور شاهدتها ، وأناس**

عرفتهم ، على أني سوف أطوف بالقرافات (المقابر) وأقرأ المنقوش على القبور ، وأحاول جهدي أن أتصل بأقرباء الذين ماتوا ، فأطلع على إجازات الأشياخ عند ورثتهم ، وأراجع أوراقهم إن كانت لهم أوراق ، وأسأل المعمرين ماذا يعرفون عمن عايشوهم ، ولا أرى بعد ذلك مرجعاً أعتمده غير ما طلبت منك . (أي من الخشاب)[٦] .

ويبدو حرص الجبرتي على الحقيقة ، مع ما يحس به من الضعف البشري الذي هو من طبيعة الإنسان في قوله :

« فلا أكتب حادثة حتى أتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار ، وربما أخرت قيد الحادثة حتى أثبتها ويحدث غيرها وأنساها ، فاكتبها في طيّارة حتى أقيدها في محلها إن شاء الله تعالى ، عند تهذيب هذه الكتابة ، وكل ذلك من تشويش البال ، وتكدر الحال ، وهمّ العيال وكثرة الاشتغال وضعف البدن ، وضيق العطن »[٧] .

ظل الجبرتي منهمكاً في جمع أخباره وتقييدها في دفاتره وكراساته وأوراقه حتى فاجأته وفاجأت المصريين جميعهم الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ . كان الجبرتي في الرابعة والأربعين من عمره كان في عنفوان شبابه واكتمال ذاكرته ورجاحة عقله ، ولذلك فهو لم ينقطع خلال فترة بقاء الفرنسيين في مصر عن تسجيل أعمالهم ، ورصد حركاتهم ، والتعليق على أقوالهم وأفعالهم ، وكان أكثر العلماء الأزهريين دقة في تدوين ملاحظاته على نظام الحياة في مجتمع الجنود الفرنسيين وطرائقهم في تنظيم حياتهم .

وقد انقسمت ملاحظات الجبرتي تلك إلى قسمين :

ملاحظات سياسية تتعلق بنظم الحكم ومنشورات الفرنسيين وتحليل أقوالهم ورصد أهدافهم . وفي هذا القسم لم يكن الجبرتي ملماً بالحياة الفرنسية وبالعالم الخارجي ، فلم يستطع تحليل الأحداث تحليلاً عميقاً مثل ما فعل في القسم الثاني من ملاحظاته وهي الملاحظات الاجتماعية . ففي هذا القسم يتحدث الجبرتي عن مشاهداته الشخصية وتجاربه العملية ، وهو من عَلِمْنا دقة ملاحظة وحضور بديهة . وقد تفاوتت مواقفه من الحياة الاجتماعية والثقافية للفرنسيين فأحياناً كنت تراه معجباً ببعض مظاهر السلوك ولا سيما ما يتعلق بالمعرفة وحب العلم وإجراء التجارب واستخدام الأجهزة والأدوات . وأحياناً كنت تراه ساخطاً بَرماً خاصة فيما يتعلق بتصرفات النساء وخروجهن للعمل سافرات على غير المعهود في المجتمعات الإسلامية .

موقفه من الفرنسيين

ويقال إن الجبرتي كان يتردد على بعض المنشآت الفرنسية في مصر ، وكان يلتقي ببعض رجالهم . بل إنه كان عضواً في الديوان الوطني الذي أنشأه الجنرال « مينو » .

وقد تعرض الجبرتي إلى النقد في موقفه من الفرنسيين من بني قومه ومن الفرنسيين أنفسهم ، فقد اتهمه المصريون بالتعاون مع الفرنسيين والولاء لهم . كما اتهمه الفرنسيون بالتعصب ضد مظاهر الحضارة الحديثة .

ومهما يكن من أمر فقد انزاح عن كاهل مصر همُّ الفرنسيين في عام ١٨٠١م . فعم الفرح البلاد ، وعاد العثمانيون إلى حكم مصر ، وشارك الجبرتي بني وطنه في أفراحهم فوضع كتاباً سماه « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » أهداه إلى الوزير العثماني يوسف باشا . وفي هذا الكتاب برأ الجبرتي نفسه وأعلن ولاءه للدولة العثمانية ، وأفاض في سرد أحداث الحملة الفرنسية .

لقد نال هذا الكتاب ثناءً كبيراً في أوساط الشعب ومن الحكام الأتراك . فقد حمله الوزير العثماني إلى الآستانة وعرضه على السلطان سليم الثالث الذي أمر كبير أطبائه مصطفى بهجت بنقله إلى اللغة التركية فتم ذلك في عام ١٨٠٧م[٨] .

وقد حفز هذا الثناء الذي قوبل به الكتاب الجبرتي على أن يجمع أوراقه وكراساته السابقة ، وأن يجمع تاريخ مصر الذي انشغل به منذ خمسة عشر عاماً . ولذا فقد عقد العزم على كتابة تاريخ مصر جاعلاً كتابه « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » أحد فصوله . وهكذا شرع الجبرتي بكتابة تمهيد تحدث فيه « عن التاريخ وفائدته » ، ثم أتبعه بمقدمة ضافية تفلسف فيها في تقسيم طبقات الناس . ثم بسط النصيحة للحكام بمراعاة العدل وحسن السياسة . ثم ألمَّ إلمامةً سريعةً بتاريخ مصر حتى الفتح العثماني ، وتدرج منه إلى أواخر المائة الحادية عشرة . وإن يكن تاريخه يبدأ بالفعل بعام ١١٠٠هـ ، بحكم أن نهاية المقدمة ليست بأي حال من الأحوال عرضاً منتظماً للأحداث ، بل إنها لا تحتوي على أية مادة تاريخية إلا في القليل النادر . وبعد المقدمة شرع يتابع السنين واحدة فواحدة يبسط حوادثها ثم يترجم لمن ماتوا فيها . ولما وصل إلى الحملة الفرنسية اكتفى بإثبات كتابه « مظهر التقديس » برمته بعد أن حذف مقدمته وبعض فصوله . وعاد إلى أمانته التاريخية وقوَّم بعض الحوادث وصححها . ثم والى تنسيق الأحداث على

النمط الذي اختطه لنفسه فقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء . وسار بالجزء الأول حتى آخر ١١٨٩هـ . وبالثاني حتى آخر ١٢١٢هـ ، وبالثالث حتى آخر عام ١٢٢٠هـ وأسماه « **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** » وقد انتهى **الجبرتي** من تدوين هذه الأجزاء الثلاثة في عام ١٢٢١هـ (١٨٠٦م) »[٩] .

وقد دفع **الجبرتي** إلى الانشغال بكتابة تاريخه أنه وقف موقف المعارضة لحكم **محمد علي** منذ بداية حكمه . وظل سنوات يترقب ما ستؤول إليه الأحداث في عهد هذا الرجل وكان خلال ذلك يرصد كل شيء ، ويدون الحوادث بالطريقة التي سبق شرحها . ويسند كل ما يقول إلى مصدر ثقة أو شاهد عيان أو شاهد سماع .

وكان يحرص أن يعاين الأحداث العامة بنفسه ، والحقُّ أن قارىء هذا الكتاب الكبير يطَّلع على كل ما يريده من حياة شعب مصر في تلك الفترة ، لقد تعرض الجبرتي لكل شيء .. تعرض لذكر الأحوال الاقتصادية من زراعة وتجارة وفلاحة ، وإلى أنواع النقود المتداولة وإلى الأسعار وأنواع المقايضات . وتعرض إلى الحياة الاجتماعية بكل ما فيها من أحوال شخصية وعادات أسرية وقيم سائدة .. وتعرض إلى الحياة الدينية والحياة الثقافية وأخبار الأدباء والعلماء والشيوخ . وظل **الجبرتي** جاداً في عمله حتى كان عام ١٢٣٧هـ حيث قُتِل ابنه خليل . وقد كثرت الأحاديث حول قتل هذا الابن . ولكن أكثرها تشير إلى أن سبب ذلك هو موقفه المعارض من حكم محمد علي وثورته .

ولكن **عبد الرحمن الجبرتي** هدَّته هذه الحادثة الفاجعة ، فلم يجد القدرة على استكمال تاريخه . وظل يبكي ابنه حتى فقد بصره . ويذكرنا هذا الموقف بموقف سيدنا يعقوب عليه السلام عندما ظل يبكي ولده يوسف عليه السلام حتى فقد بصره .

وفاتـــه ..

وقبع هذا المؤرخ العظيم في بيته بعد تلك الحادثة لا يقرأ ولا يكتب إلى أن أدركته الوفاة عام ١٢٤٠هـ بعد مقتل ولده بثلاث سنوات .

وهكذا كانت حياة هذا المؤرخ الكبير ، الذي عاش حياته ساعياً وراء المعرفة ، مدوناً لكل ما وقعت عليه عيناه ، وسمعت به أذناه من أحداث وأخبار ، حتى استطاع أن يسطِّر لنا تاريخ مصر في أكثر فتراتها تقلباً واضطراباً في كتابه الخالد « **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** » .

هـــوامش :

(١) عبد الرحمن الجبرتي ، دراسات وبحوث ، بإشراف الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٦م ص ٢٠ .
(٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، عبد الرحمن الجبرتي ، تحقيق وشرح حسن محمد جوهر وآخرين ، لجنة البيان العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٨م ، الجزء الأول ، ص ٤ .
(٣) عبد الرحمن الجبرتي : دراسات وبحوث ، صـ٥٨٦ .
(٤) عجائب الآثار ، عبد الرحمن الجبرتي ، ج ١ ص ٤ .
(٥) تراث الإنسانية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، المجلد الرابع ص ٥٥٥ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٧ .
(٧) تراث الإنسانية ، المجلد الرابع ، ص ٥٥٥ .
(٨) تراث الإنسانية ، المجلد الرابع ، ص ٥٥٦ .
(٩) تراث الإنسانية ، المجلد الرابع ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧ .

■■ ظهرت الحركة الإسلامية المعاصرة على امتداد وطننا الإسلامي الجريح كرد فعل حضاري عنيف على ما ساد فيه من اتجاهات فكرية وسياسية ، راهنت ولا تزال تراهن على طمس هويتنا الإسلامية واستئصال قيمنا الحضارية ومصادرة تطلعاتنا التحررية .

واعتبرت الحركة الإسلامية نفسها من هذا المنطلق المشروع الوريث الشرعي لهذه الاتجاهات والتنظيمات اللقيطة التي برهنت التجارب المريرة والأحداث الجسام على عقمها ، وإفلاسها وفشلها الفشل الذريع في فهم واقعنا بكل أبعاده ومكوِّناته وخصوصياته ، ناهيك عن تحريكه وتثويره على نفسه وعلى أوضاعه المتعفنة من أجل الحرية والانعتاق من نير الظلم الاجتماعي ، والحيف الاقتصادي ، والاستبداد السياسي ، والاستلاب الحضاري ، وذلك لسبب هو أنها أرادت تغييره وإحداث الانقلاب فيه من خارج فضائه الثقافي : « اعتماداً على ثقافة النخبة التي هي في الجوهر ثقافة غربية ، أي ثقافة ولدت وصيغت وتهيكلت في ضوء الأنموذج المعرفي الغربي .. »[1] .

وبهذا حكمت على نفسها بالعزلة والانكماش إذ أصبحت هي في واد والجماهير العريضة في واد آخر ، وهذه هي أزمة بل عقدة المثقفين العرب في أجلى مظاهرها .

ومن ثمَّ كان على الحركة الإسلامية المعاصرة وهي تضطلع بهذه المهمة الحياتية والحضارية لأمتنا الإسلامية ـ وصولاً إلى شجب كل سير عشوائي طفولي ـ أن تعيد ترتيب أوراقها من جديد على ضوء حصاد الأمس ، ومستجدات ومتطلبات اليوم ، من أجل الانتقال من مرحلة « رد الفعل » إلى مرحلة « الفعل الحضاري » المدروس ؛ حتى تتم صياغة البديل الإسلامي المنشود القادر على العطاء والإثراء في موقع الأداء الحضاري .. ■■

الحركة الإسلامية المعاصرة بين حصاد الأمس ومتطلبات اليوم

بقلم : علي بن الساسي بالحاج علي

حصاد الأمس في انتظار توظيف اليوم ..

يعتبر الإسلام العظيم لدى الحركة الإسلامية المعاصرة الأرضية الفكرية والعقيدية التي من خلالها ستبلور مشروعها الحضاري البديل ؛ لذلك تمحورت كل اهتماماتها ومجهوداتها من البداية حول خاصية الفهم الشمولي للإسلام واعتبرتها أصلاً من أصولها الأولى ، بدونها لن يستطيع « خطابها » أن يشق طريقه إلى عقلية الجماهير الرازحة تحت ضغط مقولات وتصورات ما سُمي بعصور الانحطاط والتراجع من ناحية ، ومقولات التغريب والمسخ من ناحية ثانية .

يقول الدكتور حسن الترابي متحدثاً عن السياق الفكري لمرحلة انطلاق الحركة الإسلامية المعاصرة : « إن الحركة الإسلامية امضت عهداً طويلاً تحاول أن تثوب بالمجتمع ليقبل أصول الإسلام ، وكانت المناظرة قائمة حول الأصول ، فكان الناس لا يقبلون أن يكون للدين شأن في السياسة ، ولا معنى لأن تدخل بهم في تفاصيل المنهج السياسي لأنهم لا يقبلون المنهج من أصله ، ولا يقبلون كذلك دخول الاقتصاد في الدين . فعكفت الحركة الإسلامية حيناً من الدهر في دعوتها على هذه العموميات حتى تثبتها وترسخها في النفوس .. »[2] .

وقد نجحت الحركة الإسلامية في ذلك أيَّما نجاح فقد أعادت إلى الإسلام العظيم اعتباره ؛ فنفضت عنه ركام الانحطاط وحررته من بعض ظلمات القرون ، ووقفت به في وجه تيارات التغريب والمسخ الحضاري ، وكانت النتيجة أن عادت إليه

بفضل الله وحمده أجيال عديدة بعد جفوة عريضة عنه، وشهدت المساجد حركة ونشاطاً غير معهودين بفضل دروس العلم والفقه وحلق الذكر والمذاكرة، وغزا الزي الإسلامي «الحجاب» المدارس والمعاهد والجامعات والمؤسسات العمومية والخاصة، وازداد الإقبال على الكتاب الإسلامي اقتناء وقراءة وتأليفاً ونشراً، وعدد المجلات الإسلامية كماً وكيفاً، وتسلمت العناصر الإسلامية على المستوى الطلابي مراكز القيادة والتوجيه في أغلب جامعات وطننا الإسلامي التي كان أغلبها لعهد غير بعيد وكراً لليساريين والمتغربين ...

هذه بعض مكاسب وإنجازات الحركة الإسلامية المعاصرة لا ينكرها ولا يحقر من شأنها إلا مكابر وما ذكرت بعضها إلا ليعرف هذا الجيل المبارك - الذي فتح عينيه على مفاهيم إسلامية ناضجة وحركة إسلامية مجاهدة - حق وقدر مَنْ سبقوه ومهَّدوا له الطريق فيجلهم ويكبرهم ويدعو لهم: ﴿ ... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠). غير أن هذا الحصاد المبارك لا يعني أن الإسلام يتقدم وإنما كل ما يعنيه «أن هناك قابليات جيدة لدى الناس كيما تُسخر لقضية الإسلام. هذه القابليات تنتظر من لديه عبقرية لتوظيفها في حركة هادفة منتجة مثمرة ...»[٣]. هذه مسألة من بين مسائل عديدة مطروحة على الحركة الإسلامية المعاصرة - سأذكر بعضها بعد قليل - وهي كيفية توظيف واستثمار وتأطير هذه الجموع الغفيرة المقبلة عليها في خطة التغيير الحضاري المنشود، ولن يتم ذلك إلا ضمن خطة مسبقة ومعدّة، وإلا كان السقوط الرهيب في منطق فعل الإنسان المتخلف الذي أشار إليه مالك بن نبي رحمه الله في كتاباته، والمتمثل في عملية «الجمع والتكديس».. إن غياب التخطيط العلمي والإعداد المدروس أفرزا ظاهرة خطيرة في صلب العمل الإسلامي المعاصر سمَّاها الأستاذ فتحي يكن ظاهرة «التكامل والتآكل» والتي تعني:

«كلما ارتفع البناء قليلاً وابتهجنا بأنه أوشك أن يكتمل انهار لأول دفعة من يد قوية بل أحياناً يسقط من تلقاء نفسه بفعل عدم تماسكه الداخلي ... وذلك راجع إلى العطالة التي أصابت عقل المسلم فما عاد يفقه الإسلام في أبعاده، ولا الواقع في تعقيداته، ولا السبيل إلى نقل الإسلام إلى الواقع ولا الارتفاع بالواقع إلى الإسلام..»[٤].

من متطلبات اليوم ..

إن الحركة الإسلامية المعاصرة بحكم طبيعة الأرضية الثقافية التي تنطلق منها، والأهداف الرسالية التي تسعى لتحقيقها، والواقع المعقَّد الذي تتحرك فيه، والتحولات الذاتية التي تشهدها؛ سواء على مستوى تطور حجمها وتنوع قراءاتها ونمو تجاربها الميدانية وانتعاش الحس السياسي والاجتماعي لدى أفرادها: كل هذا وذاك يدعوها اليوم وأكثر من أي وقت مضى أن تكون في مستوى المسائل والمشكلات المطروحة عليها، فقهاً وإعداداً وتخطيطاً وإنجازاً. وسأكتفي هنا بالإشارة فقط إلى مسألتين أساسيتين مع شيء من التركيز والتحليل للمسألة الثانية، تاركاً مهمة الإعداد والإنجاز وبلورة المضامين - لهاتين المسألتين وغيرهما من المسائل - لذوي الاختصاص والكفاءة في الحقل الإسلامي..

أولاً - المسألة التربوية:

ليس المقصود من المسألة التربوية هو: «مجرد التوثب الروحي فقط أو إعادة الالتزام بحشد من القيم الخلقية أو السلوكية التي دعا إليها الإسلام..»[٥] وإنما المقصود منها هو إعادة ترتيب وصياغة الشخصية المسلمة الفاعلة والمؤثرة صياغة شاملة وفي الوقت نفسه متكاملة ومتوازنة وفق طبيعة التغير الإسلامي ومتطلباته، يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة:

«لقد طرح الإسلام من خلال القرآن والسنة رؤية جديدة للحياة، رؤية تبدأ في داخل الإنسان في عقله وقلبه وروحه ووجدانه وغرائزه وميوله، وتنتهي في خارجه لكي تصوغه إنساناً جديداً متفوقاً قادراً على التغيير المطلوب في بنية العالم ...»[٦] إن إخراج مثل هذه الشخصية المُوَصِّلَة والقادرة على العطاء والتأثير من سياقها النظري إلى سياقها العملي يحتاج إلى عملية رصد وحشد وتخطيط شاملة على مستوى المناهج والوسائل والكفاءات؛ وهذا ما هو مطروح الآن على حركتنا الإسلامية المعاصرة.

ثانياً - المسألة الفكرية:

ليس المقصود من المسألة الفكرية هو إعادة الاعتبار للبعد الفكري في إعدادنا للشخصية المسلمة فهذا موكول للمسألة التربوية كما أفهمها، والتي ستغطي وتلبي المساحات والمكونات الأساسية كافة لهذه الشخصية: العقلية والروحية والجسدية، وإنما المقصود منها هو الطرح الفكري للحركة الإسلامية المعاصرة في الميادين الثقافية والاجتماعية والسياسية والتي وقع التلميح إليها في البداية بشيء من التعميم بحكم ملابسات وخصوصيات مرحلة النشأة الأولى للحركة الإسلامية. ولئن كان لهذا التعميم والتلميح في المرحلة السابقة ما يبرره ففي المرحلة الراهنة يصبح من العقم والإفلاس ترك أبواب هذه الميادين الحساسة موصدة وذلك للاعتبارات الذاتية والموضوعية التالية:

(أ) الاعتبارات الذاتية:

- تجاوز الحركة الإسلامية للعموميات التي طرحتها على نفسها لأول عهد الدعوة والتي كانت منكرة أو مجهولة من طرف عامة المسلمين. يقول الدكتور حسن الترابي: «... فالناس قد سلموا أو اقتنعوا بالعموميات وغدوا يطلبون من الدعاة بأن يوافوهم بالمناهج العملية لحكم المجتمع، وإدارة اقتصاده وتنظيم حياته العامة، ولهداية سلوك الفرد المسلم في ذلك المجتمع الحديث ...»[٧].
- محدودية الفكر الإسلامي السياسي والاجتماعي بالقياس إلى الفكر العقيدي على امتداد التاريخ الإسلامي؛ وذلك راجع إلى استمرار مجموعة من الأفكار التراثية الهدامة التي تلبَّست بالفكر الإسلامي عبر القرون من خلال تسربها إلى كتب الفقه والتفسير والحديث[٨] ومن ثم تصبح عملية التجديد رهينة شرطين أساسيين: غربلة ما سبق، واستيعاب وهضم ما استجد.
- التعارض القائم في الفكر الإسلامي المعاصر في تقويمه للواقع بين نزعة رافضة له، أي الواقع «جملة وتفصيلاً»، ونزعة تبريرية تعتبره نسخة طبق الأصل للصورة الإسلامية الكاملة، وفي إطار هاتين النزعتين المتطرفتين بقي الفكر الإسلامي يراوح في مكانه[٩]. فإلى متى ستستمر هذه الوضعية الهجينة؟ والحال أن: «الإسلام لم يرد لنا يوماً أن ننعزل عن الحياة، ونتخذ إزاءها مواقف السلب والفرار، الإسلام حركة جهاد دائمة لتغيير العالم لقد دعانا إلى النزول إلى الساحة من أول لحظة ...»[١٠].
- طبيعة التشريع الإسلامي ومقتضيات صلاحيته لكل زمان ومكان. فنحن نفهم أن الإسلام العظيم قد حدد مبادىء وأحكاماً نهائية لا مجال لتغييرها في مجالي العقيدة والعبادة؛ عملاً بالقاعدة الأصولية «لا يعبد الشارع إلا بما شرع» أما في مجال التشريع الاجتماعي والسياسي - عدا بعض الاستثناءات - فقد اكتفى بوضع أصول كلية، ورسم قواعد عامة تفتح أمام

بين حصاد الأمس ومتطلبات اليوم

العقل البشري مجالاً متسعاً يمكنه من الاجتهاد في استنباط ما لا نهاية له من التطبيقات العملية لتلك الأصول، وتحويلها إلى تشريعات تفصيلية متصلة بواقع الحياة تمسح كامل جوانبه، ومتلائمة مع مستلزمات كل تطوير يمر به المجتمع والإنسانية عامة[11].

(ب) الاعتبارات الموضوعية:

- هجوم الاتجاهات المناهضة للحركة الإسلامية المعاصرة والذي تمحور في الأونة الأخيرة بسبب تنامي المد الإسلامي وانتعاش حسه السياسي والاجتماعي حول الفضح العقيدي أو «الأيديولوجي» للحركة. وخلاصته أن الحركة الإسلامية المعاصرة لا تملك بن يديها بدائل فكرية واضحة وفي الوقت نفسه جاهزة وإنما لديها مجموعة من المواقف والمحتويات الموروثة. واعتبرت هذه الاتجاهات اللقيطة هذه المسالة نقطة الضعف التي من خلالها ستنسف مصداقية الحركة الإسلامية وشرعيتها في الوجود والنهضة، فراحت تطالبها ـ بمنطق التعجيز ـ ببدائلها على جميع المستويات..
- المناخ الثقافي والفكري لبلدان العالم الثالث ـ ووطننا الإسلامي جزء منه ـ والمتسم بتخلف الأوضاع وجمودها، والفكر الإسلامي هو المرشح الوحيد القادر على تحريك هذه الأوضاع وضخ ماء الحياة في شرايينها باعتباره المعبر الحقيقي عن خصائص ومكونات هذه الأمة الحائرة في دروب حضارات الشرق والغرب.
- تعقيدات الواقع المعاصر الذي تواجهه الحركة الإسلامية، والذي يختلف عن الواقع الذي عالجه السابقون من السلف الصالح حين تصدوا إلى مواجهة مستجداته ومشكلاته، ذلك انهم كانوا يتعاملون مع واقع لم ينقطع سياقه التاريخي. يقول الأستاذ منير شفيق: «... اما في عصرنا الراهن فقد اختلف الأمر، ذلك ان سيطرة الاستعمار زرعت التغريب في العقول، وفي مساحة واسعة من الواقع وصلت إلى الدولة والمدرسة والعادات وطرائق الحياة والسلوك؛ فقام الطراز التابع المتغرب... ولهذا أصبح من الضروري ان تطرح مسائل وقضايا ومعالجات تواجه التغريب الذي رسخ في اكثر من مجال رسوخاً خطيراً، الأمر الذي لم يواجه السلف بمثله فاصبحت المواجهة المطلوبة تُشكل في حالة صلاحها ومناسبتها شرط: وَصْل ما انقطع، كما تشكل شرط: الانطلاق من جديد..»[12]. ثم يتساءل الأستاذ منير شفيق عن كيفية حلّ هذه المعضلة فيقول: «.. وكيف يمكن ان يحدث التواصل مع ما انقطع وقد ابتعدت الشقة بيننا وبينه؟...»[13] فيجيب: «... وهذا ما يجعل الإجابة عن هذا السؤال تتطلب حلولاً مبدعة؛ لان الأمة لم يسبق لها ان واجهت مثلها، كما ان الإسلام نفسه خلال ثلاثة عشر قرناً لم يواجه بمثل هذا التحدي المفروض الآن ...»[14]. هذا على الصعيد الداخلي، أما على الصعيد الخارجي فابرز هذه التعقيدات في النواحي التالية:

أولاً: إن شعوب العالم الثالث على اختلاف سلالاتها، وتنوع ثقافاتها، تعيش اليوم ـ شئنا أم أبينا ـ تحت سماء وفضاء الحضارة الغربية بشقيها الراسمالي والاشتراكي، والتي تشكل الأيديولوجية الماركسية مقولتها الفلسفية وخلاصة مسيرتها التاريخية.

ثانيـاً: إن الحضارة الغربية طرحت رؤية جديدة للكون والإنسان وتقدمت بمشروع تاريخي جديد تحاول الآن فرضه ـ طوعاً أو كرهاً ـ على سائر المجموعات البشرية باعتباره الانموذج الأوحد والأرقى في التصورات والعلاقات، والذي يجب أن يُقتدى به في كل المجالات الحياتية والمعرفية.

ثالثـاً: التصادم الجذري بين الأرضية الثقافية الأنفة الذكر والأرضية الثقافية التي تنطلق منها الحركة الإسلامية، هذه الأرضية التي تحمل في طياتها توجهات عالمية شاملة للحياة وما بعدها تأبى أن تهادن السائد من الأفكار والأوضاع، بل تهدف إلى تغييره والانقلاب عليه الشيء الذي يطبع صراعها مع الآخر المتمثل في الغرب بطابع الجذرية والمبدئية.

وخلاصة القول: إن الاعتبارات الذاتية والموضوعية التي ذكرتها على سبيل الذكر لا الحصر، تحتم على الحركة الإسلامية اليوم وأكثر من أي وقت مضى أن تجدد فكرها وتثريه، وتطرح بدائلها الواضحة في شتى المجالات والميادين، حتى تعي الجماهير المسلمة: أن الإسلام قادر اليوم ـ كما قدر بالأمس ـ على حل مشاكلها واحتضان همومها وآلامها ومطامحها فور استكمال المقادير وتقنيات التحول إليه..

المصـــادر:

(١) صلاح الدين الجورشي: مجلة «المغرب العربي» [العدد ٨٣] السنة الثالثة ص: ٥٣.

(٢) حوار أجرته مجلة «الأمة» عدد ١٧ السنة الثانية مع الدكتور حسن الترابي ص: ١٤.

(٣) مجلة «الأمــة» عدد ٢٧ السنة الثالثة ص: ٩٢ و ٩٣.

(٤) الأستاذ راشد الغنوشي والدكتور حسن الترابي: الحركة الإسلامية والتحديث ص: ٢٨.

(٥) حول إعادة تشكيل العقل المسلم: الدكتور عماد الدين خليل ص: ١٤٠.

(٦) الأستاذ عمر عبيد حسنة: مقدمة كتاب: حول إعادة تشكيل العقل المسلم: ص ١٧.

(٧) الدكتور حسن الترابي: تجديد أصول الفقه الإسلامي ص: ٧.

(٨) لمزيد من الاستفادة راجع كتاب: العروبة والإسلام للأستاذ رشدي عبد الصبور.

(٩) الفكر الواقعي ودوره في النهضة الإسلامية للدكتور عبد المجيد النجار.

(١٠) من مقدمة كتاب: حول إعادة تشكيل العقل المسلم: ص: ١٩.

(١١) كتاب اقتصادنا لمحمد باقر الصدر ص: ٦٥٣ وما بعدها.

(١٢) الإسلام في معركة الحضارة للأستاذ منير شفيق ص: ٣٨.

(١٣، ١٤) المصدر السابق نفسه ص ٤٢.

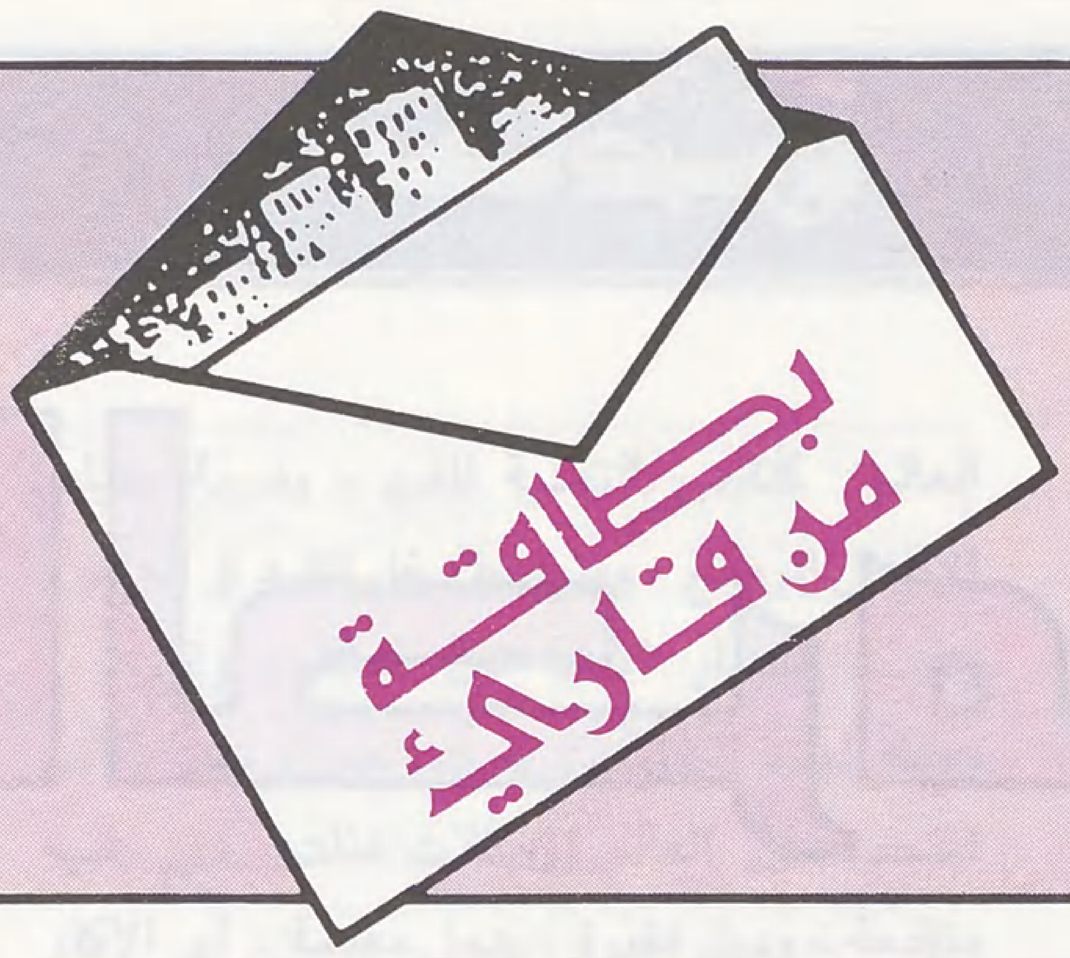

□ هذه انبطاقات عبارة عن افكار وتصريحات واقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. او يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

في عيمانوئيــــل : الباطنيــــة اليهوديــــة

□□ أقام متطرفون يهود مستوطنة خاصة بهم في قلب الضفة الغربية يحظر فيها اختلاط الجنسين كما أن (التلفزيون) محرم . وفي مستوطنة عيمانوئيل هذه لا يعرض شيء للبيع دون موافقة مسبقة من الحاخامين ، ويكرس معظم سكانها جزءاً كبيراً من نهارهم لدراسة التلمود .. أما في الليل فيتوزعون بين فرق حياكة وفرق دراسية لتعليم اللغتين العبرية واليديشية (ألمانية مختلطة بكلمات عبرية وسلافية) □□

(الدستور الأردنية) [العدد ٥٩٣٩]

القارىء : حمدان أبو الحسن ـ الزرقاء ـ الأردن

المذكــــرات السياسيــــة : لمــــاذا ؟

□□ إن الهدف من المذكرات السياسية هو شرح وتبرير سياسات واضعيها وسلوكهم خلال فترة مشاركتهم في الحياة العامة . ويكون التركيز فيها على الانتصارات الحقيقية والوهمية ، بينما تفسر حالات الفشل على أساس القاعدة القائلة : بأنه لم يكن بالإمكان أفضل مما كان ، ولتحقيق ذلك يلجأ هؤلاء إلى الانتقائية في سرد المعلومات ويطرحون رؤيتهم الخاصة للأحداث □□

(القبس الكويتية) [العدد ٤٢٣٣]

القارىء : عثمان محمود ـ مكة ـ السعودية

الإعلام اليهودي !

□□ يمتلك اليـهـود في الولايات المتحدة الأمريكية (٢٤٤) صحيفة ـ منهـا (١٥١) دوريـة ـ و (٣٠) دورية في كندا ، و (١١٨) صحيفة في أمريكا اللاتينية و (٣٤٨) صحيفة في أوروبا ـ بجميع اللغات الأوروبية ـ و (٣) صحف في الهند و (٥) دوريات في تركيا ، و (٤٢) دورية في أفريقيا .

وقد أعلنت إسرائيل أن الصهيونية تسيطر على (٨٨٩) صحيفة في الدول الغربية . □□

عن صحيفــــة

(مرآة الجامعة) ـ السعودية

القــــارىء :

عبد الفتاح محمد ـ الرياض

العظمــــة الحقيقيــــة

□□ حين نعتزل الناس لأننا نحس أننا أطهر منهم روحاً ، أو أطيب منهم قلباً ، أو أرحب منهم نفساً أو أزكى منهم عقلاً ، لا نكون قد صنعنا شيئاً كبيراً .. لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤونة !

إن العظمة الحقيقية : أن نخالط هؤلاء الناس مشبعين بروح السماحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم ، وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتثقيفهم .. □□

(المسلم المجاهد) [العدد ٤]

(تصدر عن اتحاد الطلبة المسلمين بباكستان)

القارىء : الحسين عبد القادر ـ الرياض ـ السعودية

الغايــــة والوسـيلة ..

□□ كيف يمكن أن تصل إلى غاية نبيلة باستخدام وسيلة خسيسة !؟ إن الغاية النبيلة لا تحيا إلا في قلب نبيل .. فكيف يمكن لذلك القلب أن يطيق استخدام وسيلة خسيسة ؟.. بل كيف يهتدي إلى استخدام هذه الوسيلة ؟

إن أوحال الطريق ستترك آثارها على أقدامنا وعلى مواضع هذه الأقدام ... إن الدنس سيعلق بأرواحنا ، وسيترك آثاره في هذه الأرواح وفي الغاية التي وصلنا إليها □□

(المختـــار الإســـلامي) [العدد الأول]

القارىء : عبد القادر أحمد عبد القادر ـ دمياط

حــــروب المسلمــــين ..

□□ ذهب طبيب فرنسي إلى أفغانستان .. قطع مسافة (٣٥٠) كيلومتراً على قدميه في ١٢ يوماً .. وفي طريق العودة استغرق شهراً كاملاً بسبب الحرب الطاحنة هناك ..

لقد أحسست بالغيرة من ذلك الطبيب الفرنسي ، فنحن أولى منه بهذا العمل ، ولكن للأسف لم يذهب إلى هناك صحفي ولا طبيب من بلاد المسلمين ، ونحن نعتمد على الإعلام الغربي كمصدر أساسي لأخبار أفغانستان ..

فكيف يهتم المسلمون بالحرب التي تشنها روسيا على أفغانستان المسلمة وهم منشغلون بالحرب التي تدور بينهم □□

جمهورية مصر العربية ـ القارىء : عاشور سيد صديق

الحرمان والتخلف في ديار المسلمين

■■ الفقر والجوع والمرض والعطش والأمية والجهل ـ فضلاً عن آلامها ومصاعبها ـ من ثغور المسلمين المفتوحة ، المُرابطةُ فيها دفاعاً عن عزة الإيمان وكرامة المؤمنين ورفعاً للظلم عنهم : فرضُ عين على كل القادرين من ذوي الاختصاص ، وذوي السعة في أي موقع كانوا .

وبالأرقام تبدو نسبة المسلمين بين الدول المعدمة ـ الأشد فقراً من الفقيرة ـ كبيرة .. ولهذا أثره السيء على صحة المسلمين وصحة أطفالهم ، ومع افتقاد أعداد هائلة من المسلمين للماء الصالح للشرب ، وبروز مشكلة اللاجئين ، وتزايد النازحين من الريف إلى حواشي المدن الكبرى يأتي السؤال : هل المسلمون فقراء ؟ وما دور الدول الغربية ومؤسساتها في هذا الفقر وذلك الجوع ، والتخلف والحرمان عموماً في ديار المسلمين ؟

حول هذه القضايا كانت محاضرة الدكتور نبيل صبحي الطويل الخبير بمنظمة الصحة العالمية تحت عنوان : [الحرمان والتخلف في ديار المسلمين] وذلك في إطار الموسم الثقافي السادس الذي تقيمه إدارة الشؤون الإسلامية برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ■■

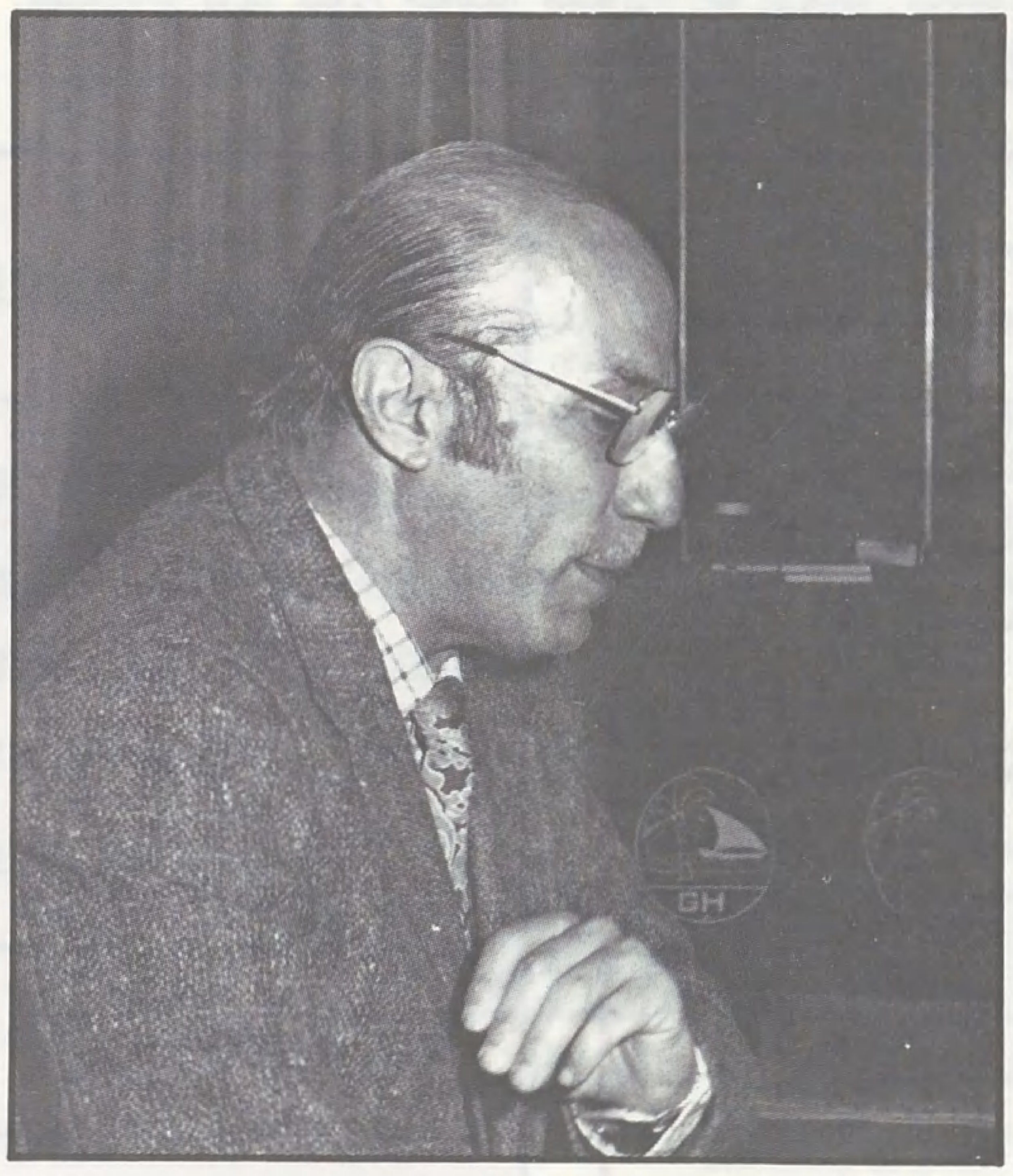

ما هو الفقر ؟

في مستهل تناوله للقضية عرَّف الفقر بأنه [عدم القدرة على الحصول على الخدمات الأساسية ، وذلك يعني عدم توافر الحد الأدنى اللازم ـ أي الكفاية ـ لكي يعيش الإنسان ـ خليفة الله في الأرض ـ عيشة كريمة ، تليق بمستوى التكريم الذي خصَّه الله به :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ... ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

وهذه الخدمات الأساسية حق من حقوق الإنسان في الإسلام ، إن لم يستطع الحصول عليها بعمله وإنتاجه ومدخوله لأي سبب معقول ، فعلى الدولة القائمة أن توفرها له .. يقول رسول الله ﷺ : « **ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال : بيت يسكنه ، وثوب يواري عورته ، وجِلْفُ الخبز والماء** » [رواه الترمذي] ، ولما له من أثر سيء على الفرد والمجتمع جعله الرسول ﷺ قرين الكفر واستعاذ بالله عز وجل منهما ، كما جاء في الحديث الصحيح .

المرض ثغر مفتوح آخر

ثم يربط **الدكتور نبيل صبحي الطويل** بين ثغر الفقر وثغر آخر من ثغور المسلمين المفتوحة وهو المرض ، فيذكر التعريف الجامع للصحة الذي وضعته منظمة الصحة العالمية في أواسط القرن العشرين وهو [الصحة هي حالة من اكتمال السلامة ـ بدنياً وعقلياً واجتماعياً ـ لا مجرد انعدام المرض والعجز ..] ، لكن الرسول ﷺ أوضح ذلك قبل أربعة عشر قرناً من الزمان في معرض توجيهه للمؤمنين في القناعة والاطمئنان والرضى في الحياة ، هذا إذا توافرت لهم هذه الأساسيات : **قال ﷺ** :

« **من أصبح آمناً في سربه ، معافىً في بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** » .

■ الدكتور نبيل صبحي الطويل ■

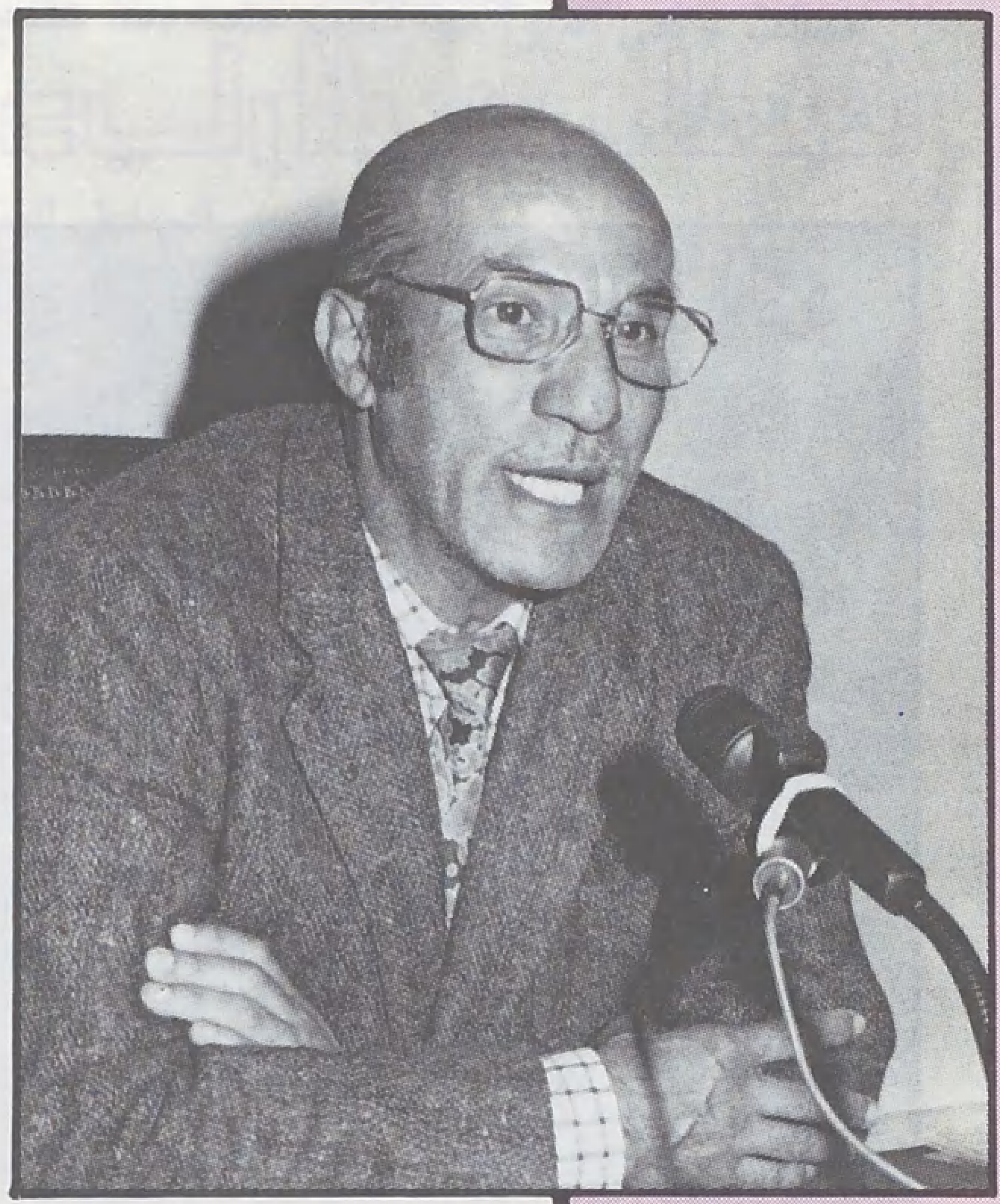

- ■ يعمل منذ عام ١٩٦٤م خبيراً بمنظمة الصحة العالمية .
- ■ ولد في اللاذقية بسورية وأتم دراسة الطب بالجامعة الأمريكية في بيروت وتخصص في جامعة لندن .
- ■ عمل طبيباً وانتخب نائباً بالمجلس النيابي (٦١/١٩٦٢م) وعين وزيراً للصحة العامة بسورية .
- ■ من كتبه المؤلفة : (الطب بين التامين والتأميم) و (الأسلحة الكيماوية والجرثومية) .. وغيرها .
- ■ من كتبه المعربة (الإسلام في الشرق الأقصى) و (الغرب والشرق الأوسط) و (مزرعة الحيوانات) و (الإسلام والغرب والمستقبل) .. وغيرها ...

القناعة لا تعني القعود

والقناعة والزهد والرضى هي من الخصال التي يجب أن تتحلى بها صفوة المؤمنين الأتقياء بعد أن تنال حقوقها الأساسية المذكورة ـ الكفاية ـ فترتفع درجات الإحسان ، لكن القعود عن طلب الحقوق الأساسية ليس زهداً ، فعلى المسلم أن ينال حقوقه هذه ويتمتع بها ، فإن وقف دونه ظلم [سعى ـ كما يقول الأستاذ محمد المبارك رحمه الله ـ لدفع الظلم عنه بكل ما أوتي من قوة بالوسائل التي شرَّعها له الله عز وجل ، فالسكوت على الظلم والصبر على الظالمين مع إمكان دفعهم أمر غير محمود في الإسلام ، وإذا كان الإسلام أجاز قتال الإنسان عن ماله واعتبره شهيداً إذا قُتِل « **من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد** » ، فما بالك بمن يدفع عن نفسه غائلة الجوع والهلاك] ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ** ﴾ (الشورى : ٣٩) هذا هو الطابع الأساسي الدائم للجماعة المسلمة على حد تعبير سيد قطب رحمه الله .

ماذا تقول الأرقام ؟

ويخرج الدكتور الطويل إلى لغة الأرقام ، وتبدو الحقائق مفزعة في أحوال المسلمين والحرمان والتخلف الذي أصابهم .. ولإيضاح ذلك لا بد من الإشارة إلى الموقف العالمي الذي يكون فيه المسلمون جزءاً كبيراً .. يقول : **في عام (١٩٧٨م) كان حوالي (٨٠٠) مليون نسمة يعيشون في فقر مطلق ، أغلبهم في أرياف جنوبي آسيا واندونيسيا وأفريقيا الاستوائية ، ورغم أن نسبة الفقر في أفريقيا أعلى ، فإن عدد الفقراء الإجمالي في آسيا أكثر من عددهم في أفريقيا ، نظراً لضخامة عدد سكان آسيا .. وفي البلدان الفقيرة : يعيش ٨٧٪ من السكان في الأرياف ، أما نسبة الأمية بين البالغين فهي أكثر من ٧٧٪ ، و٤٨٪ من الأولاد في سن الدراسة الابتدائية غير ملتحقين بالمدارس ، و٧٥٪ من السكان لا تتاح لهم مياه نظيفة للشرب . [طبقاً لتقرير التنمية في العالم ، الصادر عن البنك الدولي بنيويورك]** .

وتقول مصادر الأمم المتحدة : إن أكثر من نصف سكان بنجلاديش ـ المسلمين البالغ عددهم ٩٢ مليوناً من البشر ـ يعيشون دون مستوى الكفاف ..

ولقد شاهدت بنفسي آلافاً يفترشون أرصفة الشوارع في دكا العاصمة (مجموع سكانها ٥ر٢ مليون نسمة) ، حتى إنه يستحيل على المارة المشي على الأرصفة مساءً ، فالأجساد الهزيلة الجائعة تتكدس بأسمالها البالية متراصة على جوانب الطرق .

المسلمون دون مستوى الفقر

وباعتماد مؤشرات تقريبية معينة وضع علماء الاجتماع مقاييس كمية لمدى انتشار الحرمان في العالم : كنقص التغذية للفرد ، ونسبة وفيات الأطفال الرضع ، ومتوسط دخل الفرد في العالم ، ونسبة انتشار الأمية بين البالغين وغيرها .. وطبقاً لهذه المؤشرات صنَّف خبراء هيئة الأمم المتحدة دول العالم إلى ثلاث فئات : دول غنية متقدمة ، ودول فقيرة ، ودول معدمة ـ أي الأكثر فقراً وتخلفاً مادياً ـ ، وتشكل الفئة الأولى ٢٥٪ من سكان العالم ، أي حوالي (١١٠٠) مليون نسمة ، أما الدول الفقيرة ـ ومنها المعدمة ـ فتشكل الباقي ٧٥٪ من سكان العالم ، أي أكثر من ثلاثة آلاف مليون نسمة .

وأوصاف المحاضر :

في عام (١٩٧١م) حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة الدول المعدمة بالآتي :

- **إجمالي الدخل القومي للفرد أقل من (١٠٠) دولار أمريكي في العام .**
- **نصيب الصناعة من إجمالي الدخل القومي لا يتعدى ١٠٪ .**
- **نسبة الأمية فيها تبلغ ٨٠٪ أو أكثر .**

فجاءت أربع وعشرون دولة معدمة من بين دول العالم في ذلك الوقت ، ثم زاد عددها مع الزمن بزيادة الفقر ، فأصبح تعدادها الآن ستاً وثلاثين دولة : خمس دول منها أعضاء في جامعة الدول العربية ، ومجموع سكان هذه الدول يفوق (٣٠٠) مليون نسمة غالبيتهم من المسلمين والجدول المرفق يبين نسبة الفقر في دول آسيوية وافريقية حيث يعيش كثير من المسلمين :

البلد	السنة	نسبة الفقر
شمالي نيجيريا	(١٩٧١م)	٥١٪
الصومال	(١٩٧٦م)	٧٠٪
تنزانيا	(١٩٧٩م)	٦٥٪
مصر	(١٩٧٥م)	٢٨٪
أندونيسيا (جاوا)	(١٩٧٧م)	٨٠٪
بنجلاديش	(١٩٧٥م)	٧٤٪
الهند	(١٩٧٥م)	٥٦٪
إيران	(١٩٧٦م)	٣٨٪

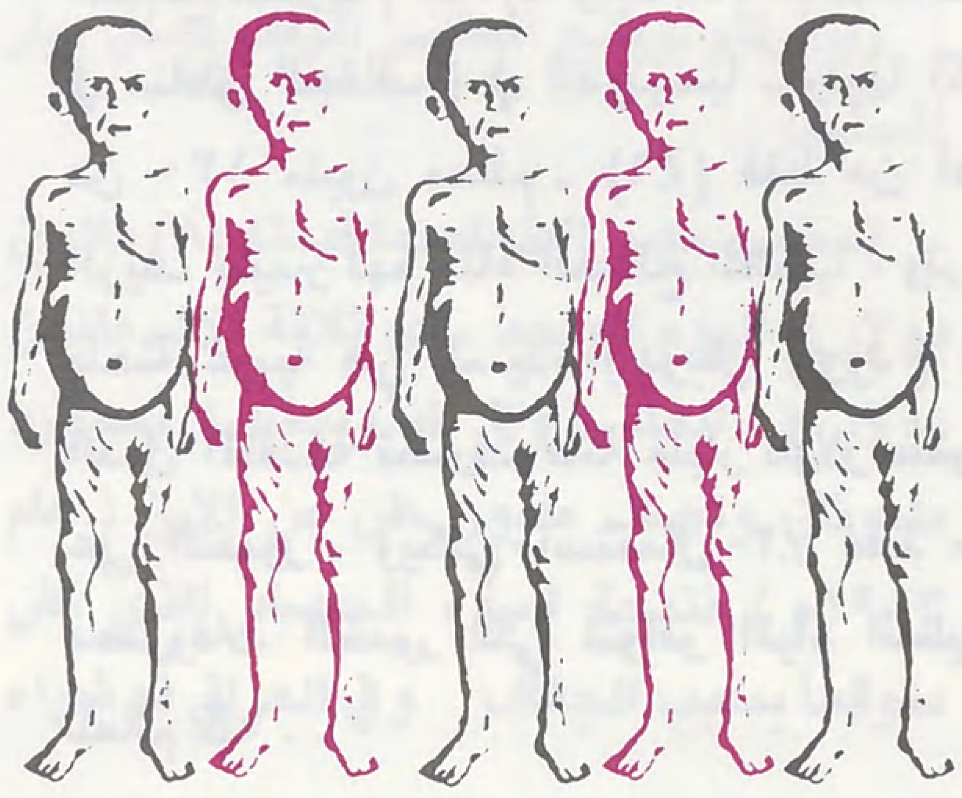

بين الصحة والثروة

أوضح الدكتور الطويل بعد ذلك العلاقة بين الثروة المادية ، ومؤشرات الحالة الصحية ، ونسبة وفيات الأطفال فقال :

ليس غريباً أن يكون الوضع في البلاد المتخلفة الفقيرة متخلفاً أيضاً في الأوضاع الاجتماعية والتربوية والتقنية .. أبان (البروفيسور) البريطاني « ونسلو » التأثير المتبادل بين الفقر والمرض بقوله :

[... في البلاد الفقيرة يمرض الرجال والنساء لأنهم فقراء ، ويزيد فقرهم عندما يصابون بالأمراض ، ويشتد عليهم لأنهم فقراء ومعدمون .. وهكذا تتشكل الحلقة المفرغة ، ويستمر دوران المساكين المسحوقين فيها] .

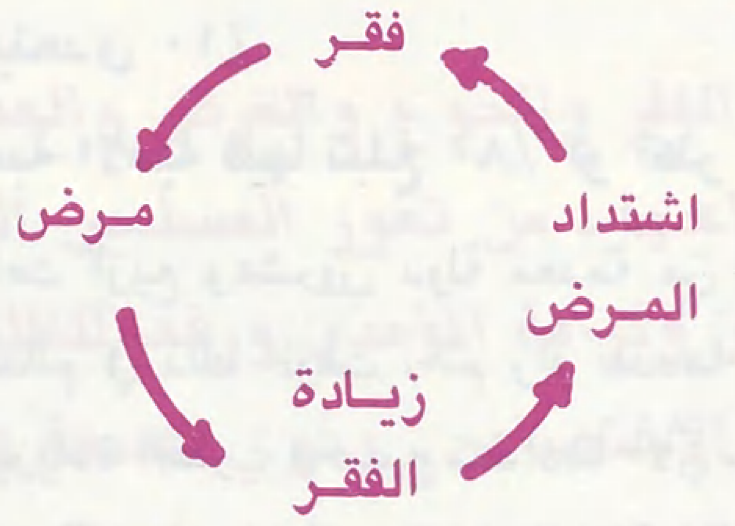

ويكمل المحاضر بيان العلاقة من وجه آخر : في البلاد المتقدمة تبلغ وفيات الأطفال الرضع (٢٪) بينما تبلغ في البلاد المعدمة عشرة أضعاف ذلك ، أي (٢٠٪) ، وخمس الرضع يموتون في العام الأول من العمر ؛ وفي عام (١٩٨١م) مات ١٧ **مليون طفل في العالم ، ١٣ مليوناً منهم** كانوا من الدول الفقيرة في أفريقيا وجنوبي آسيا .

وعن افتقاد الدول المعدمة للماء الصالح للشرب قال :

كل سكان العالم المتقدم ـ الغني ـ يشربون الماء الصالح للشرب ، أما في البلاد المعدمة فهناك (٧٠٪) تقريباً من السكان لا يتيسر لهم الماء الصالح للشرب (هذا إذا وُجِدَ الماء أصلاً خاصة في مناطق الجفاف) في أندونيسيا ـ وفيها أكثر من ١٣٠ مليون مسلم ـ (٦٪) فقط من أهل الريف يتيسر لهم الماء الصالح للشرب ، وترى باحثة غربية هي السيدة (بربارا وورد) أن الدول المتقدمة تصرف مائة مليار دولار سنوياً على الخمور ، ويكفي استعمال ٣٪ فقط من مصروفات الخمور لكي تتوافر المياه النظيفة للعالم كله .

الحرمان والتخلف في ديار المسلمين

افتقاد سلم الأولويات

يرى **الدكتور نبيل صبحي الطويل** أن المسلمين يفتقدون لسلم الأولويات في العمل والتخطيط والإنفاق ، فلقد نقلت وكالة الأنباء الكويتية خبراً مفاده ان **عدة بلدان إسلامية أسهمت في تمويل عملية الحفاظ على المعبد البوذي الضخم (بورود بودور) في جزيرة جاوة الأندونيسية ، ويحتوي على (٤٢٢) صنماً لبوذا ، والذي قامت اليونسكو بترميمه بتكلفة (١٧,٥) مليون دولار .. فهل إنفاق المسلمين في سبيل ترميم الأصنام أولى أم الإنفاق على توفير الماء الصالح للشرب ـ خاصة في أندونيسيا ـ حيث إن ١١٠ ملايين مسلم من سكان الريف هناك لا يشربون الماء الصالح للشرب**

تزايد واتساع الثغور

وأضاف :

الموقف خطير ، وكلما تقدم الزمن ازدادت حدة الأمراض ، واتسعت الثغور المفتوحة في بلاد المسلمين .. وإذا كان الدخل السنوي للفرد في البلاد المعدمة أقل من **(١٠٠) دولار أمريكي في** العام في أواخر الستينات وأوائل السبعينات : فإن التغيير الذي حصل الآن هو هبوط هذا المعدل بدلاً من ارتفاعه .. لقد صرح السكرتير العام للأمم المتحدة منذ فترة قصيرة أن الدخل الفردي في الدول المعدمة قد أصبح الآن أقل مما كان عليه منذ خمسة عشر عاماً .. فإذا كان معدل دخل المسلم في جاوا بأندونيسيا **٣٨ دولاراً في العام (سنة ١٩٧٧م)** فهو الآن أقل من ذلك ، كذلك كان معدل دخل الفرد المسلم في بنجلاديش ٤٦ دولاراً عام (١٩٧٥م) في العام ، فهو الآن أقل ...

مشكلـــة اللاجئـــين

وعن مشكلة اللاجئين في العالم الإسلامي ، قال :

إن عدد اللاجئين في أفريقيا كان **عام (١٩٨١م)** أكثر من ستة ملايين ، وهو في ازدياد مستمر ، وأكثرهم من البلاد الإسلامية مثل : تشاد ، وأوغندا ، والصومال ، وأريتريا ، والحبشة ، أما آسيا فهم من الغرب إلى الشرق : من فلسطين ، وأفغانستان ، والهند ، وبورما ، وتايلاند ، وكمبوديا ، وفيتنام ، والفلبين .. والأمر بهذه الصورة يحتاج إلى اهتمام من الشباب لدراسته ..

النزوح من الريف إلى الحواشي

أما مشكلة النزوح المستمر من الريف إلى الحضر فأوضح المحاضر أنها على درجة هائلة في العالم الفقير ، لأسباب منها : فترات البطالة المتقطعة بين المواسم الزراعية ، وضعف المدخول ، وانعدام الخدمات ، وغياب الحاجات الضرورية .. ولكن الهجرة إلى المدن والمعيشة في حواشي الحواضر الكبرى لا تحل المشكلة .. فأكثر هؤلاء الريفيين النازحين هم من العمال غير المهرة ، لعدم تيسر التعليم والتدريب لهم ، وأكثرهم يعيش في أكواخ من الصفيح البالي والخشب الرقيق ، يتكدسون في مساحات ضيقة ، ينقصهم الماء النظيف والطعام المغذي الكافي ، وتحيط بهم البيئة الملوثة ، حيث تتجمع القمامة والأوساخ والمياه الآسنة والذباب والحشرات والفئران والحيوانات الشاردة .. وهذا المحيط صالح لانتشار الأمراض السارية وسوء التغذية ..

وبما أن تخطيط المدن الجديدة أمر لا تعرفه أكثر المراكز الحضارية في العالم الثالث حتى الآن ، فلا توجد استعدادات لتقديم الخدمات الأساسية لهؤلاء المساكين ، فتتعقد أمورهم الحياتية بين الفقر والجهل والمرض ، وفقدان الأمن النفسي والغذائي والاجتماعي ، وتفشي الانهيار الخلقي والانحرافات النفسية ، وتكثر الأمراض الجنسية والجلدية ، ويغيب القانون كلياً ، وتسود شريعة الغاب : سرقة وجريمة وعنفاً وجنوحاً وإدماناً ، وكلما ازداد عدد سكان هذه المراكز الحضرية تزداد المشكلة اتساعاً وعمقاً وتعقيداً ، فتنهار الخدمات على بساطتها

أصلاً ، وينقطع التيار الكهربائي والماء ، وتحصل اختناقات السير ، وتكثر الحوادث ، وتزيد الضوضاء ، ويتضاعف عدد المدمنين على الكحول والمخدرات ، وتنقص المواد الأساسية ، وتتوتر الأعصاب ، وتقوم المشاجرات لأتفه الأسباب ، وتزيد الأنانية الفردية ، ويشكل هؤلاء الناس قسماً كبيراً من المحرومين في ديار المسلمين إضافة لتشكيلهم الجزء الأكبر من سكان هذه الحواضر الكبرى ..

يحدث هذا الحرمان في ديار المسلمين الذين قال لهم الله في محكم تنزيله ﴿ **الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ... ﴾ (**التوبة : ٧١**) وكان نبيهم الكريم ﷺ لا يترك شيئاً في بيته إلا وزعه على المحتاجين ، وكان خلفاؤه الراشدون يحملون على أكتافهم أكياس الدقيق إلى الأرامل والأيتام والمساكين .

كيف لا يتذكر المسلمون توجيهات **الرسول ﷺ : « كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته » و « الخلق كلهم عيال الله وأحبهم لله أنفعهم لعياله »** .. يقول المفكر الفرنسي المسلم **رجاء جارودي** :

[... **في العام الماضي (أي عام ١٩٨٢م) أنفق العالم على الأغراض العسكرية (٦٥٠) ملياراً من الدولارات ، كما مات جوعاً أكثر من خمسين مليون مواطن في الدول الفقيرة ، ولو طبقت تعاليم الإسلام بعناية ما حدث ذلك**] .

هـل الفقر حقيقة ؟

يتساءل بعد ذلك الدكتور الطويل عن مدى فقر البلاد التي أطلق عليها فقيرة ، فيقول :

تشكل ديار المسلمين الجزء الأكبر من العالم الثالث في آسيا وأفريقيا ، هذا العالم الذي يسميه الغرب - نفاقاً وخداعاً - الدول النامية ، والعالم كله كما هو معروف مقسم الآن إلى : الغني المتقدم تكنولوجياً والمُستغِل ، وعالم الجنوب المُستغَل .. إلا أن الغرب الرأسمالي والماركسي على السواء يتحاشى ظاهراً كلمات التخلف والفقر ، ويطلق على الفقير المعدم في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية - تعبير الدول النامية .

والخبث في هذا التعبير يظهر من معنى الكلمة بالانجليزية (Developping) أو بالفرنسية (mroie de development) وتوحي بالحركة القائمة ، مع أن واقع هذه الدول لا يتحرك في طريق النمو ، ففيها استنقاع اقتصادي إن لم نقل تراجعاً وتأخيراً .. **يقول الاقتصادي البريطاني (بريان آبل سميث)** :

« ... هناك دلائل كثيرة على أن الأوضاع المادية لمجموعات كبيرة من الناس - في العالم الثالث - هي أسوأ مما كانت عليه منذ عقدين من الزمان » .

ويقول (جورج وردز) المدير السابق للبنك الدولي - في المعونات الاقتصادية - :

« إذا استمر الحال على هذا المنوال تكون رؤوس الأموال الخارجة من الدول النامية أكثر من المبالغ التي دخلتها في فترة خمسة عشر عاماً ، وذلك بسبب الفوائد المرتفعة » .

ويضيف المحاضر قائلاً :

عام (١٩٨٢م) صدَّرت الدول الغربية الصناعية الرئيسة (١٧ دولة) إلى الدول النامية (٢٠٢ دولة) ما قيمته (٧٥) مليار دولار ، وأضافت المؤسسات الدولية التابعة لهذه الدول الصناعية (٩٥) ملياراً أخرى ، فأسهم تصدير رؤوس الأموال هذا - سواء اتخذ صورة القرض أو المعونة المشروطة - في زيادة ديون البلدان النامية من (٤٠٥) مليارات إلى (٤٦٩) ملياراً ، كما أسهم في رفع مقادير الربا المترتب على هذه الديون من (٧٦) إلى (٨٨) ملياراً .. فأفضى صافي هذه الحركة العظيمة من الأموال التي يستثمرها الشمال في الجنوب في تعزيز إفلاس البرازيل والمكسيك وكوريا الجنوبية والهند وأندونيسيا والجزائر ومصر وتركيا وباكستان ، وفي الدول الست الأخيرة يعيش نصف مسلمي العالم تقريباً ..

وفي اتفاق برنامج التثبيت الاقتصادي الذي عقده صندوق النقد الدولي بمصر في الفترة ما بين (٧٨ - ١٩٨١م) لإخراج مصر من أزمتها الاقتصادية وتقليل نسبة عجز ميزانها التجاري ، وطبقاً للدراسة التي أجراها الخبير الأول بمعهد التخطيط القومي المصري (الدكتور رمزي زكي) فقد دخل الصندوق مصر عام (١٩٧٨م) وهي مدينة بـ (٨٠٠٠ مليون دولار) وخرج منها عام (١٩٨١م) وهي مدينة بـ (١٨٠٠٠) مليون دولار ..

وكالة إسلامية للتنمية

ويعلق المحاضر على هذه القضية قائلاً :

« إن المسلمين ليسوا بحاجة للتسول في أروقة الوكالات الدولية من أجل العيش وتوفير الأساسيات في الحياة ، فالدولة المسلمة الغنية هي التي تدعم ميزانيات وكالات الأمم المتحدة ، ومن الممكن أن تؤسس وكالة إسلامية ببعض وليس كل الموارد المتأتية من الزكاة .. »

ويضرب مثلاً بأزمة مالية حدثت في الكويت ، وعرفت باسم كارثة سوق المناخ فيذكر أنه قد ضاع فيها مائة ألف مليون دولار ، تبلغ زكاة هذا المبلغ (٢٥٠٠) **مليون دولار سنوياً** ، وهو مبلغ كاف لإقامة مؤسسة إسلامية للتكافل ، بدلاً من انتظار مساعدات مؤسسات دولية قائمة ، ليس من أولوياتها رفع الظلم الاجتماعي عن المسلمين .. وربما يكون في المراكز الفاعلة في إداراتها من لا يريد مساعدة المسلمين أصلاً ، إن لم نقل : إنه يريد العكس تماماً !!

الجوع في ديار المسلمين

وتعرفاً على بعض حقائق مشكلة الجوع كمظهر من مظاهر الحرمان في ديار المسلمين ذكر الدكتور الطويل أن المجاعة التي اجتاحت أجزاء كبيرة من أريتريا بسبب الجفاف الذي حل بالمرتفعات وأجزاء من المديرية الغربية ، أثرت على الزراعة وتسببت في نفوق أعداد من قطعان الماشية ، ومات عشرات الآلاف من الأطفال وكبار السن ، وحين تصل المساعدات إلى السلطات الأثيوبية فإنها تقوم بتوزيعها على أفراد جيشها ، ويتسرب أغلبها إلى السوق السوداء حيث تباع بأثمان باهظة ، ولا يصل منها شيء لأكثر من مليون أريتري .. وفي آسيا تقول منظمة الأغذية والزراعة : إن هناك ألف مليون شخص يشكون من نقص غذائي ، يموت منهم كل عام أحد عشر مليوناً بسبب سوء التغذية !

ويتابع المحاضر قائلاً :

« في الوقت الذي تتركز فيه الزيادة في المخزونات العالمية من الحبوب في عدد قليل من البلدان المتقدمة ، فإن الشعوب المسلمة الفقيرة خائفة أكثر الأوقات لعدم حصولها على الغذاء الكافي الذي تستورده ، وفي بعضها مجاعة حقيقية تحاول المؤسسات التنصيرية الأجنبية تخفيفها على حساب الكرامة والعقيدة ، أما الدول القادرة على شراء غذائها من الخارج ، فهي معرضة لضغوط وابتزازات الدول المتقدمة ، متى شاءت هذه الدول أن تعطيها لمغنم سياسي أو غرض آخر اقتصادي أو اجتماعي ..

وبالأرقام يوضح المحاضر الموقف داخل ديار المسلمين :

تستورد مصر الطعام بما قيمته (٨) ملايين دولار في اليوم الواحد ، أي ثلاثة آلاف مليون دولار في العام ، وفي أندونيسيا يُستورد مليونان ونصف مليون طن من الأرز (عام ١٩٨٣م) نتيجة لسوء الحصاد الذي كان متوقعاً بسبب الجفاف .. وفي العراق تم شراء

نصف مليون طن قمح من أمريكا بمبلغ (٨٥) مليون دولار ، كذلك أقرضت الولايات المتحدة السودان عشرات الملايين من الدولارات لشراء القمح الأمريكي .. وفي بلاد الساحل في أفريقيا ارتفع العجز في الحبوب منذ عام (١٩٨٢م) إلى مليون طن ، ولم تغط المساعدات الواعدة إلّا ربع المطلوب ، وعندما لا تتقدم الدول المسلمة (الشقيقة) الأخرى للقيام بما يجب أن تقوم به ، فليس هناك سوى الجمعيات التنصيرية المنتشرة كالجراد ، وقد وصل تعدادها منذ أكثر من ثلاث سنوات إلى خمسة آلاف ، وقد تعودت شراء الجائعين من أطفال ويتامى المسلمين ، والمسلمون يسمعون حديث رسول الله ﷺ :

« أيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عري كساه الله من حلل الجنة » .

والغذاء المفقود لدى فقراء المسلمين هو ضرورة صحية مثلما هو ضرورة حياتية ، والنقص فيه كماً ونوعاً يؤدي إلى سوء التغذية ، وإلى الأمراض الأخرى ، فضلاً عن تأثيره على الامكانات الجسمية والعقلية .. يقول (البروفيسور) « آبل سميث » : [يضر سوء التغذية بنمو وتطور الإنسان ، وذلك بالتأثير على شكل وحجم الجسم ، أما في الصغار فيؤدي إلى تخلف خطير في النمو العقلي ..] .

الحرمان والتعلم والتربية

ويؤدي سوء التغذية في المدرسة إلى البلادة ، وضعف التركيز ، ونقص الحافز الشخصي ، وضعف الإنجاز ، والتغيب ، وترك الدراسة المبكر ، وصعوبة العلاقات مع المدرسين ورفاق المدرسة ...

ثم يذكر أن نسبة الإصابة بسوء التغذية بين الأولاد دون سن السادسة في البلاد الفقيرة ـ ومنها البلاد الإسلامية ـ تصل إلى ما بين ٦٠ ـ ٧٠٪ ، ويحذر بعضهم من أنه قد نشهد يوماً قريباً يكون فيه ثلثا أولاد العالم دون سن السادسة معوقين عقلياً .. وتفيد المعلومات المستقاة من الملاحظات العلمية أن الأثر المباشر لسوء التغذية على وظائف الدماغ يمكن أن يكون إبان الأشهر الثلاثة الأخيرة من الحمل ، والأشهر الستة الأولى من العمر .. أما بعد ذلك فيكون للعوامل الثقافية والاجتماعية الأثر الأكبر

الحرمان والتخلف في ديار المسلمين

في الإنجاز الذهني وضعف مستواه في أولاد العالم المتخلف . وتقول رابطة القراءة الدولية : إن أعلى نسبة من الأمية في العالم هي في العالم العربي إذ تبلغ ٦٢٪ .

الأمــراض تستوطن

قال المحاضر : إن الفقر والمجاعة والجهل والأمية تمهد جميعها لانتشار الأمراض واستيطانها في المجتمعات المسلمة مما يسبب تفاعل هذه العوامل في التخلف الصحي عند المسلمين .. وتتحمل الأعمار الصغيرة أكبر قسط من آثار هذا التخلف في الإصابات والوفيات : يولد بإقليم الشرق المسلم (من تونس إلى باكستان باستثناء تركيا) كل عام احد عشر مليوناً ، يموت منهم مليونان ، مليون ونصف في سن الرضاعة ، ونصف مليون في سن الثالثة !. وليس في قاموس الطب مرض لا تعرفه ديار المسلمين ..

حقيقة التخلف المادي

وفي نهاية المحاضرة أوضح الدكتور نبيل حقيقة التخلف والحرمان في ديار المسلمين فرد على قول الأعداء ـ حقداً وجهلاً ـ بأن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين بقوله :

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً رحم الله مالك بن نبي حين قال :

[التخلف الذي يعاني منه الشرق لا يتحمل الإسلام وزره ، فهذا التخلف يعد عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه ، لا لتمسكهم به كما يزعمون] وصدق الله العظيم ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه : ١٢٤)

وأضــاف :

إن التخلف المادي الذي نشكو منه هو نتيجة طبيعية لتخلفنا الفكري الذي مر بنا منذ انحرافنا عن الرسالة الخالدة في حياتنا هذه ، هوىً في النفوس ، ونقص في الوعي والبصيرة بشمولية الرسالة .. فإذا عدنا إلى الإسلام فستكون حربنا للتخلف شاملة كشمولية الإسلام .. فالتنمية في مفهوم الإسلام تستهدف الإنسان أولاً وأخيراً ، فهي ليست التنمية المادية التي يروجون لها ـ من الرأسماليين والماركسيين ـ لا في أهدافها ، ولا في وسائلها :

فالتنمية الرأسمالية تؤدي إلى مجتمعات استهلاكية فارغة الفؤاد قلقة تجعل التكنولوجيا إلهها المعبود ، وهي أنانية تعيش بحبوحتها المادية على حساب بؤس الآخرين ، وفقرهم ، تهتم بكلابها في أوروبا وأمريكا ، ولا تهتم بالبشر في آسيا وأفريقيا ..

يقــول (ستيوارت أودال) الوزير الأمريكي الأسبق :

[إن الخرافة التي تقول إن النمو المادي هو التقدم ما هي إلا توراة الدمار] ذلك أن التنمية والنمو ليسا هدفاً أو غاية ، بل وسيلة لحياة إنسانية كريمة أفضل .

إني أناشد الإخوة الدعاة والإسلاميين العاملين في أي موقع كانوا أن يوسعوا إطار نشاطاتهم لتشمل العمل الاجتماعي بمفهومه الواسع ، وعليهم أن يتقنوه « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » كما علمنا الرسول الكريم ﷺ .. فحباً بإتقان هذه العبادة ، وحباً بالأجر والثواب ، وحباً برفع الضيم والفاقة عن أبناء الأمة المحرومين ، وإعادة الأمن والأمان إلى نفوسهم وأبدانهم ومجتمعاتهم ، وحباً بالجهاد في سبيل الله دفاعاً عن هذه الثغور المكشوفة : علينا جميعاً أن نعمل :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ... ﴾ (التوبة : ١٠٥)

عجائب المخلوقات

٤

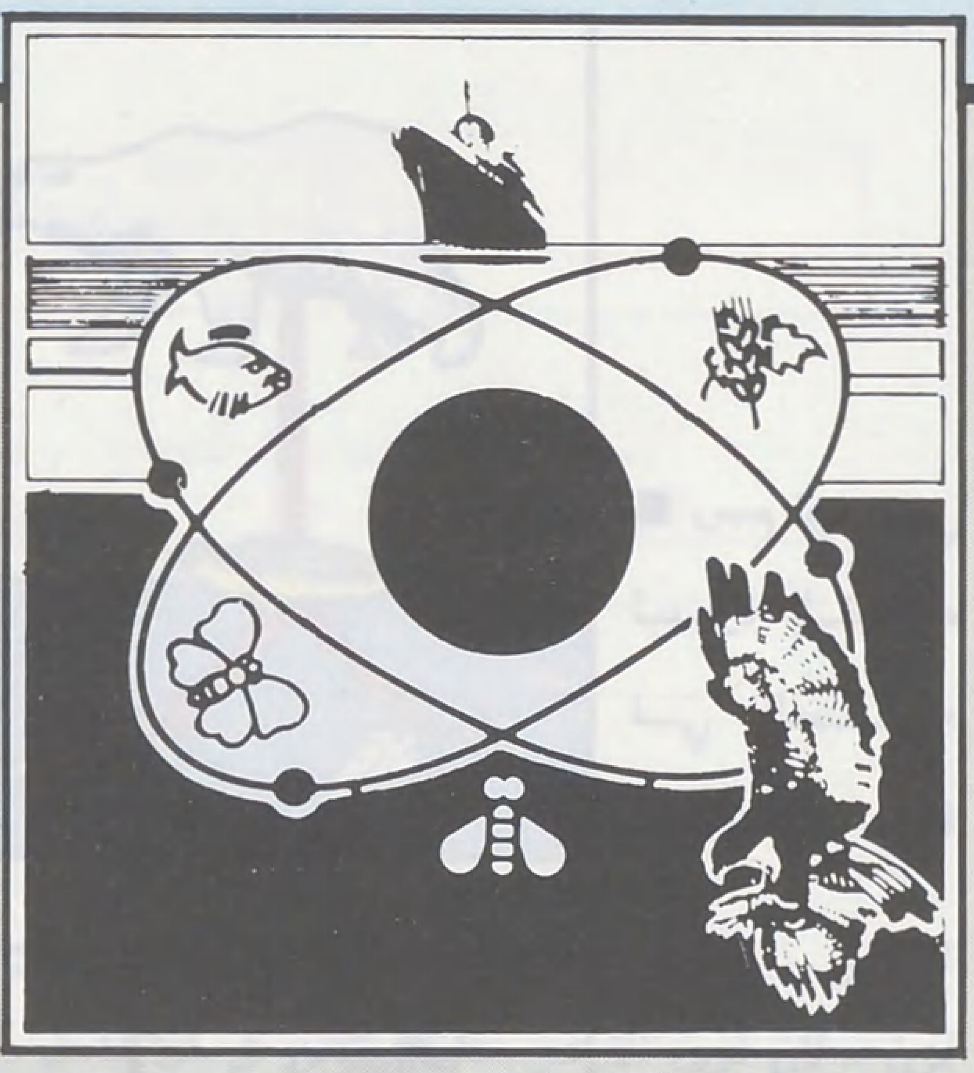

العلم والحياة

الصحراء ودورة الغذاء

■■ بعض الصحارى في العالم غنية بالغذاء ، ومن الأمثلة على ذلك : صحارى أمريكا الشمالية .. ونظراً لتوفر النبات فيها فقد كثرت فيها الحيوانات أيضاً .. من النباتات المشهورة هناك : الصبار .

وأشواك الصبار تعكس أشعة الشمس من جهة ، وتحميه من الحيوانات من جهة أخرى ؛ يقاوم الصبار الجفاف والحرارة بتخزين الماء من موسم أمطار إلى آخر ، وسيقانه المكتنزة بالعصارة تتمدد وتنقبض مثل آلة « الأكورديون » ، تبعاً لتغير الفصول ■■

يكثر الصبار في سفوح الجبال ، أما في الأراضي المنبسطة فيكثر شجر الكمثرى الشوكي . يصل طول الصبار في تلك الصحارى من (١٠) إلى (١٢) متراً ، ويبلغ قطره ٦٠ ـ ٧٠ سنتيمتراً . ويتغذى عليه أكثر من خمسين نوعاً من الطيور ، مثل : السمّن والنقار والحسون ؛ هذه الطيور تحفر اعشاشها داخل سيقانه ، وبعد ان تكبر أفراخها وتهجر الأعشاش ، تأتي طيور أخرى ، مثل : البوم وتستخدم تلك الأعشاش ؛ أحياناً تتغذى بعض الجوارح ، ومنها : البوم الصيَّاح على تلك الطيور ، ولكن معظمها يفضل الأفاعي .

معظم الحيوانات تعتمد على النبات في غذائها ، وهناك حيوانات تعتمد على حيوانات اضعف منها ، هذه تتغذى على النبات وتلك تتغذى عليها ، لتكتمل بذلك دورة أو سلسلة غذائية ؛ ويمكن أن تُشبه العملية بهرم ، تتكون قاعدته من النبات ثم الحيوانات الآكلة للنبات ، وفي قمته قلة من الحيوانات المفترسة ، مثل : الأسود والنمور .

تختبىء الحيوانات الصغيرة في الصحراء من حرارة منتصف النهار في الجحور وبين شقوق الصخور ، وأحياناً تخرج من تلك الجحور لفترة قصيرة بحثاً عن الغذاء ، مما يعرضها لمداهمات حيوانات أكبر منها ... بعض الحيوانات الصغيرة تستخدم اللون للتمويه ، ومن هذه الحيوانات : الحرباء والعظاءة ؛ فهما تغيران لونيهما ليتكيف مع لون الأرض .

بعض الزواحف تدفن نفسها في الرمل معظم النهار ، ولا تخرج إلا في الليل أو الصباح الباكر ، وبعضها مزود بزباني ذات لسعات سامة ، تدافع عن نفسها بها .

الأفعى المجلجلة ..

من الزواحف المخيفة في الصحراء : الأفعى المجلجلة ، التي تؤدي لسعتها إلى قتل إنسان او حيوان خلال ساعة فقط ؛ وسبب تسميتها كذلك أن لها صوتاً كالجرس ينتج عن احتكاك قطع جلدية جافة على الذيل ببعضها عندما تتحرك الأفعى فيصدر الصوت المذكور ، وهو يفيد الحيوانات الأخرى ، فعند سماعه تهرب من طريقها ، وهي تتغذى على الفئران بشكل رئيس ؛ وبين عينيها وفتحات أنفها ندوب صغيرة حساسة للحرارة ، وهي لذلك لا تحتاج للنظر ، وتستطيع مهاجمة فريستها في الظلام الدامس من مسافة نصف متر ، ولا تموت فريستها عادة في الحال ، ولذلك فهي مضطرة لمتابعتها ، مستعينة بأجهزة حس خاصة في الفم .

■ حشرة تتغذى على رحيق الأزهار ■

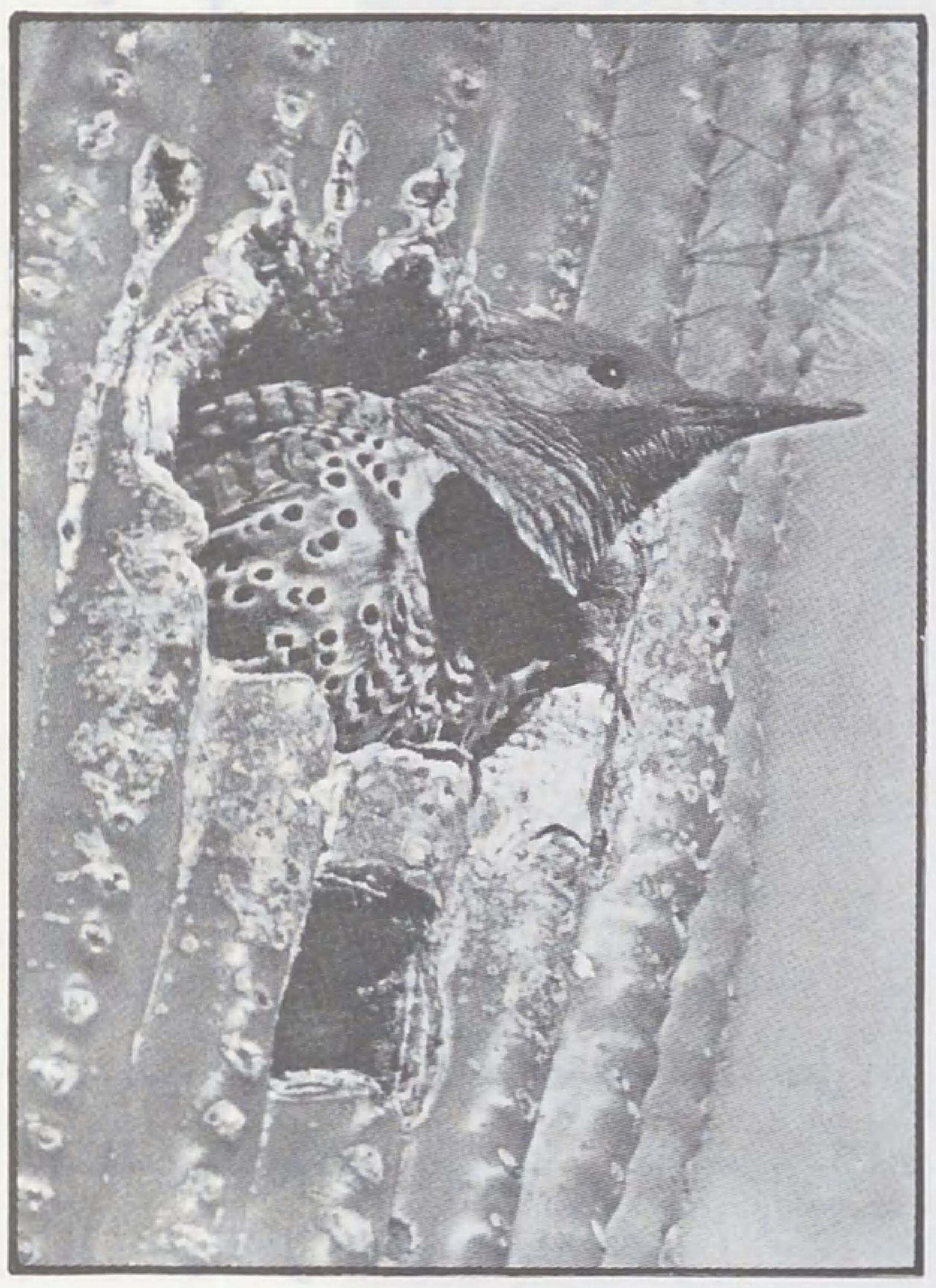

■ عصفور حفر عشه في جذع شجر الصبار ■

العلم والحياة

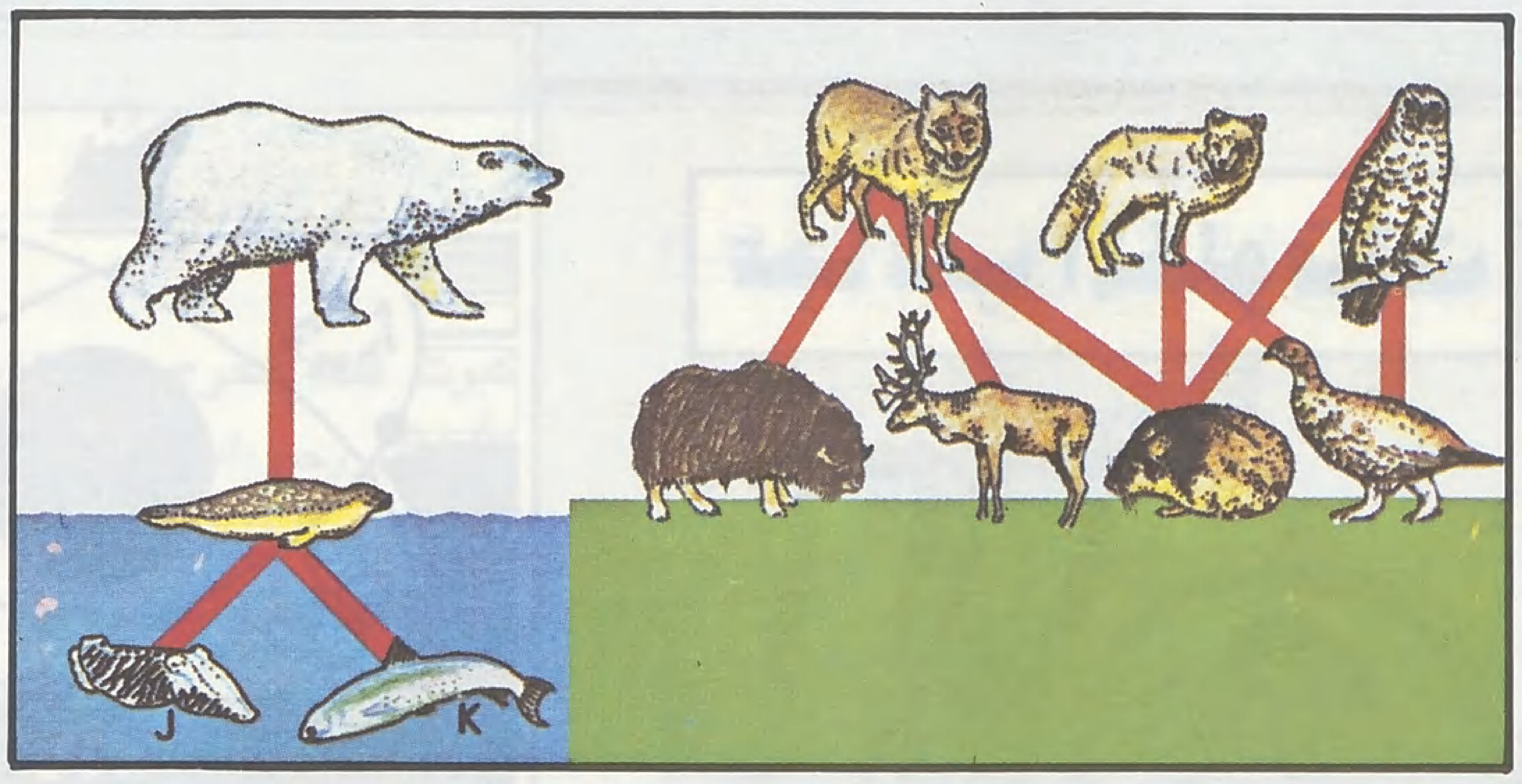

■ رسم توضيحي لـدورة الـغـذاء فـي الـصحـراء القطبيـة .. ■

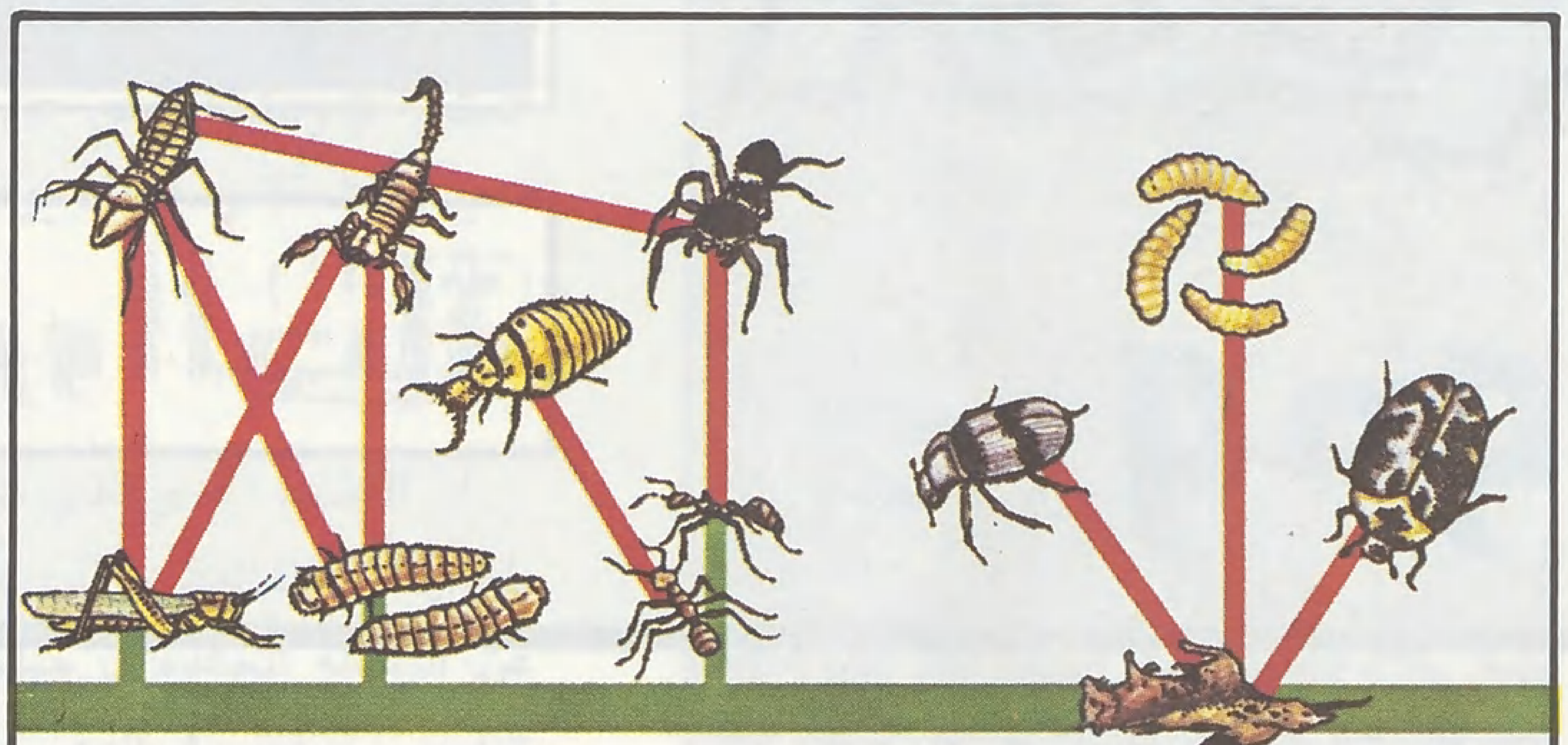

■ رسم توضيحي يمثل دورة الغذاء في الصحـراء .. الكائنات التي في أعلى الرسم تأكل تلـك التي في أسفل الرسم .. ■

وهكذا فإن ظروف الصحراء القاسية لا تسمح بالحياة إلا لمن يتسلح بالسم ، او القدرة على التمويه ، او الدروع (كالسلاحف) ...

آكــل ... ومأكــول !

في الصحارى التي لا يتوفر فيها نبات كثير نجد حيوانات اقل ، ولكن حتى في الصحارى القاحلة نهائياً ، نجد بعض الحشرات والمفصليات والزواحف ، ويُعتقد بأن هذه الكائنات القليلة تتغذى على الطيور المصابة ، خاصة المهاجرة ..

ويُعتقد ايضاً ان بعض هذه الكائنات تتغذى على بذور الشجيرات التي تذروها الرياح من مناطق اخرى وياتي غيرها ليتغذى عليها ... آكل الحيوان يتغذى على آكل النبات ، لتكتمل دورة الغذاء كما ذكرنا . الجدير بالذكر ان دورة الغذاء قد تتكون من اربع او خمس حلقات احياناً ، فمثلاً : قد تتغذى يرقات الخنافس على عشب جاف ؛ ثم تاتي عقارب وتتغذى على الخنافس ، ثم تاتي زواحف او طيور فتتغذى على العقارب ... وهكذا . والملاحظ انه كلما صعد الحيوان في سلم الغذاء ، أو هرم الغذاء ، كان اكبر حجماً ، وان اكبر الحيوانات حجماً على الإطلاق ، في رأس الهرم ، لا تقع فريسة لغيرها ، ولا تسقط إلّا ضحية الجوع او المرض او المناخ السيء . هناك مثل صيني يعبر عن ذلك ، يقول : التلة العالية لا تتسع لنمرين .

دورة الغذاء هذه توجد ايضاً في الصحارى القطبية الجنوبية ، فهناك حيوانات تتغذى على النباتات الصغيرة القليلة ، وهذه بدورها تصبح غذاءً للاسماك ، التي تشكل غذاء للفقمة وطائر البطريق .. والفقمة بدورها تصبح غذاءً للحيتان الضخمة في البحر ، أو الدب القطبي خارج الماء .

اما في الصحارى القطبية الشمالية ، فالتندرا اغنى بالنبات من القطب الجنوبي ، وعلى ذلك النبات يتغذى اللاموس (من القوارض) والأرانب القطبية ، التي تصبح بدورها غذاء للقاقوم (من بنات عرس ermine) ، وكذلك للبوم القطبي ، في سلسلة غذائية ثلاثية ؛ في إطار هذه السلسلة ايضاً يتغذى الرنّة على الأشنة (نبات قطبي) ، ويصبح بدوره غذاء للذئاب القطبية ؛ احياناً تصبح السلسلة رباعية إذا تغذى الذئب القطبي على القاقوم .

وقد يحدث تداخل في الدورات او السلاسل الغذائية ، تتحول فيها تلك الدورات إلى نسيج متشابك ، مثلاً : إذا مات نسر وتغذت عليه كائنات بسيطة كالخنافس ، التي تصبح بدورها غذاء للافاعي ، وهذه تصبح غذاء لغيرها ، وهكذا ... هنا نجد نسيجاً غذائياً متداخلاً وليس سلسلة منتظمة .

الألــوان ... والتمويه !

الصحراء في العادة ارض مفتوحة قليلة الأشجار والصخور التي يمكن أن تلجأ إليها الحيوانات للاختباء ، لذلك لا بد من وسيلة اخرى للتمويه ، هنا نجد ان اللون يؤدي دوراً هاماً . حيوانات الصحراء إما سوداء او صفراء برتقالية اللون او رملية أو رمادية مائلة إلى الحمرة ؛ اما أسفل أجسامها فأبيض أو أصفر باهت .

اما حيوانات الصحارى القطبية فإما بيضاء ، مثل : الدب القطبي ، أو تصبح بيضاء اللون في الشتاء على الأقل ... هذا اللون يتيح لها التمويه والنجاة من الحيوانات المفترسة في أغلب الحالات ، وهو يفيد الحيوانات المفترسة نفسها لانه يضلل فريستها ... في الصحارى المدارية وشبه المدارية نجد أن لون الحيوانات يتكيف مع الأرض ، فإذا كانت التربة سوداء ، فلون الحيوانات أسود ، وإذا كانت التربة بيضاء ، فلونها أبيض ... وهناك زواحف مثل : السحالي ، تغير لونها حسب لون

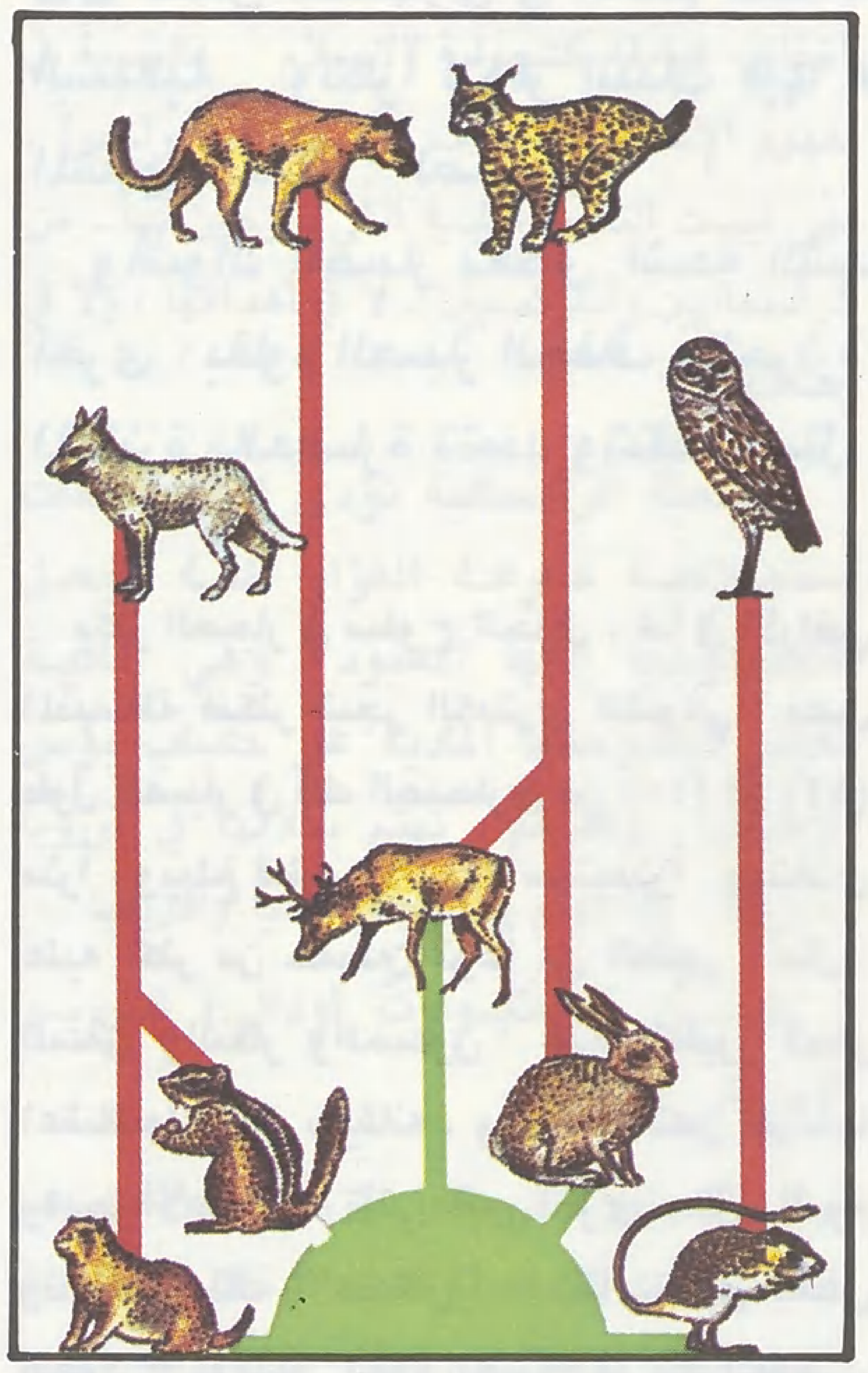

■ دورة الغذاء .. الحيوانات في الإسفل تأكل العشب لتصبح بدورها غذاءً للحيوانات في الأعلى ■

■ عنكبـــوت صحـــراوي ■

الأرض ... ذباب بعض الصحارى له في كل فصل لون ، لأن لون الأرض نفسه يتغير في كل فصل ، وحسب نزول الأمطار ، أو ظهور الأعشاب .. هذه وتلك زوّدها الله سبحانه وتعالى بصبغيات في جلدها هي المسؤولة عن عملية تغيير اللون .

حتى القوارض والذبيات الصغيرة التي تنشط ليلاً ، يتكيف لونها مع الأرض التي تعيش فيها ، لأن ليل الصحراء ، خاصة في الليالي المقمرة يتيح الرؤية الجيدة ، خاصة وأن بصر بعض الحيوانات أقوى من بصر الإنسان ...

الحقيقة أن اللون بالنسبة للحيوان قد يخدم أكثر من هدف ، فقد يكون مفيداً للتمويه وتضليل الأعداء ، وقد يكون مفيداً للتعارف ، وللتحذير ، فبعض الألوان تعني السم ، أو الطعم الكريه . لذلك هناك حيوانات سوداء في الصحراء الصفراء ، لأن هذه الحيوانات لا تخشى الظهور .

تشابه الحيوانات في الصحارى المختلفة

بسبب تشابه ظروف الصحراء في كل مكان ، نجد تشابهاً في حيواناتها اينما وجدت ، فالقوارض الصغيرة ، ذات الأرجل السوداء الطويلة في الخلف ، التي تستخدم للقفز ، موجودة في كل الصحارى المدارية وشبه المدارية ... الأرانب الصحراوية اينما وجدت لها آذان كبيرة جداً ، بينما يوجد لكل الذبيات الصحراوية تقريباً ، مثل : الخفاش والثعالب والغزلان والمها والقنفذ ، نتوء عظمي كبير خلف الأذن ؛ لا نستطيع الجزم بفائدة هذه النتوء ، إلا انه ربما يزيد من قوة استشعار الحيوان لأصوات أعدائه كالأفاعي أو البوم ، وربما يفيده في إدراك الترددات أو تغير طبيعة الأرض .

افاعي الصحراء أيضاً متشابهة في كل مكان ، سواء في الشكل أو طريقة الحركة ، كذلك الثعالب والزواحف .

هذا التشابه بين حيوانات الصحراء ، يسمى « التطور المتوازي » فلأن الصحراء متشابهة في ظروفها فإن حيواناتها متشابهة لوناً وشكلاً وسلوكاً ...

■ الهيلية : عظاءة صحراوية ... تستخدم الألوان للتحذير من السم !!! ■

■ سحلية تموه نفسها باللون ■

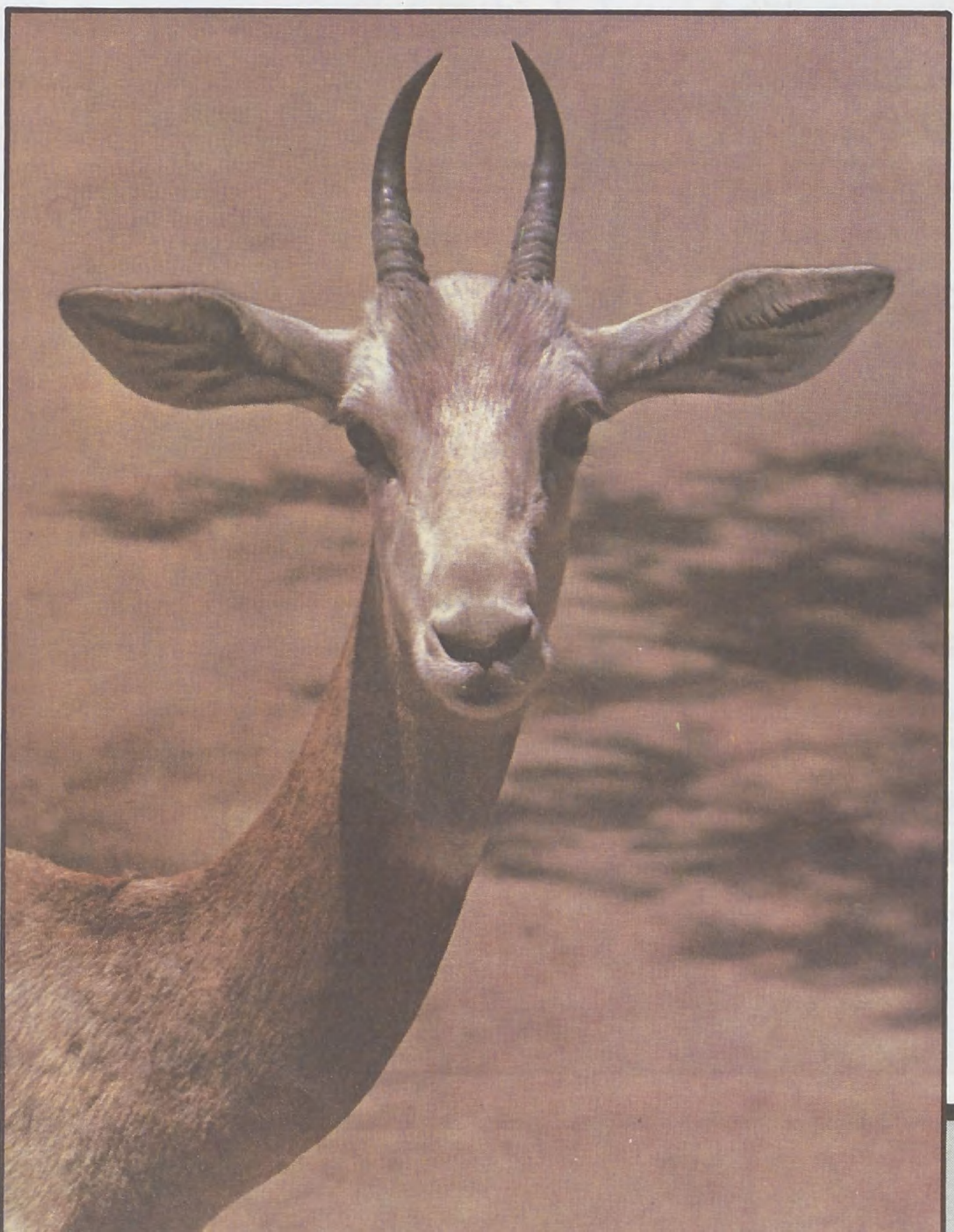

■ غزال سوداني ■

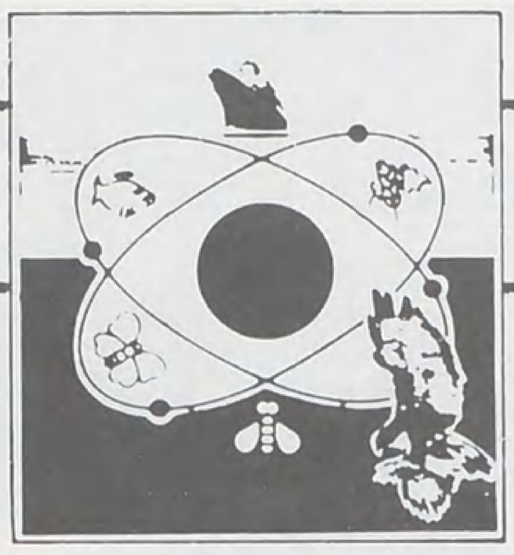

اتصال مباشر ببنك المعلومات في منظمة الخليج

أصبحت دول الخليج السبعة الأعضاء في منظمة الخليج للاستشارات الصناعية ، على اتصال مباشر ببنك المعلومات التابع للمنظمة . وأصبح بإمكان المؤسسات الرسمية ، بواسطة الأجهزة التي تزودت بها ، أن تستقبل جميع المعلومات التجارية أو التكنولوجية الخاصة بالمشاريع الصناعية في المنطقة .

عالم الاتصالات

هاتف يعمل بتوجيه الأوامر

بدلاً من إدارة قرص الهاتف أو الضغط على أزراره ، سوف يبدأ الإنسان استخدام أجهزة هواتف بتوجيه الأمر إليها . يتم برمجة الهاتف بشكل معين ، بعدها تكون استجابة الجهاز لصوت مستخدمه فقط في حالة توجيه كلمة السر .

جهاز اتصال يعمل باللمس

في مؤتمر للاتصالات في جنيف عرضت شركة « آي . ب . إم » جهاز اتصال يعمل باللمس ، فبدلاً من إدارة القرص أو الضغط على الأزرار يلمس المستخدم أحد المفاتيح المرقمة على اللوحة أمامه . يعمل الجهاز أيضاً كدليل ، إذ يمكن أن يطلب المستخدم بواسطته ملفات محفوظة في الذاكرة الألكترونية .

تكنولوجيا البناء

الاسمنت المسلح : لماذا يصدأ أو يتصدع ؟

بدأ العالم يفقد ثقته في الأسمنت المسلح ، الذي توسع الناس في استخدامه منذ أواخر القرن الماضي ، في ميدان البناء ، بسبب قلة تكاليفه وسهولة استخدامه . ولقد ظن البناؤون يوماً ما أنه سيبقى إلى الأبد . ولكن بدأت كثير من الأبنية الاسمنتية في العالم تصدأ أو تتصدع . وبدأ الخوف يتسرب إلى النفوس . تكاليف الصيانة مرتفعة . في بعض الدول مثل كندا قدرت تكاليف صيانة الجسور المبنية بالأسمنت المسلح خلال السنوات القادمة بخمسين بليون دولار كندي ، وقدرت صيانة مواقف السيارات المبنية بالأسمنت المسلح ببليون ونصف ، بينما في الشرق الأوسط تحتاج البنايات المبنية بالأسمنت المسلح إلى الصيانة بعد أقل من عشر سنوات . لذلك بدأ المختصون يدرسون أسباب المشكلة . من الناحية النظرية يجب ألا يصدأ الأسمنت المسلح ولا يتصدع ، ذلك أن الأسمنت يشكل بيئة كيماوية حول الفولاذ ، تمنع الصدأ ، حتى لو تسرب إليه الماء . لذلك السؤال المطروح الآن : كيف يحدث الصدأ حول الدرع المسلح ؟ وبطبيعة الحال فالجواب على السؤال يفيد في معرفة سبب التصدع ، لأن التصدع لا يحدث بدون صدأ .

عثر المختصون على أسباب ثلاثة للتصدع الناتج عن الصدأ :

- الأول الأملاح التي تحتوي على أيونات الكلور . وهي تدمر المناعة لدى الأسمنت المسلح . وكثيراً ما تستعمل هذه الأملاح لزيادة سرعة الخلطة الاسمنتية ، ولكن استخدام هذه الأملاح ممنوع اليوم أو مقيد .
- الهواء : كذلك يمكن لثاني أكسيد الكاربون والتلوث الذي تسببه المصانع أن يدمر الدرع الاسمنتي المسلح المنيع . وإذا تسرب ثاني أكسيد الكاربون إلى هذا الدرع بحرية ، فإنه يتحد مع الماء ليشكل ناتجاً كيماوياً يعرف بـ « حامض الكاربون » ، الذي يحيد بدوره قلوية الأسمنت المسلح ، فيبدأ التآكل ، هذه العملية تسمى « التكربن » (التحول إلى كربون ، أو الإشباع بثاني أكسيد الكربون) .
- الافتقار إلى المهارة في البناء : في منطقة الشرق الأوسط بالذات وجد أن البنائين لا يهتمون كثيراً للماء المالح أو الرمال الملوثة المحتوية على أيونات الكلورايد . وهذه وتلك تدخل الخلطة الاسمنتية . في مناطق أخرى من العالم ، وجد أن البنائين ، عن جهل منهم ، يضعون طبقة الاسمنت فوق قضبان الفولاذ غير كثيفة إلى درجة تمنع تسرب الهواء . وهذا كله ناتج عن جهل البنائين .

بعد دراسة الأسباب خرج الباحثون بالتوصيات التالية : أن تكون الطبقة الاسمنتية فوق قضبان الفولاذ كثيفة ، استخدام الماء النقي لخلط الأسمنت . وفي البلاد الباردة التي تستخدم فيها الأملاح لإذابة الجليد فوق الجسور والطرقات ، يوصي الباحثون بتغطية أسطح الجسور بطبقة عازلة للماء ، وكذلك بفحص الأبنية بانتظام .

علامات التصدع قد تكون واضحة : الشقوق والصدأ . ولكن قد تكون هذه علامات لمشكلة أخرى في البناء . وبفحص الفولاذ نفسه يمكن التأكد من المشكلة التي يعاني منها البناء ، كما أن الفحص يشير إلى سبب المشكلة : مثلاً وجود طبقة من الصدأ حول قضبان الحديد يعني أن مكونات الهواء قد هاجمتها . بينما وجود ثقوب في القضبان يشير إلى تسرب أملاح الكلورايد والماء إليها .

التمييز بين النوعين ضروري . فالصدأ الناتج عن مهاجمة مكونات الهواء ، أقل خطورة في العادة ، لأنه يحتاج إلى وقت طويل ليشكل خطورة على البناء . ولأن القضبان تتمدد عندما تصدأ ، فإن العيب يظهر بشكل تصدعات .

أما التآكل الناتج عن الأملاح فهو أكثر خطورة ، لأنه لا يكشف عن نفسه بشكل تصدعات مرئية . لذلك يحتاج هذا النوع من التآكل إلى علاج فوري سريع عندما يظهر . وهناك مواد كيماوية تستخدم لعلاج هذه العيوب ، وتعيد المناعة للدرع الأسمنتي ، كما تمنع تسرب الهواء والأملاح .

حماية المستهلك

انتربول المستهلكين يحذر :

ما يحظر تداوله في الشمال .. يسوِّقونه في الجنوب !!!

يدفع المستهلكون في العالم الثالث مبلغ بليون دولار تقريباً ثمن سلع أمريكية مغشوشة . ومن هذه السلع أدوات الطبخ وآلات الخياطة والمبيدات الحشرية والأدوية ..

من هذه السلع ما ينفجر أو يتلف بسرعة أو يسبب أضراراً جانبية وتسمماً ؛ دون أن يتلقى المتضررون أي تعويض . وعادة ما تكون هذه السلع محظورة في الدول الصناعية نفسها ، لأنها لا تلتزم بقواعد السلامة المعمول بها هناك . وهكذا اكتشفت الشركات متعددة الجنسيات أن ما لا يمكن بيعه في الشمال يمكن تسويقه في الجنوب ، حيث يمكن اختراق معايير السلامة بسهولة . وحتى إذا اكتشف الغش في بلد يمكن تحويل الإنتاج إلى بلد آخر .

لذلك تأسست في عام ١٩٨٢م منظمة « انتربول المستهلكين » كفرع للمنظمة العالمية لاتحادات حماية المستهلكين ، بهدف مراقبة ومقاومة جرائم الشركات متعددة الجنسيات . ومقر انتربول المستهلكين في ماليزيا ، وهو أشبه بنظام إنذار مبكر يخطر الدول الأعضاء بالمنتجات الممنوعة في بلد المنشأ ، أو بالقيود المفروضة على استخدامها هناك .

من الدراسات التي قام بها انتربول المستهلكين دراسة على الأدوية التي تباع في العالم الثالث ، ومن بينها المضادات الحيوية التي يقيد استخدامها في الدول الصناعية ، للأمراض التي تهدد الحياة ، لأنها قد تسبب فقراً في الدم ، بينما تعطي في الدول النامية في الحالات البسيطة كالالتهابات الناتجة عن البكتيريا أو الفيروس .

كذلك اكتشف أن عقاراً ضد الإسهال تسبب في عمى وشلل آلاف من اليابانيين ، لا يزال متداولاً في أسواق العالم الثالث ، دون أي تحذير

في دراسة أخرى تبين أن عدداً من الشركات متعددة الجنسيات تسوق في أقطار آسيوية متعددة ، حليباً مكثفاً محلى ، كطعام للأطفال حديثي الولادة ، مع العلم أن بريطانيا قد حظرت استخدام هذا الحليب للأطفال منذ عام ١٩١١م .

أكثر عمليات الغش تظهر في المبيدات الحشرية . لقد تبين من دراسة للمنظمة العالمية لاتحادات حماية المستهلكين أن أكثر من الف جاموسة ، وكذلك عدداً غير معروف من الفلاحين في مصر ، قد ماتوا نتيجة تعرضهم لمبيد حشري كيماوي ، محظورٍ استخدامه في الولايات المتحدة نفسها ، ومع ذلك فهو يصدر إلى ثلاثين بلداً .

لقد أصدر الانتربول حتى الآن (٣٥) تحذيراً دولياً ، ويبقى على كل بلد أن يتخذ الاجراءات اللازمة لحماية المستهلكين ، والأمر بحاجة إلى حملات محلية وإقليمية ودولية .

عالم البحار

استكشاف أعماق المحيطات

لا يعرف العالم الكثير عن أعماق المحيطات بسبب عدم توفر الوسائل اللازمة للغوص حتى أعماق بعيدة . وقد صنع العلماء الأمريكيون مؤخراً غواصة صغيرة تستطيع الوصول إلى أعماق بعيدة جداً ، والقيام بمهمات صعبة في تلك الأعماق ، حاملة في داخلها الباحثين والفنيين والغواصين ، وهي كروية الشكل شفافة تسمح بالرؤية الواضحة . وتبدو تحت الماء وكأنها طائرة هليكوبتر مائية تجيد المناورة بواسطة دوَّارات الرفع الدائرية ، التي تشبه مروحة الهليكوبتر .

والغواصة مزودة بكاميرة فيديو آلية ، وبجهاز لالتقاط عينات من أعماق المحيطات .

من ناحية أخرى يجري العلماء الأمريكيون تجارب على إنزال إنسان آلي إلى أعماق البحار ، مزود بأجهزة كومبيوتر وأجهزة استشعار . وهو مصمم بحيث يشق طريقه عبر العوائق ، ويتحرك بقرارات يتخذها هو بنفسه .

الواقع أن استخدام الإنسان الآلي في أعماق البحار ليس جديداً ، فالأسطول الأمريكي أنزل أول إنسان آلي إلى أعماق البحر منذ ثلاثة عقود ، وكذلك تستخدمها شركات النفط . ولكن الجديد فيها هو تقدمها وحريتها في العمل والأجهزة المتقدمة التي تزود بها مثل أجهزة الكومبيوتر وأجهزة الاستشعار والكاميرات ، وقدرتها على الوصول إلى أعماق أبعد ، وقيامها بمهمات أكثر ، وبالتالي جمعها لمعلومات أكثر .

■ هليكوبتر الماء .. ■

البرازيل تقرر : حظر تسويق أية سلعة محظورة في بلد المنشأ

قررت حكومة البرازيل إلغاء مشروع قانون يسمح للشركات متعددة الجنسيات تصنيع وتوزيع منتجات تحظر الدول الصناعية تداولها . وقد حظرت حكومة البرازيل استخدام أي مبيد حشري لا يسمح التداول به في بلد المنشأ ، كما أجبرت أصحاب المصانع على تقديم معلومات حول معدل السم في المبيد . ويعتبر هذا القرار خطوة على طريق حظر جميع المنتجات الكيماوية المضرة .

اختراعات جديدة

غشاء من البولستر يقلص نفقات التكييف

صنع الباحثون الهنود في بومباي غشاء من البولستر يتحكم في مرور أشعة الشمس عبر نوافذ السيارات وجدران البنايات . ويفيد هذا الغشاء في تقليص نفقات التكييف لأنه يمنع ٧٠٪ من حرارة الشمس من اختراق نوافذ السيارات ، كما أنه يقلص الاشعاع فوق البنفسجي في ضوء الشمس بنسبة ٩٧٪ ، ويحمي الستائر والسجاد من التلف .

تاتار القرم
شعب اهملة التاريخ

ترجمة : تاتاري مسلم يعيش في تركيا

■■ « قصة أبشع مذبحة في التاريخ تمت في صمت وتحت تعتيم إعلامي ، أبيد فيها شعب مسلم دون أن يلوث الجناة أيديهم بدمائه » « تنفيذ أغرب حكم في شعب كامل بنفيه و إزالة حضارته من الوجود » .. ■■

في فجر يوم ١٨ مايو (أيار) ١٩٤٤م اقتحم البوليس السري السوفييتي (NKVD) أو ما يسمى الآن (KGB) المدجج بالأسلحة الرشاشة ، فجأة وبدون سابق إنذار بيوت شعب تاتار القرم في القرى والمدن وأخرجهم من بيوتهم إلى حيث قطارات البضائع الطويلة كانت في الانتظار ، ليحشر فيها شعب يزيد تعداده على ربع مليون مسلم ، واستغرقت عملية شحن الشعب كله يوماً كاملاً .

كانت عائشة طفلة في السادسة من عمرها عندما أوقظت من نومها فوجدت أهلها في فزع شديد يحاولون جمع بعض الحاجيات القليلة ، وحملوا الطفلة الصغيرة على عجل ، وكانت مكبرات الصوت في الخارج تلعلع بأوامر لا تفهم منها شيئاً سوى الخروج فوراً .

وجدت الجيران وأهل الشارع يصطفون أمام الرشاشات المصوبة إليهم . وانضمت عائلة عائشة سيتموراتوفا أي (سيد مراد) إلى صفوف المقهورين حيث أُمروا بترك ما حملوه معهم على الأرض ، ثم سيقت الأفواج إلى العربات التي كانت تختفي في ضباب الفجر بعد امتلائها .

تقـول عائشـة :

وبعد رحلة إلى قرية مجاورة وجدنا أنفسنا في محطة السكك الحديدية حيث كانت عربات البضاعة تُحشر بالبشر وتغلق عليهم من الخارج فتختفي الأصوات الثكلى التي أعياها البحث عمن ضاع في زحام الرعب والمفاجأة . نساء وأطفال وشيوخ ورجال يكدسون في صورة مهينة دون أن يتمكن أحد من حمل شيء من ملابس أو طعام .

وسارت القطارات إلى حيث لا يدرون أياماً وليالي ، وأسابيع ، ولا تقف القطارات إلا للتزود بالفحم والماء وتفتح أبواب العربات لإخراج الموتى . لقد تناثرت جثث الشعب التتاري المسلم على جانبي الخط الحديدي الممتد من القرم إلى أواسط آسيا ، ولطالما سمعت عائشة عويل الأمهات وصراخ الأطفال الجوعى . فقد تبعثرت الأسر في عربات وقطارات مختلفة . فمنهم من دفع في عربة وأطفاله في عربة أخرى ولا يدري إن كانت زوجته مع أطفالها أم دفعت هي الأخرى في قطار آخر . مات الشيوخ والأطفال من شدة تكدس العربات التي ظلت تسير ليلاً ونهاراً مدة شهر كامل . واستشرى التيفوس وفتك بالناس فتكاً ذريعاً ، وكانت تلقى الجثث من نوافذ القطار الضيقة بأعلى العربات . كثيرون ماتوا جوعاً وعطشاً . المرضى وكبار السن تساقطوا في الأيام الأولى من الرحلة إلى المجهول .

وتقـول عائشـة :

إني علمت بعد أن كبرت وصرت أعي ما حلّ بنا ، أنه خرجت من قريتنا ثلاثون أسرة لم يصل منها إلى أواسط آسيا سوى بقايا خمس عائلات .

ولدت عائشة في القرم ، ورحلت إلى أوزبكستان هي وأمها العجوز وأختها وإخوتها الأربعة ، وقد تشتت الجميع في مناطق مختلفة من أوزبكستان . وهي لا تستطيع أن تعود إلى وطنها القرم ؛ فقد حكم على شعبها بالنفي الجماعي بتهمة التعاون مع العدو النازي أثناء احتلاله للقرم في الحرب العالمية الثانية . وسيظل الحكم نافذاً ، ومن غير المسموح لأحد من بقايا شعب القرم أن يعود إلى وطنه . لقد وزعوا على المزارع الجماعية في أماكن متفرقة ، واختفى الشعب التاتاري القرمي في وسط سهوب آسيا ، وطويت صفحته في صمت .

لقد فقد ٤٦٪ من هذا الشعب المسلم في عملية التهجير القسري . وأسر زعماؤه ووضعوا في السجون ولا يزالون فيها حتى الآن دون أن يدافع عنهم إنسان أو ترفع أية دولة إسلامية صوتها للإفراج عنهم ، في الوقت الذي تقوم فيه الدنيا ولا تقعد إذا تأخر الاتحاد السوفييتي في صرف تأشيرات خروج لأبناء الشعب المختار المدلل (اليهود) .

لقد دفع اليأس بأحد التتار إلى الهرب من وسط آسيا عائداً إلى القرم ـ وهذه جريمة ..

شعب اهملة التاريخ

فممنوع على الشعب أن يعود إلى وطنه - وذهب إلى قريته وأشعل في نفسه النار ليلفت أنظار العالم لقضية شعب، ونجح في ذلك. فقد ظهرت الصحف الغربية في أحد أيام صيف عام ١٩٧٨م وفيها نبأ الشاب التاتاري الذي أحرق نفسه في أحد ميادين قرى القرم، وعند ذلك فقط بدأت القصة تعرف بعد (٣٤) سنة للرأي العام العالمي.

وظهرت المأساة. وإذا كان اعتقال شعب كامل ونفيه عن وطنه بهذه الطريقة الوحشية التي أدت إلى هلاك ٤٠٪ منه يعتبر عملاً منافياً لأبسط القواعد الإنسانية، فإن الأغرب من ذلك هي عملية أخرى لا تقل عن الأولى وحشية، فبعد ترحيل هذا الشعب المنكود قسراً عن دياره، اشتعلت الحرائق في ميادين قرى ومدن القرم لحرق كل الكتب والمجلدات والآثار والثقافة التاتارية. لقد حرق في ذلك اليوم كل ما هو مكتوب باللغة التاتارية القرمية (وهي غير الفروع التاتارية الأخرى) فاليوم لا توجد ورقة واحدة مطبوعة باللغة التاتارية القرمية فيما عدا جريدة الحزب التي سمحوا بنشرها في أوزبكستان أربع مرات في الأسبوع وتسمى «بيرق لينين» منذ عام ١٩٥٧م.

تقــول عائشــــة:

«في القرم كنا نستعمل الحرف العربي لكتابة لغتنا، ثم استبدلوا به الحرف اللاتيني ثم الحرف السريليك، وهو الحرف الذي يكتب به جميع المسلمين الآن في الاتحاد السوفييتي. وبهذه الطريقة انفصل الجيل الحالي ليس فقط عن تراثه وماضيه بل وعن بقية العالم الإسلامي. وفي هذا الحريق الكبير لم يترددوا في حرق ما وصلت إليه أيديهم من الكتب الأدبية وغيرها، وحتى القرآن الكريم الذي يعرفون مدى قدسيته لدى المسلمين لم يترددوا في حرقه، ودمرت جميع المساجد، وهذا التصرف ليس بمستغرب منهم، ولكن العجيب هو حرق المقابر، ثم غيرت جميع أسماء القرى والمدن التاتارية، ورفعت منها جميع الآثار التاريخية أو الثقافية التي تدل على أنه سكن هنا مرة شعب تاتاري.

وباختصار فقد أزيل كل ما يشير أو يدل على الشعب التاتاري، وحتى في التقارير الرسمية والإحصاءات وغيرها لا تعترف الدولة بوجود مثل هذا الشعب.

يمكن أن يباد شعب ولكن تبقى آثاره تدل عليه، أما أن يباد الشعب وتباد حضارته وتراثه ولغته ودينه ولا يبقى منه ما يدل عليه، فهذا هو الولوغ في القهر والإبادة، وللحكام الروس خبرة في ذلك، فقد سبق لهم عند احتلالهم لسيبريا أن طمسوا ثقافة وحضارة سكان هذه البلاد، بحيث لا نعرف عنها شيئاً في أيامنا هذه، وكأن سيبريا صحراء جرداء لم تسكن من قبلهم.

ولكن الشعب التاتاري القرمي يأبى أن يموت، فهو يكافح في سبيل البقاء، ويدعو إخوانه المسلمين للتعرف على قضيته ونشرها ورفعها إلى المحافل العالمية والدولية والمطالبة بالإفراج عن زعمائه المسجونين.

وإن الاتهام الجائر للشعب التاتاري بالتعاون مع الألمان، كان يمكن أن تعرف حقيقته بإجراء محاكمة تعاقب المذنب. أما أن يعاقب الشعب كاملاً بنسائه المسنات وأطفاله الأبرياء، وحتى بجنوده الشجعان الذين قاتلوا الألمان ومنحوا أوسمة سوفيتية حملها بعضهم معه إلى المنفى، فهذا أمر يتجاوز الحد في التعسف والطغيان.

ولكنْ هناك دافع حقيقي وراء ذلك الإجراء غير الإنساني، فروسيا طالما هفا قلبها للقرم منذ أيام القيصرية، فمنذ أن احتلت كاترين القرم عام ١٧٩٣م شرع الروس في تنفيذ سياسة «القرم بدون تتاره». ولتكون قاعدتهم البحرية في البحر الأسود، ونقطة للقفز والتوسع إلى المياه الدافئة.

ولنفترض أن الشعب التاتاري شعب خائن متعاون مع الألمان، فماذا عن الشعب الأفغاني، مع أي ألمان تعاون؟ وما الذنب الذي اقترفه حتى يُهَجَّر من وطنه وتحرق قراه وتستعمل لإبادته كل أنواع المحرمات من الأسلحة، وكل وسائل الإبادة الجماعية؟

تقول الأخت المسلمة عائشــــة:

«إني أجد كل مسلم على وجه هذه الأرض مسؤولاً يوم الحشر ماذا فعل لمعاونة إخوانه. إن أبسط شيء، الإنكار باللسان، بالكتابة، بإرسال برقيات الاحتجاج أو رسائل الاستنكار إلى كل مسؤول سوفييتي، إلى السفارات المنتشرة في كل أنحاء العالم، إلى الأمم المتحدة، منظمة العمل الدولية، لجنة حقوق الإنسان، محكمة العدل الدولية وغيرها من المنظمات، إن ما حدث في القرم ويتكرر حدوثه في أفغانستان، جعل السؤال الرهيب يتبادر إلى ذهني: من الذي عليه الدور بعد ذلك؟».

لقد دخل الألمان إلى أوكرانيا، وكان من الشعب الأوكراني بعض الضالعين مع الألمان، ودخلوا روسيا وكان من الروس من هو ضالع مع الألمان، هذا يحدث في كل شعب وخاصة في أوقات الحروب، ومع ذلك لم يعاقب الشعب الأوكراني كله أو غيره من الشعوب التي تعاون بعض أفرادها مع الألماني الغازي، ولكن في حالة الشعب التاتاري كان الأمر وسيلة فقط لتنفيذ سياسة طالما رنت إليها روسيا منذ زمن بعيد «القرم بدون التاتار».

إن الأطفال الذين ولدوا في المنفى يرسلون الرسائل إلى المسؤولين يقولون لهم: نحن ولدنا في غير بلدنا وليس لنا خيار في ذلك، ولكن بلادي وبلاد آبائي وأجدادي هي القرم التي منها لغتي وتراثي وقصصي وخيالي.

إن موسى محمد عاد إلى القرم عام ١٩٧٥م فاعتقل وحوكم وحكم عليه بسنتين مع الأشغال، وبعد السنتين عاد إلى القرم مرة ثانية، وعندما علم بقدومهم لاعتقاله ثانية قال:

إن الوسيلة الوحيدة لعدم مغادرة القرم هي أن أموت، وكان أن صب على نفسه البترول وأشعل النار أمام الشرطة ومن جاؤوا لاعتقاله وأمام ابنه البالغ ١١ سنة.

لقد فضّل الموت في القرم على أن يعيش في المنفى. ونحن لا نتفق مع موسى في هذا العمل

المخالف للدين ، ذلك أن غاية ما يملكه خصومه قتله وقد لا يفلحون في ذلك ، ولكن هذه الحادثة تبين مدى إصرار أهل القرم على العودة إلى ديارهم .

تقـول عائشـــة :

ـ لقد عشت أيام الدراسة وأنا أحلم أن أكون دارسة للتاريخ ، فلطالما نعتونا بالخونة وبالشعب المتأخر في الوقت الذي كنت أعرف فيه أن والدي مات في الجبهة وهو يدافع مع القوات السوفييتية ، وعمي أعدمه الألمان . وأنا كنت في السادسة عندما نفيت من وطني بتهمة لا أفهمها .

عندما أنهيت دراستي الثانوية توفي ستالين وسُمح لنا بالدراسة في معاهد أعلى ، وبدأت بالدراسة في جامعة سمرقند ، وركزت على دراسة التاريخ وخصوصاً دراسة تاريخ شعب القرم . وتوجه وفد من رجال تاتار القرم إلى موسكو رافعين التماساً بعودة شعب القرم إلى بلاده . وفي عام ١٩٦٤م اختاروني لأشارك في حركة القرم الوطنية للعودة . وفي عام ١٩٦٥م أرسلت إلى موسكو كممثلة لشعب القرم لعرض التماسنا على المسؤولين وعدت ثانية عام ١٩٦٦م للغرض نفسه ، وبالطبع استرعى هذا النشاط انتباه الـ« ك . ج . ب » وخصوصاً أنني مدرسة تاريخ في جامعة سمرقند .

فاعتقلت وأخذت إلى موسكو وحجزت لمدة سنة مع اثنين آخرين من الوطنيين التاتار وحوكمنا في محكمة سرية وحكم علينا . وفي أثناء المحاكمة سردت عليهم المأساة منذ كنت طفلة وما أتذكره حتى اللحظة . وظنوا أنه سيسهل عليهم إرهابي وخصوصاً اني عاصرت المأساة وشاهدت فواجعها ، وتحدثوا بإسهاب عن المساواة بين شعوب الاتحاد السوفييتي . وكان ردي أنه لا مساواة حتى يعود شعبي إلى وطنه .

وعلى مدى أربع سنوات متوالية دخلت الامتحان لأتقدم للدراسات العليا في معهد التاريخ التابع لأكاديمية العلوم في أوزبكستان ، وبعد المحاكمة سمح لي بدخول الدراسات العليا ولكن دون السماح بالانتهاء منها طالما أني أعمل في الحركة القومية لشعب القرم .

فعقدت الاجتماعات وأرسلت رسائل الاحتجاج وجمعت المستندات والوثائق التي تثبت حقنا في العودة .

وذهبت إلى القرم وجمعت ما أمكن من المستندات وناشدت المثقفين ومحبي الديمقراطية في موسكو .

وسرعان ما تدخلت الـ « ك . ج . ب » فمنعت امتحاني للدكتوراه وأرسلت لأمضي ثلاث سنوات بالسجن ، وأطلق سراحي عام ١٩٧٤م ومنذ ذلك التاريخ تقدمت إلى كل الهيئات الرسمية حتى إلى بريجينيف نفسه للسماح لي بإنهاء الدكتوراه وفي عام ١٩٧٦م أرسلت لي أكاديمية العلوم بأوزبكستان لتعلن أنها تقبلني كطالبة في الدراسات العليا . وبكل بساطة حرمت من حقي في إكمال دراستي وفي الحرمان من مهنتي كمدرسة تاريخ .

وفي عام ١٩٧٦م تقدمت بطلب للخروج من الاتحاد السوفييتي لإكمال دراستي بالخارج ولكن رفض طلبي ، وفي ٢١ يوليو (تموز) ١٩٧٨م أرسلت طلباً إلى بريجينيف قلت فيه :

« **إن الموت فقط يمكنه أن يريحني من ألوان الاضطهاد في الاتحاد السوفييتي** » .

والعجيب أن أجيب طلبي في خلال يومين . فقد هددت إن لم يُجَبْ طلبي بالخروج بحرق نفسي أمام أسوار الكرملين ، وقد جاء هذا التهديد وبدون قصد أو معرفة مني في الوقت نفسه الذي أحرق فيه موسى محمد نفسه في القرم ، وفضل المسؤولون أهون الشرين ، وهو خروجي من الاتحاد السوفييتي عن فضيحة الحرق التي سيتحدث عنها العالم . **وتركت الاتحاد السوفييتي ببطاقة هجرة يهودية حيث إن اليهود فقط هم المسموح لهم بالهجرة** .

ولا تصرف « فيزات » خروج للسياحة أو العمل إلا للنخبة المختارة ، وليس من حقك أنت أن تختار أن تخرج .

ودفعت عائشة مائة روبل ضريبة للهجرة ، وتنازلت عن جنسيتها وذهبت إلى فيينا ومنها إلى نيويورك وربما ظن الروس أن هذه النهاية مع قصة عائشة .

ولكن عائشة بقيت مصرة على أن تصبح مؤرخة لشعب مسلم صغير ، ولتقص لكل إنسان كيف دُمِّر هذا الشعب ونُفي من وطنه وهو لا يزال يُصر على العودة .

إن التاريخ يعيد نفسه كما يقولون ، فقد دمر الروس القرم في عهد بوتمكين ، وعند احتلالهم لها لم يتركوا شيئاً دون تدمير ، وها هم يكررون الشيء نفسه عام ١٩٤٤م ولكن بدقة أكثر .

والشعب التاتاري لم يرضخ ولن يرضخ ، فلقد نشأت الحركة الوطنية بعد اجتماع الحزب الشيوعي العشرين عام ١٩٥٦م والذي أدان فيه خروتشوف الستالينية .

ونحن كشعب مسلم مضطهد نعتمد بعد الله على الرأي العام الإسلامي والرأي العام العالمي ، وندعو إخواننا في ديار الإسلام أن يعاونونا بالرأي والنشر والدفاع عن المسجونين من زعماء هذا الشعب المنكوب ، إن قضيتنا يجب أن يعرفها كل مسلم . **لقد أقام العالم المتحضر جمعيات للمحافظة على أجناس الحيوانات والنباتات من الانقراض ، ألا يحاول المسلمون المحافظة على جنس تاتار القرم من الانقراض إن لم يكن بدافع الأخوة في الدين فعلى الأقل بالدافع الذي يحرك هذه الجمعيات التي تحافظ على الأفيال والنمور والحيتان من الانقراض** .

إنني أؤكد وأنا أدري بما يجرى في داخل روسيا ، أنه لو تحرك كل مسلم مسؤول في موقعه بالوسيلة التي يقدر عليها ، لفعلنا الكثير لرفع الظلم عن هذا الشعب المسلم . حتى الأطفال من شعب التاتار شاركوا بإرسال الصور والبطاقات إلى الكرملين تطالب بالعودة إلى الوطن .

(مترجمة بتصرف عن مجلة امباكت العالمية التي تصدر في لندن ـ الجزء العاشر العدد ١٣)

الأمة في أول معرض من نوعه

معرض المصاحف المخطوطة بالكويت

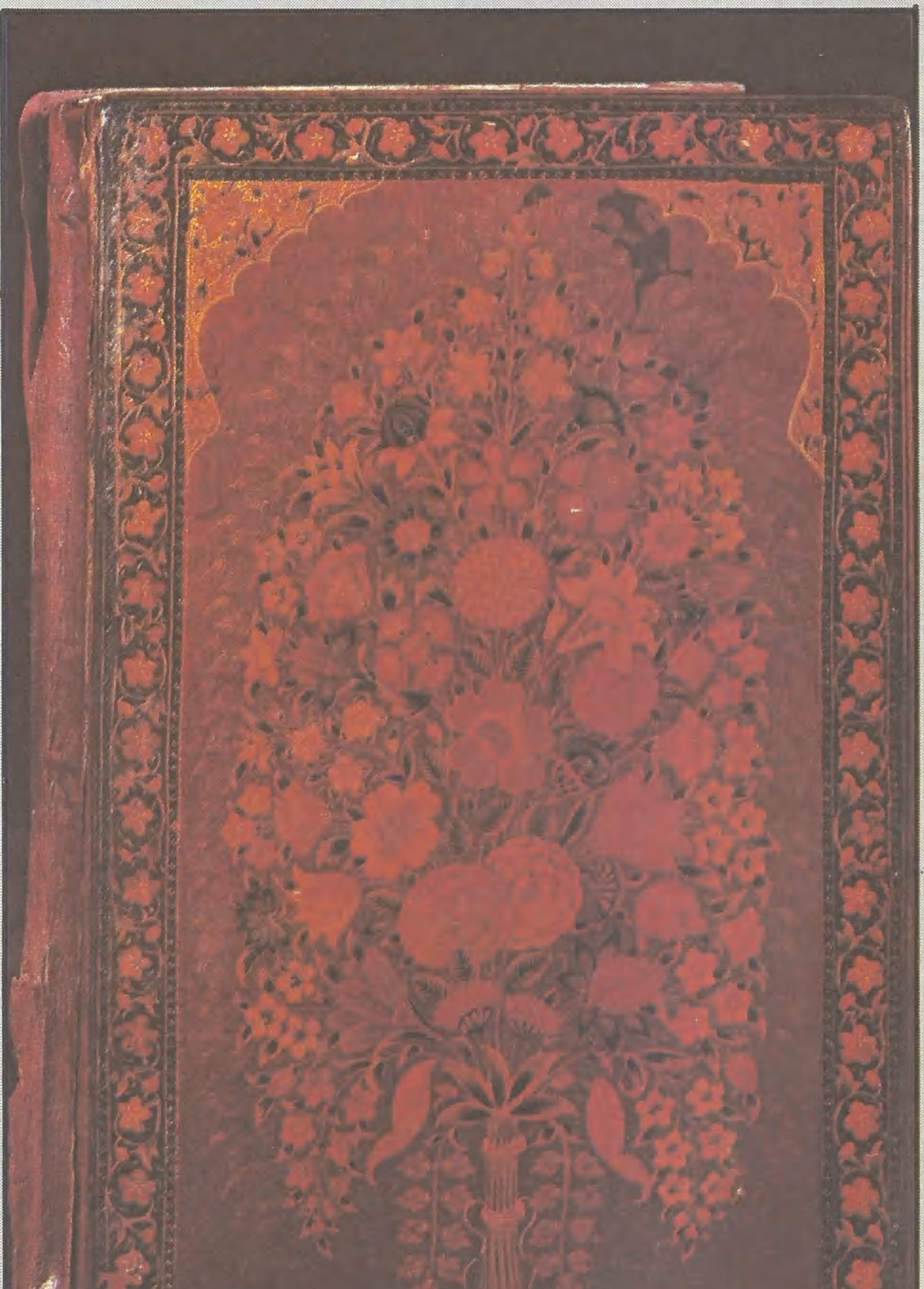

■ ضغط جلود المصاحف بقوالب ساخنة بعد تغطيتها بورق الذهب، ثم صقلها، ودلكها بشمع النحل ■

■■ دهشت يوماً، حين علمت من صديق عائد من « إيرلندا » بأن زوار العاصمة « دبلن » يحرصون ألَّا تفوتهم زيارة مكتبة « شستر بيتي » في وسط المدينة، للوقوف ملياً عند مجموعة رائعة من المصاحف النادرة، بينها النسخة الوحيدة لمصحف « ابن البواب » (علي بن الهلال) الذي فرغ من كتابته سنة (٣٩١هـ) .. ولعل ذلك الاهتمام راجع إلى أن النسخة هي أقدم نسخة للقرآن الكريم بخط النسخ الذي أصبح سائداً في تلك الفترة، كما أن زخرفته من عمل « ابن البواب » نفسه..

صفحات كاملة من الزخرفة الدقيقة، وعناوين السور بمداد الذهب، وسعيفات دقيقة التكوين في الهامش، عند مواضع السجدات ونهاية كل عشر آيات .. وذكر صديقي أن تحفة فنية أخرى، لا تقل روعة وجمالاً، تجاور مصحف « ابن البواب » وهي مصحف بخط « العرقي البغدادي » (٧٢٨هـ) خُطَّت عناوين سُوَرِه بالكوفي، وزُيِّنَت بفروع نباتية، ذات ألوان بديعة ... ناهيك عن مصحف بديع آخر نسخ في مراغة سنة (٧٣٨هـ) . ويقاسم جزءاً منه متحف الفنون الجميلة بمدينة « بوسطن » الأمريكية ...

وقال لي صديقي يومها : كم رجوت وأنا أشاهد المجموعة أن تعود إلى مكانها الطبيعي في متاحفنا الإسلامية، وتتألق من جديد أمام عيون أصحابها الحقيقيين، مذكّرة بحضارة خالدة على الزمان، أبدعتها عقول عباقرتنا المسلمين الأوائل .. علَّها تكون دافعاً لأبناء الفن في وطننا الكبير على تجنيد مواهبهم في أعمال نافعة، وذات هدف نبيل . ■■

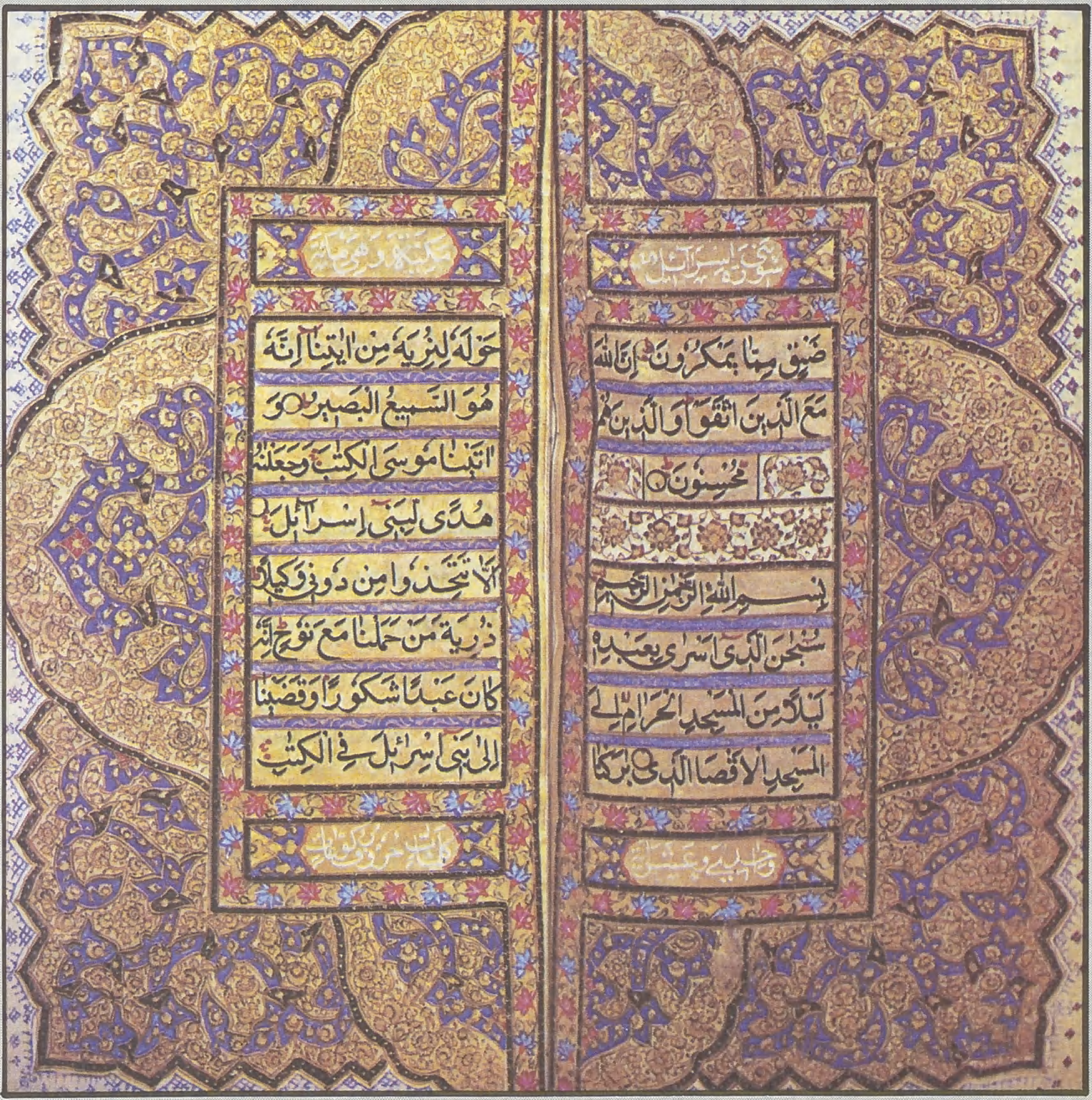

■ سورة الفاتحة، وأول سورة البقرة، وصفحات مزخرفة من مصحف ابن البواب الشهير ■

معرض المصاحف المخطوطة بالكويت

أمنيـــة تتحقق

ولم يمر زمن طويل حتى رايت امنية صاحبي وقد تحققت ، وكنت في حشد من شهودها في معرض (المصاحف المخطوطة) الذي اقامته اللجنة الوطنية الكويتية للاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري ، في منتصف ربيع الأول الماضي بمكتبة دار الآثار الإسلامية بمتحف الكويت الوطني ...

من اللحظة الأولى ملأ نفسي مزيج من شعور الفرح والاعتزاز ، فهانذا فعلاً امام عمل فني هادف تتوقف عنده ملياً ، ويظل مطبوعاً في ذاكرتك لا يبرح ... مجموعة متكاملة من المصاحف المخطوطة ، جمعتها من اقطار كثيرة ، يد فنان مفكر ... هو الدكتور : « عبد القادر قاسم استيتية » ، الطبيب بوزارة الصحة العامة بالكويت ..

... يعود بنا الرجل إلى خمس عشرة سنة مضت ، ليضعنا على طريق رحلة طويلة تنقّل فيها بين اقطار العالم وشغل افكاره الشاغل ، جمع هذه الآيات الفنية الرائعة حيثما استطاع الوصول إليها ، تارة في مكتبة منسية في زاوية مدينة قديمة ، ومرة في يد غريبة ، تجهل قيمة الأثر الفني ، وثالثة في مزاد علني تباع فيه تحف التراث الإسلامي ، لمن يدفع اكثر ...

وعندما يهل القرن الخامس عشر الهجري ، وتقرر « اللجنة الوطنية » الاحتفال بهذه المناسبة الكريمة بطريقة عملية تقدَّم الرجل لعرض مجموعته من المصاحف المخطوطة وإتاحة الفرصة للتعرف على صورة من صور حضارتنا الإسلامية العريقة وللبدء بعمل اشمل ترعاه المؤسسات الوطنية الكثيرة ..

تضم مجموعة الدكتور (استيتية) ثلاثين مصحفاً شريفاً ، نسقت في المعرض بعناية فائقة ، وعرض كل واحد منها في جام خاص ، ترافقه لوحة توضح ما عرف من معلومات عن سنة كتابته وكاتبه ونوع الخط المستخدم ، وتفاصيل عن عدد الصفحات والسطور والأبعاد والأطر والعلامات والزخارف والالوان ونوع الحبر .. ولا يغفل حتى الجلد وما يتضمنه بدوره من رسوم وزخارف من بدائع الرقش ...

اول المعروضات ، مصحف شريف مخطوط ، غير مؤرخ ، مكتوب بخط نسخ متأثر بخط الثلث ، وبمداد أسود ، وبين السطور تفسير للآيات الكريمة بالفارسية ، وبالخط الفارسي ومداد احمر ، المصحف مفتوح على بداية سورة « يونس » ، وفي اعلى السورة مستطيل ، ذو مهاد ذهبية ورقش عربي جميل كان مفترضاً ان يكتب داخله عنوان السورة ، وتحيط بالكتابة اطر متلاحقة ذات الوان ذهبية خضراء وحمراء ... وعدد صفحات هذه النسخة (١٢٣٧) صفحة ... وانتقل بين الواجهات البللورية وما تضمه من تحف قديمة ،واراني بغير شعور ارجع بأفكاري القهقرى إلى عالم رحيب من الضياء الإلهي الذي بزغت فيه شمس الحق ذات يوم بعيد ، وحملت إلى سيد الأنبياء رسالة العدل والخير ، رسالة الإسلام العظيم .

الــوحي والكتـــاب

ثـلاث وعشرون سنة يتلقى فيها الرسول الأمين ﷺ ، آيات الكتاب المجيد ، وكُتَّابه من ابرار الصحابة يكتبونها بين يديه ، على العسب او اللخاف والأكتاف والأقتاب والرقاع وقطع الأديم(١) ، ثم يودع المكتوب في بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويكتب الكتَّاب نسخاً من القرآن الكريم ، ويدلهم الرسول ﷺ على وضع ما ينزل من الآيات من سورها ، كان للنبي كتَّاب معروفون ، قيل إن عددهم ستة وعشرون كاتباً وقيل اثنان واربعون ، اشهرهم « أبو بكر » و « عمر » و « عثمان » و « علي » و « عامر بن فهيرة » و « زيد بن ثابت » و « معاوية بن أبي سفيان » و « عمرو بن العاص » و « الزبير بن العوام » ...

وكان المسلمون إلى جانب هؤلاء يستمعون إلى النبي ﷺ ، ويحفظون القرآن عن ظهر قلب ، وبهذا تعاونت صدور الحفظة ، وصحف الكتبة ، والصحف المودعة في بيت الرسول ﷺ على حفظ ما انزل الله تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

... ويلتحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى ، ويتولى ابو بكر الصديق رضي الله عنه خلافة المسلمين وتقوم حروب الردّة ، وفي معركة اليمامة يستشهد من المسلمين عدد كبير فيهم نفر غير قليل من كرام الصحابة ومن حفظة القرآن الكريم ..

ويخاطب عمر بن الخطاب الخليفة : (... إن القتل قد استحَر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني ارى ان تجمع القرآن) فيقول ابو بكر : (كيف نصنع شيئاً لم يأمرنا به رسول الله ﷺ بأمر ، ولم يعهد إلينا فيه عهداً) . وقال عمر : (هو والله خير) ولم يزل يراجع فيه حتى شرح الله صدره له ...

الخطوة الأولى ، في مهمة جليلة :

كلف ابو بكر زيد بن ثابت بالمهمة الجليلة : (... إنك رجل شاب عاقل ، لا نتهمك ، وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبَّع القرآن واجمعه) وكان الصحابي الكريم اهلاً للمهمة ، فنفذها على خير وجه وجمع القرآن في صحف واحدة ، بقيت عند ابي بكر حتى وفاته ، ثم عند خليفته عمر حتى استشهاده ، لتستقر اخيراً عند ابنته ام المؤمنين حفصة بنت عمر ، وكانت هي نفسها قارئة تحفظ القرآن عن ظهر قلب ، وكان هذا هو الجمع الأول .. « الجمع البكري » ..

الخطوة الثانية ، ستة مصاحف :

تمر السنون ويمتد الفتح في الأمصار ، وترفرف راية الحق شرقاً وغرباً ، ويتفرق الصحابة في كل اتجاه ، وتختلف القراءات ، يقرأ اهل دمشق عن « المقداد بن الأسود » ، واهل الكوفة عن « عبد الله بن مسعود » ، واهل البصرة عن « أبي موسى الأشعري » ، ويقرأ بقية بلاد الشام قراءة « أبي بن كعب » ، ومع مطالع سنة (٢٥هـ) يسارع « حذيفة بن اليمان » إلى المدينة المنورة ويدخل على الخليفة « عثمان » هاتفاً : (أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب ، خلاف اليهود والنصارى) ، ويستشير الخليفة الصحابة ثم يقرر رأيه : (... أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف) . وترسل « حفصة » الصحف ويجتمع عليها من جديد « زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام » ، وتنسخ الصحف في ستة مصاحف هي « المصاحف العثمانية الأئمة » ، ثم توزَّع على البصرة والكوفة والشام ومكة والمدينة : ويحتفظ جامع القرآن « عثمان بن عفان » بنسخة لنفسه .

... كتبت المصاحف الستة ، بالخط المكي . خط بلاد الحجاز يوم ذاك ، وكان البون شاسعاً بين ذلك الخط وشكل حروفه وبين كتابتنا اليوم ، فلم تكن في تلك الحروف استدارات أو نقط إعجام ، أو إشارات شكل بسبب تمكّن العرب من لغتهم التي يتكلمونها صحيحة بفطرتهم .

ولكن حين اختلط العرب بالأعجام ، إبان حركة الفتوح ، وظهر جيل جديد ، فشا اللحن في اللغة العربية وقراءة القرآن ، وهكذا كلَّف « زياد » والي البصرة « أبا الأسود الدؤلي » بتنقيط المصحف بصبغ مختلف عن لون المداد الذي كتبت به الكلمات ... كما كلَّف الحجاج بن يوسف الثقفي - فيما بعد - « نصر بن عاصم الليثي » و « يحيى بن يعمر العدواني » بإعجام الحروف المتشابهة ، فأتما مهمتهما وجعلا لكل واحد من هذه الحروف نقاطاً تميزها عن مثيلتها ، وأزالا اللبس والإشكال عن الفاظ القرآن .

الخطـــوة الثالثة :

وجاءت مرحلة ثالثة ابتدع فيها « الخليل بن احمد الفراهيدي » ، إشارات الشكل التي نعرف اليوم ، فكانت نقط الإعجام وحركات الشكل ، عاصماً للغة من اللحن وللألفاظ القرآن الكريم من اللبس .. كما كانت زخرفاً للخط وزينة ، زادته حسناً ورونقاً وجلالاً .

■ كانت المصاحف ميداناً هاماً لفن تجويد الخط الذي ساعد عليه طبيعة الحروف العربية بما فيها من انبساط واستدارة وتقويس واتصال ... ■

الخط : تطور وإبداع

كتبت المصاحف الأئمة بالخط المكي وحين أصبحت الكوفة مقراً للخلافة بدأت كتابة المصاحف بالخط الكوفي واستمرت حتى القرن الرابع الهجري ، حين ظهرت خطوط النسخ والريحاني والثلث والمحقق ، وفي أحيان أخرى خط التعليق والقيراموز .. على أن الغلبة كانت لخط النسخ في كل حال وبه كتبت أغلب المصاحف التي خطها كبار الخطاطين أمثال : الحافظ عثمان ، ومصطفى نظيف المعروف « بقدروغلي » ، ومحمد أمين الرشيدي .

حرص الخطاطون المبدعون عند كتابتهم للمصحف أن يكون في أجمل صورة وأبدع حلة ، أليس هذا الكتاب هو أساس الدين ، وينبوع العقائد والعبادات والفرائض ، وأليس هو أصل كل الأصول عند المسلمين ، بآياته يتحصنون ، وبأحكامه يعملون ؟ أليس هو صلتهم برب العالمين ، وضوء أفئدتهم ، وينبوع اليقين ؟ لهذا راح الخطاطون يتبارون ، فتعددت أقلامهم ، وتنوعت خطوطهم ، ووضعوا لها قوانين وقواعد ، ارتقت بالخط العربي إلى مكانة رفيعة أضحى معها متميزاً ، يحاكي أعرق الفنون التشكيلية ، ومن أونا ينكر فضل الكوكبة اللامعة من فرسان هذا الميدان بدءاً من عباقرة العصر الأموي « مالك بن كثير » و « خالد بن الهياج » ... ومروراً بالعصر العباسي حين ظهر « الضحاك بن عجلان » و « إبراهيم الشجري » صاحب قلمي الثلث والثلثين ، وحتى الوزير « ابن مقلة » ... مهندس الخط العربي ، وتلميذه « ابن البواب » ... علي بن هلال .. واضع قواعد ضبط الحروف ، و « ياقوت المستعصمي » .. قبلة الكتاب والخطاطين .. وحتى « عبد الله الصيرفي » ومن أتى بعدهم من الخطاطين المجوِّدين .

لقد اعتبر هؤلاء الخطاطون من أكابر الفنانين في العالم الإسلامي ، وحظيت طائفتهم بتشجيع رجال الدولة والدين .. وكانت المصاحف الشريفة ميداناً هاماً لفن تجويد الخط بشكل فاق كتب الأدب والشعر ، وساعد على تجويد الخط ، طبيعة حروف اللغة العربية بما فيها من انبساط واستدارة وتقويس واتصال ، ومن رؤوسها ونهاياتها يمكن عمل أشكال مزخرفة كالتوريق .

وعمد الفنانون في الوقت نفسه إلى زخرفة الآيات الكريمة والمصاحف الشريفة وتزيينها بذوق فني مبدع ، وخيال خصب ، سواء بالأشكال الهندسية الرائعة أو الرسوم النباتية التي تتالق فيها الأغصان والأوراق والأزهار في إيقاع كامل النغمات وتناسق في الألوان يحير الألباب . لقد كانت زخرفة المصاحف ، من أول عوامل ارتقاء الفن العربي ..

« الأرابيسك » أو الرقش العربي ، ووصلت به حد الإبداع ، ومدعاة للفخر والإعجاب .

ثمة مصاحف مخطوطة زخرف الفنانون جميع صفحاتها ، واكتفى بعضهم بزخرفة صفحات كاملة خاصة حول صفحتي الفاتحة وأول سورة البقرة ، وأحياناً حول سور معينة بذاتها واهتم بعضهم بزخرفة الهوامش بسعيفات أو نجيمات ، أو زهيرات بالغة الدقة والجمال ، في مواضع انتهاء الأجزاء والأحزاب أو في مواضع السجدات ، ناهيك عن الشرائط الزخرفية التي تحتوي عناوين السور ، والأطر المنمقة التي تحيط بآيات الله ، فإذا وقعت عليها العين ، فاض الصدر بنفحات قدسية وامتلأت النفس بمشاعر روحانية دفاقة .

ومن الجلود لوحات رائعة الجمال

اتقن الفنان المسلم الأساليب الفنية لتجليد المصاحف لحفظها من العطب أو التناثر وكرَّس المجلدون العرب وقتهم ومهاراتهم لإغناء وإحياء جلود الكتب والمصاحف ، حتى أصبح الكثير من هذه الجلود لوحات فنية نابضة بالجمال والحياة ..

كانوا يقصرون(٢) الجلود أولاً بطين مجبول من تراب جذور شجر البلوط ثم يعمدون إلى رقشه بالأرابسك بأشكال وتصاميم خلابة يطلونها بالذهب أو يضغطون الجلود بقوالب ساخنة بعد تغطيتها بورق الذهب ثم يصقلونها ويزيدون صلابتها بدلكها بشمع النحل العذري فتكتسب سطحاً براقاً وناعماً ... وعن العرب المسلمين انتقلت صناعة تجليد الكتب وزخرفتها إلى اوروبا ، وانتقل مهرة المجلدين العرب من المغرب والأندلس إلى نابولي والبندقية فكانوا الرواد المؤسسين الذين تركوا بصمات الفن العربي على صناعة التجليد الأوروبية وهكذا فإن كان الفن والخط العربي قد خدما القرآن الكريم بتقديمه بأجمل صورة إلى العالم فقد كان للقرآن الكريم الفضل الأكبر في تطويرهما وتجويدهما وإيصالهما إلى ما وصلا اليه وبالتالي إذا كان القرآن الكريم هو الهبة الإلهية المعجزة للعباد فلقد كان عمل الفنانين الصادق وجهدهم المخلص هو تحية شكر وثناء تلهج بها قلوبهم في محراب الخالق العظيم .

وأعود من سرحتي في ذلك العالم الجميل ، لأتوقف عند أول واجهة في المعرض ، وفيها صورة طبق الأصل من مصحف « ابن البواب » الذي فرغ من كتابته وزخرفته سنة ٣٩١هـ ، وخط عناوين سوره بمداد الذهب ... ويخبرني مرافقي : أن مئات من أمثال هذه المصاحف الجميلة متناثرة في متاحف فيلادلفيا ، ودبلن ، وسالدر خبك بالهند ، والمتروبوليتان ... ومئات غيرها في دكاكين الكتب العتيقة في عواصم العالم تنتظر يداً صادقة الإيمان لتجمعها وتعيدها إلى واحد من متاحفنا الكثيرة لتلقى ما هي جديرة به من حماية ، وتشع من جديد مرآة لحضارة خالدة على مر الزمن . وهو بالذات ما فعله الدكتور « استيتية » وزاده إثراءً ونفعاً حين وضع بين يدي زوار المعرض دليلاً انيقاً ضمنه دراسة قيمة أمدتنا باكثر معلومات هذا الموضوع عن رحلة فن الرقش العربي عبر العصور وكتابة المصاحف وزخرفتها واثرها في تطوير الخط العربي ، ولوحات رائعة للعديد من المصاحف المعروفة مع نبذ وافية عنها ، فنال بذلك تقدير وثناء زوار المعرض ودفع اللجنة الوطنية للاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري إلى تمديد الفترة المحددة للمعرض اياماً اخرى لتتيح للكثيرين فرصة هامة قلما تتكرر .

حييت الرجل الفنان باحترام وغادرت المكان متمنياً أن يكون هذا المعرض خطوة أولى إلى متحف دائم يضم كل روائعنا الإسلامية المتناثرة في العالم .

... فهل تتحقق الأمنية ؟!

هوامش :

(١) العُسُب : جمع عسيب وهو جريد النخل .
اللخاف : جمع لخفة ، وهي الحجارة الدقاق وقيل الخزف .
الأكتاف : جمع كتف : العظم العريض .
الأقتاب : جمع قِتْب ، وهو من الخشب .
الرقاع : جمع رقعة ، وقد تكون من جلد أو ورق .
الأديم : الجلد المدبوغ .
(٢) القَصْر : إزالة اللون الطبيعي من الياف النسيج .

تصريحات وأقـــوال

■■ [تقدم حكومات بعض الدول العربية مساعدات إلى دول العالم الأخرى تقدر بـ ٩ر٢٥ مليار دولار سنوياً من أصل ٤٣ مليار دولار هي مجموع المساعدات الخارجية التي تقدمها دول العالم عن طريق البنك الدولي] ■■

(رئيس البنك الدولي في الشرق الأوسط وشمالي أفريقيا)

■■ [أنا مسيحي ، ولم أشعر يوماً بالخوف من المسلمين] ■■

(سليمـان فرنجيـة ـ رئيس جمهورية لبنان سابقاً)

■■ [إن إسرائيل أمامها عامان آخران للبناء المستمر للمستوطنات بالضفة الغربية ليصبح من المستحيل ـ سياسياً ـ عودتها إلى العرب] ■■

(« ميخائيل ديكل » نائب وزير الزراعة الإسرائيلي)

■■ [إن الإسلام هو دين القرن الحادي والعشرين ، وهو القرن الذي يحمل أزمة خطيرة تواجه البشرية كلها ، ولن يكون في الإمكان العثور على حل إيجابي سريع ..] ■■

(الدكتـور رشـدي فكار)

■■ [إن الاجتماع على العمل بالقول المرجوح أقل ضرراً من شق الصف ، وإيقاع الخلف بين المسلمين للعمل بالقول الراجح في المسائل الفرعية التي لا تحل حراماً ، ولا تعطل واجباً وليست من أصول الإسلام] ■■

(الشيخ علي الطنطاوي)

■■ [انتظمت في الكتّاب وحفظت القرآن .. هناك قوّمت لساني ، لأن حفظ القرآن يرافقه التعرف على مخارج الحروف ، ونطق الكلمات نطقاً صحيحاً .. وامتلاك ثروة لغوية عظيمة جداً قوامها كل ما بين دفتي المصحف الشريف .. وأيضاً شيء من التأمل في الآيات القرآنية كل هذا عرفته مبكراً .. كان له تأثير بعيد فيما بعد على لغتي وفي فكري ونفسي] ■■

(الدكتور « شوقي ضيف » أستاذ الأدب العربي بجامعة القاهرة)

■■ [هناك حل واحد فقط : هو أن جهادنا سيستمر ، ولا نرى أي حل آخر ، وسنستمر بجهادنا حتى مغادرة آخر جندي روسي من أرض أفغانستان ..] ■■

(قلب الدين حكمتيار ـ نائب رئيس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان)

■■ [لقد ملّ آباؤكم من إطرائهم ، ولقد سمعتهم بالأمس يقولون : إنكم إن كنتم تفخرون بنا ، فإننا لا نفخر بكم لأن العمالقة لا تلد أقزاماً] ■■

(عبد الرحمن الكواكبي)

● الدكتور شوقي ضيف ●

● الشيخ علي الطنطاوي ●

● عبد الرحمن الكواكبي ●

● قلب الدين حكمت يار ●

بريد الأمة

●● كنا قد عرضنا ، في بريد أعداد ماضية ، لعدد من الرسائل يطلب أصحابها تخصيص صفحة أو باب للتعارف على غرار ما تلتزم به أكثر من مجلة وصحيفة .. إلَّا أن بعض الإخوة كتبوا يعترضون على ذلك ويرون أن ذكر الأسماء والعناوين لا يخلو من سلبيات ليس أقلها استفادة المؤسسات التنصيرية من هذه الأسماء والعناوين لخدمة بعض أهدافها .. كما يرى آخرون أن المساحة المخصصة لذلك لو تم توظيفها لبحث أمور أكثر أهمية لكان أجدىٰ ..

ومع تقديرنا لوجهات نظر الجميع إلَّا أننا نميل إلى استغلال المساحة التي يمكن تخصيصها للتعارف لما هو أهم .. والله نسأل أن يوفقنا لما فيه الخير والسداد .. ●●

رســالــة ..

■■ بكلمات تعبر عن مدىٰ العلاقة الصادقة التي تولدت منذ أكثر من ثلاث سنين بين « الأمــة » وقرائها ، كتب الأخ هشام سيد عبد السلام (مصر) رسالة يقول فيها :

[... بدون مقدمات أو مجاملات ، أريد أن أسأل : أين « الهديـة » ولماذا حرمتمونا إيَّاها ؟.. وهل يجوز لنا تصديق الادعاء بأن « الهدية » إنما كانت مجرد وسيلة لتسويق « الأمــة » وترويجها والاستحواذ على القراء ؟..

إذا كان الأمر كما ادعوا فإنَّ الواقع يكذب ذلك .. لقد توقفت « الهدية » عن الصدور إلا أن سعر بيع المجلة وعدد قرائها في ارتفاع مستمر .. ولذلك أضع بين أيديكم الحقائق الآتية :

● **أولاً** : لو أرسلتم إلى مصــر مليون نسخة شهرياً لوُزعت ولطلبنا المزيد ..

● **ثانياً** : لو ارتفع سعر المجلة إلى خمسين قرشاً فسنشتريها .

● **ثالثاً** : إن ما يعنينا من « الأمـة » مضامينها والتي نتمنى أن لا تمتد إليها يد التغيير والتعديل وأن تظل على العهد والنهج الذي شدَّنا إليها .. إلَّا أن هذا لا يعني أبداً التقليل من قيمة « الهدية » ، خاصة وقد احتلت مكاناً في قلوبنا وأمكنة على جُدر حجراتنا ..

فهل نطمع في إعادتها وعودتها ؟.. وفقكم الله .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته] .

○○ **كتب الأخ أبو معاذ عبد الله بن شرف (اليمن) رسالة يقول فيها :**

[... أثلج صدري ونفَّث عن همومي ما وجدته في « **الأمـة** » من مواضيع قيمة ، في مختلف مجالات المعرفة ، تسعى لإعادة بناء الشخصية المسلمة ، عقيدياً وفكرياً وثقافياً لتكون في مستوىٰ التحديات المتعاظمة مع تطور الحياة المعاصرة .

ولا شك أن غيبة الإسلام ، التي دامت لقرون عديدة ، عن حياة المسلمين وانغلاق علمائنا ومفكرينا على تقليد مذاهب في الفقه والفكر ، أديا إلى حالة من الجمود والجهل وتفشي البدع والخرافات والأباطيل ، كانت بمثابة أرض خصبة لما أصابنا من غزو فكري وفساد أخلاقي ..

ولم يقتصر هذا الفساد على مستوى الفرد وإنما عم ليشمل المجتمع والأمة والدولة ، فأصبحت المسؤولية جسيمة والمهمة عسيرة والطريق شائكة أمام رواد الحركة الإسلامية بشكل خاص ، والجيل المسلم الغيور على دينه وعقيدته بشكل عام . وأوجب استنفار كل الجهود المسلمة المخلصة للوقوف في وجه كل ألوان الفساد التي تعوق استمرارية الوجود الإسلامي ..

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّه ... ﴾ (الصف : ١٤)

إن خطانا على هذا الطريق يجب أن تبدأ بتشخيص الداء ومعرفة الأسباب التي أدت إليه ثم وصف العلاج وطريقة استعماله .. وبشيء من الرعاية والمتابعة يكون التدرج نحو الصحة والعافية والمعافاة ..

ولقد أعجبني ردّكم في « **بريد** » العدد الثالث والأربعين على الأخ « **علي قاسمي** » (تونس) وتحديد مهمتكم والتزامكم « **بمنهج البحث عن الأسباب الفكرية للمشكلات السياسية وجذورها وليس أعراضها ومظاهرها** » .. وأحب أن أركز على أن مشكلات المسلمين لا بد وأن تُبحث على ضوء الكتاب والسنة .. وأن الأمراض التي نئن منها ونتوجع يُنظر إليها بالرجوع إلى عاملين أساسيين :

أما الأول : فهو تقصير العلماء وعدم قيامهم بواجب تعليم الناس وتبصيرهم وإعمال عقولهم فيما يعرض من مشكلات وحصرهم أنفسهم في إطار مسائل الحيض والنفاس والنجاسات وما إليها ، تماماً كما أراد لهم العدو أن يكونوا ..

وأمَّا العامل الثاني : فهو ما ابتُلينا به من استعمار وما سرَّبه إلينا من عقائد وأفكار ضالة عبر قنوات عديدة تأتي في مقدمتها وسائل الإعلام والكليات والمعاهد العلمية ..

وفي اعتقادي أن معالجتكم لهذين العاملين ستساعد كثيراً في عملية النهوض وإعادة بناء الشخصية المسلمة وترشيد الصحوة الإسلامية .. ولا يخفى عليكم التمزق والتشتت الذي أصاب الحركة الإسلامية الحديثة وجعلها تركز على معالجة جوانب في حياة المسلمين دون أخرىٰ .. مما كان له أثره السلبي على فعاليتها وعلى علاقات عناصرها .. وهو ما لم يكن ليحدث لولا قصر النظر وعدم القدرة على مواجهة التحديات ..

ومن الأدواء التي انتهيت إليها لمعالجة مثل هذه العلل ، ذلك الحوار الذي أجريتموه مع الشيخ **محمد الغزالي** حول « **فقه الدعوة الإسلامية ومشكلة الدعاة** » ، يضاف إليه ما تصدرونه من كتب قيمة في سلسلة « **كتاب الأمة** » .

هـذا ما أردت مناصحتكم بـه ومـا أريـد إلَّا الإصـلاح ما استطعت .. وأدعو الله أن يوفقكم ويسدد خطاكم لتؤدوا دوركم المناط بكم لإيقاظ الهمم وترشيد المسلمين ، تأصيلاً للفكر وترسيخاً لمبدأ شمولية العمل الإسلامي ..

والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..] ■■

واحة الإخاء

○ عن بعض ما جاء في دائرة المعارف السوفييتية من تشويه للقرآن الكريم والرسول ﷺ والإسلام ، كتب الأخ علاء الدين جعفر (السودان) :

[... قالت عن القرآن : إنه « مجموعة من المواد الدينية والمذهبية والأسطورية والقانونية . وقد وضع القرآن أثناء حكم ثالث الخلفاء العرب (٦٤٤ - ٦٥٦م) ثم أدخلت عليه فيما بعد التغييرات حتى بداية القرن الثامن الميلادي .. وإن جزءاً معيناً من القرآن ينتمي لعصر محمد أما الأجزاء الأخرى فإنها تنتمي لعصور متقدمة عليه أو متأخرة عنه » .

وعن رسول الله ﷺ ، فقد ورد في المجلد رقم ٢٨ .. « لا تزال سيرة محمد تشيّد على المعلومات شبه الأسطورية الواردة في القرآن والتي يتقبلها علماء المسلمين بغير مناقشة ... وقد تحوّل محمد في نظر الأجيال التالية إلى قديس » ..

أما عن الإسلام نفسه فقد كتبت ما نصه :

« لقد نشأ الإسلام نتيجة لنمو طبقي بين العرب ... وقد تأثر الإسلام إلى حد كبير بالمفاهيم البدائية لقبائل العرب كما تأثر بالمسيحية واليهودية والمجوسية » ..

وبعـد : ما هو موقف البلاد الإسلامية من هذه التشويهات المتعمدة لديننا ونبينا وقرآننا ؟ وما هو موقف العلماء والفقهاء ؟..] .

○ ومع تمنياته لـ « الأمـة » بمزيد من التوفيق ، يهدي الأخ الغلبزوري محمد (المغرب) أبياتاً من الشعر للمجاهدين في كل مكان :

تالله ما الدعوات تُهزم بالأذى	أبداً وفي التاريخ بر يميني
ضع في يديّ القيد ، ألهب أضلعي	بالسوط ، ضع عنقي على السكين
لن تستطيع حصار فكري ساعة	أو نزع إيماني ونور يقيني
فالنور في قلبي وقلبي في يدي	ربي ، وربي حافظي ومعيني
سأعيش معتصماً بحبل عقيدتي	وأموت مبتسماً ليحيا ديني

○ تحت عنوان (أصوات الكائنات) جمع الأخ خالد يوسف صبابحة (الأردن) المعلومات الآتية :

[... فحيح الأفعى - طنين : الذباب والنحل ، ثُغاء : الماعز ، خوار : البقر ، رغاء : الجمل ، زئير : الأسد ، دبيب : النمل ، صهيل : الحصان ، نهيق : الحمار ، نعيق : البوم ، نقيق : الضفدع ، نعيب : الغراب ، عواء : الذئب ، مواء : القط ، صياح : الديك ، هديل : الحمام ، زقزقة : العصفور ، تغريد : البلابل ، حفيف : أوراق الشجر ، هزيم : قصف الرعود ، أزيز : الرصاص ، صليل : السيوف ، صرير : القلم ، خرير : الماء ...] .

○ من ولاية « قرطبة » في دولة « الأرجنتين » أرسل الأخ جهاد سعيد سليمان بمساهمته التي تساءل في مستهلها قائلاً :

[... من باب الاهتمام بأمر المسلمين .. لماذا لم تشارك « الأمة » مسلمي الأرجنتين في مؤتمرهم الإسلامي الذي يعقد كل سنة في إحدى الولايات ، لتتعرف عن قرب على أحوالهم ومشاكلهم ومعاناتهم ؟] .

ويمضي الأخ قائـلاً :

[... بعد سقوط الحكومة العسكرية ، كان لنا لقاء مع أحد كبار المسؤولين في حكومة ولاية قرطبة حول إمكانية تعزيز العلاقات مع بلدان العالم الثالث وخاصة البلاد العربية الإسلامية التي وقفت إلى جانب الأرجنتين في حربها ضد بريطانيا حول جزر فولكلاند .. وأعرب المسؤول عن أمله في أن تبادر كل الدول الإسلامية بفتح سفارات لها في الأرجنتين ..

حبذا لو قامت « **الأمة** » من خلال صفحاتها بحث المسؤولين في هذا الاتجاه ، لأن تيار « **العودة إلى الإسلام** » في الأرجنتين يحتاج إلى من يقف إلى جانبه ، معنوياً ومادياً] ..

وفي ختام رسالته يتساءل الأخ **جهاد** عن مصير المنح الخمس التي تقدمت بها ، منذ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٣م ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لطلبة مسلمين من الأرجنتين .. ومع تمنياتنا للطلبة المتقدمين بالتوفيق ، نرجو من إدارة الجامعة موافاتهم بما انتهى إليه الأمر .. وجزى الله الجميع خيراً ..

ردود خاصة

■ **الأخ محمد علي عطوة (مصر) ..**

●● جميع ما ذكرت في رسالتك من صلوات لا صحة لها . كما أن الله عز وجلّ يقول ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم : ٣٩) و ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الأنعام : ١٦٤) ، والإسلام يقورر أن المرء مسؤول عن عمله ومحاسب عليه ..

■ **الأخ ح . ح (المغرب) ..**

●● ليس لك إلَّا أن تندم على ما فرّطت ، وتستغفر الله عز وجل وتتوب إليه توبة نصوحاً تكون بالإقلاع التام والابتعاد كلياً عن الآثام التي ارتكبتها والله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً إلَّا أن يُشرك به ، ويقبل توبة العبد ما لم يغرغر .. (أي : يبدأ بالنزع الذي ينتهي بالموت) .

■ **الأخ صالح الصغير (المغرب) ..**

●● إن كان تارك الصلاة قد فعل ذلك نكراناً وجحوداً بفرضيتها من الله تعالى فهذا كافر لا تجوز مصاحبته ... أمَّا إن كان تركها فسقاً وتكاسلاً فتجوز مصاحبته خاصة إذا كانت بنية إعادته إلى جادة الإسلام وأداء النصح له وعدم إعانة الشيطان عليه ..

●● نشكر للإخوة : **محمد عمَّار بن السالك (موريتانيا)** ، **مصطفى إبراهيم محمد النادي (الأردن)** و**شهاب البدري يس (مصر)** ، مشاعرهم الفياضة وحماستهم الدافقة ..

●● ونؤكد للأخ **إبراهيم متولي جمعة (مصر)** أن سقوط كلمة لا يعني أبداً تعمد حذفها أو تشويه المعنى الذي تعبر عنه .. وصدق من قال : « **رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » ..

●● ونسأل الله أن يسدِّد خطا الإخوة : **الهاشمي الأمين وعبد الله الحسيني (المغرب)** فالطريق إلى الجنة محفوف بالمخاطر .. ونرجو من الله التوفيق لمعالجة الموضوع بما يتناسب ومنهج « **الأمة** » ..

● أحدث الحوار الذي أجرته « الأمة » مع الشيخ الغزالي حول « فقه الدعوة الإسلامية ومشكلة الدعاة » صدىً واسعاً عكسته أكثر من رسالة .. فمن (مصر) كتب الدكتور غريب جمعة :

[... كان العدد الرابع والأربعون حافلاً بالموضوعات القيمة وفي مقدمتها تكملة الحوار مع فضيلة الشيخ محمد الغزالي . وليتكم تتكرمون بأن يكون هذا الحوار مجمعاً هو هدية عدد رمضان من المجلة إلى قرائها حيث إنه يعتبر نبراساً للدعاة وهو ذوب حياة الرجل وعصارة فكره وخلاصة تجربته التي بلغت نصف قرن أو تزيد .. وإذا لم ننتفع بتجارب من سبقونا على هذا الدرب المبارك فسوف تتفرق بنا السبل ..

وكلٌ يدّعي وصــلاً بليلىٰ
وليلىٰ لا تقر لهم بذاكا
إذا اشتبكت دموع في جفون
تبين من بكىٰ ممن تباكىٰ

هذه وجهة نظر والأمر لكم ودمتم موفقين على طريق الدعوة إلى الله] ..

● **أما الأخ هشام محمد عبد المنعم (مصر) فيقول في رسالته :**

[... تنبع أهمية الحوار أساساً من كون رصيدنا من فقه الدعوة ضئيلاً جداً ، وقد يعود

أصداء

ذلك إلى الفجوة التي أوجدها أعداء الدعوة بين السلف والخلف من الدعاة إلى الله ... وكنت أتمنى أن تتركز بدايات الحوار حول : متطلبات الدعوة ، معالم طريقها ، مراحلها ، واجباتها ، التدرج في إبلاغها ، فقه التعامل مع الآخرين وحاجة الداعية إليه ، ثم ما يجب أن يتصف به الدعاة عموماً ..

وليس معنى هذا أن بدايات الحوار كانت خاطئة ، فيكفي أن جهل الداعية « **بالسنن الكونية** » ، التي جاء الحديث عنها كمدخل للحوار ، واستعجاله جني الثمار ، ينتهي به إلى أن يصاب بالإحباط النفسي واعتزال المجتمع بل تأثيمه وتكفيره ..

ومن واقع الحوار أطرح على الشيخ الغزالي بعض الأسئلة أرجو أن نقرأ إجابات عنها في الأعداد القادمة :

ما رأيه في مسألة إلزامية الشورىٰ للحاكم ؟ وكيف يمكن حل أزمة الفقه السياسي التي تعرض لها الحوار ؟ وماذا عن أصول الفقه وهل يعتبر الإجماع والقياس حجة شرعية يجب العمل بهما على كل مسلم وكيف نرد على من يقول بغير ذلك ؟

إن الحوار مع الشيخ الغزالي لا يجب أن ينتهي حتى يُفَصِّل كل ما يندرج تحت عنوان (فقه الدعوة) وإن طال الحوار وامتد لأكثر من عدد .. وجزاكم الله خيراً] .

● **من خلال مطالعته لمقال : [نماذج تطبيقية في مناهج التحقيق والترجمة] ـ العدد ٤١ ـ استوقفت الأخ محمود محمد عبد العزيز الشورىٰ (مصر) عبارة الكاتب :**

[... إن الرسم للحروف قد حمل الضيم على هذه اللغة .. وإن جمهرة كبيرة من المصَحَّف قد اندسّ في متنها فلم يفطن له المعربون ولعلك تلمح شيئاً من هذا في شيء من القراءات الشاذة التي منعها الفقهاء . وإني لأقف معتبراً قولة « **أبي عمرو بن العلاء** » في قوله تعالى : ﴿ **إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ** ... ﴾ فقد أثر عنه أنه قال : أبرأ إلى الله أن أقرأ : إن هذا] .. فكتب ملاحظاً :

[... عجبت لربط الكاتب بين القراءات الشاذة وهذه القراءة السبعية المتواترة ! ونحن نعرف أن العلماء يشترطون لثبوت القراءة ثلاثة شروط : التواتر ، موافقة وجه من أوجه النحو ، موافقة خط المصحف . فليس رسم المصحف هو الحجة الوحيدة .. بل لا بد من الشرطين الآخرين .. ومن ثَمَّ لا يجوز وقوع التصحيف في المصحف جوازه في غيره .. أقول ذلك حتى لا يساء فهم ما كتبه الدكتور السامرائي] .

مقترحات

● **من (المغرب) يقترح الأخ محمد جاد :**

[أولاً : إعادة طباعة الأعداد الأولى في إطار الأعداد الجديدة .. كأن يضاف إلى العدد (٤٥) مثلاً ، العدد الأول .. وإلى العدد (٤٦) ، العدد الثاني ، وهكذا .. خدمة لمن فاته متابعة « الأمة » منذ صدورها ..

ثانياً : إصدار دليل أمين يرشد المسلم إلى المراجع والمصادر التي يمكن الاعتماد عليها في قراءة التاريخ الإسلامي ، قديمه وحديثه ، ويرصد المؤلفات المشبوهة والمحرفة ويهدي إلى كيفية التعامل معها ، خاصة وأن مادة التاريخ الإسلامي التي تدرس في كثير من جامعاتنا ومعاهدنا ومدارسنا تعرضت في معظمها لتشويه يؤسف له .. وأتمنى أن يصدر الدليل إما على صفحات « الأمة » أو بين دفتي كتاب « الأمة » ..] .

● ويستهل الأخ أحمد السيد محمد موسى (مصر) اقتراحه بقوله :

[... كم تمنيت أن يستيقظ المسلمون من غفوتهم وأن يخرجوا شيئاً من أموالهم المكدسة ، جهاداً في سبيل الله وعوناً لإخوان لهم أخرجوا من ديارهم وهدِّمت مساجدهم ومدارسهم ودورهم ، لا لشيء إلاّ لقولهم : ﴿ **رَبُّنَا اللَّهُ** ﴾] ..

ويقترح : [.. أن يلحق بكل مسجد على امتداد العالم الإسلامي ، صندوق لجمع الزكوات والصدقات والتبرعات لصرفها على المجاهدين الصادقين] .

● **وفي إطار حديثه عن بعض استطلاعات « الأمة » يقول الأخ محمد هلال على سالم (مصر) :**

[... يا حبذا لو نشرتم مع كل استطلاع خريطة جغرافية للبلد الذي استطلعتم أحوال المسلمين فيه ، فذلك قد يسهل على القارىء مهمة التعرف على معالم وطنه الإسلامي العريض] ..

● **ويقول الأخ أحمد الهلالي (مصر) في مقترحاته :**

[... حبذا لو طلبتم من الدكتور يوسف القرضاوي إعادة طباعة كتابه (مشكلات الفقر .. وكيف عالجها الإسلام) .. وأرجو زيادة صفحات باب (عالم وكتاب) مع رجاء الاختصار في التعريف بالمؤلف لأن الكتاب وما يطرح فيه من أفكار هو الأهم] .

● **ويقترح الأخ التطواني محمد (المغرب) :**

[أن تترجم « الأمــة » ما ورد في افتتاحياتها تحت عنوان : « تأملات في مسيرة العمل الإسلامي » إلى واقع عملي ، وتتولى عبء إجراء دراسة نقدية للتجارب والمراحل التي مرت بها مسيرة العمل الإسلامي في الفترة الأخيرة من تاريخنا الحديث .. على أن يصدر ذلك في إطار سلسلة « كتاب الأمة »] ..

بأقلام القراء

[يسِّروا ولا تعسِّروا ..]

كان ﷺ إذا أرسل الوفود والرسل أوصاهم : « بشِّروا ولا تنفروا .. يسِّروا ولا تعسِّروا » .. وكان هو كذلك ، في عبادته ودعوته وتعامله مع الناس .. وهو ما يجب أن يفقهه الدعاة إلى الله اليوم وكل يوم .. فالتشدد والتعسير وكثرة القيود والسدود لا تزيد العامة إلا بعداً ونفوراً .. « ولن يشادّ الدين أحدٌ إلَّا غلبه » كما أخبر بذلك الرسول ﷺ .. لقد خلق الله الجن والأنس ليعبدوه ولكن في حدود الوسع ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾ .. و ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ... ﴾ (البقرة : ١٨٥) .

خالد حرز الله [الأردن]

الصبر ..

بديهي أن يتعرض الداعية الحق لصنوف الأذى وأن يلاقي الشدائد والمكاره ، فتلك سنَّة الله في النبيين والصدِّيقين والمصلحين في كل زمان ومكان .. قال تعالى :

﴿ آلم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت : ١ ـ ٣) ..

ولكن ، جُبل الإنسان على الهلع والجزع ، فإن حزبه أمر أو نزلت به مصيبة ، ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وقلَّ أن يتذكر قول النبي ﷺ : « ... ومن يتصبَّر يصبره الله . وما أُعطي أحد خيراً أوسع من الصبر » [متفق عليه] .

إن المؤمن كما وصفه المصطفى ﷺ أمره كله خير « .. إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » ..

إن الصبر من سمات عظماء الرجال القادة فما أحرى بمن يحملون لواء الدعوة إلى الله أن يربوا أنفسهم على الصبر على المكاره والمصابرة على الشدائد .. في سبيل الله .. ﴿ ... وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (لقمان : ١٧) .

حسان محمد مزهود [السعودية]

[صحوة !!]

أَفِقْ يا قَلْبُ فَالأَيَّامُ تَمْضِي
وَكُلُّ عَشيَّةٍ تُدْني المَزارا
أَكُلُّ العُمْرِ تَسْويفٌ وَلَهْوٌ
وَخَبْطٌ في الأماني كَالحيارىٰ ؟!
فَلَا عَقْلٌ يُحاذِرُ مِنْ شِراكٍ
وَلَا قَلْبٌ يَسُوقُ لنا ادِّكارا
وَسُوقُ العمرِ إنْ طُويَتْ بِلَيْلٍ
أَخَذْنا لِلمنازِلِ كالأسارى
تَأَهَّبْ لِلرَّحِيلِ فَقَدْ أَناخَتْ
مَطايا المَوْتِ بالوادي جِهارا
فَلَا مَنْجىٰ إذا نادى المُنادي :
أَفيقُوا مَعْشَرَ الدُّنْيا السُّكارىٰ
فَقَد طُويَتْ صَحائِفُكُمْ وَهٰذي
رِياحُ المَوْتِ تَحْمِلُ من توارى
إلىٰ نُزُلٍ : فَإمَّا روضُ عَدْنٍ
وَإمَّا النَّارُ .. تستعرُ استعارا

ياسر إبراهيم أحمد [مصر]

[نداء]

كُونوا لِهٰذا الجيلِ أَعْلىٰ قُدْوَةٍ
وَلِذٰلِكَ النَّشْءِ الكَريمِ مُعَلِّما
لَبّوا النِّداءَ لِدينِكُمْ وَتَقَدَّموا
لَا عاشَ فيكُمْ مَنْ دَعاهُ فَأَحْجما
وَتَذَكَّروا أَجْدادَكُم وَتَرَسَّموا
آثارَ مَنْ بالرُّوحِ جادَ تَكَرُّما
مُتَضامِنِينَ علىٰ الجِهادِ فلا نَرىٰ
فيهِمْ ضَعيفاً لِلعِدا مُسْتَسْلِماً
مَدُّوا إلى العَلْياءِ مِنْ أَجْسادِهِمْ
سَبَباً وَمِنْ جُثَثِ الضَّحايا سُلَّما
وَبَنُوا إلى القُدْسِ الشَّريفِ بِبَذْلِهِمْ
مَجْداً رفيعاً قَدْ أَظَلَّ الأَنْجما
عُودُوا إلى إسْلامِكُمْ .. وَلْتَعْلَموا
مَنْ يَنْصُرِ الرَّحْمٰنُ لَا لَنْ يُهْزَما

عبد الرحمن صالح الكلحاوي [مصر]

[في لبنان !]

قَتْلىٰ .. جَرْحىٰ .. والأَشْلاءُ
تَتَناثَرُ في أَرْضٍ وَسَماءْ
وَذِئابٌ ضارِيَةٌ وَعُواءْ
وَدِماءٌ تُسْفَكُ بَعْدَ دِماءْ
وَأَنا في حُزْني أَسْتاءْ
فَدَوائي أَنْ أُصْبِحَ داءْ
يَسْري في جَسَدِ الأَعْداءْ
وَيُحَطِّمُ فيهِم كُلَّ بِناءْ
وَأَعُودَ كَطَيْفٍ وَضَّاءْ
مِنْ أَرْضي يَمْحو كُلَّ شَقاءْ
وَيُعيدُ البَسْمَةَ لِلدُّنْيا
وَيَكُونُ سَلاماً وَضِياءْ

علياء محمد عادل [مصر]

يكتبها
دكتور : عماد الدين خليل

الزكاة.. تلك المعجزة المالية العجيبة

■■ حتى عهد قريب كان كثير من الناس يتصورون أن الزكاة ضريبة بسيطة لا تعدو أن تكون نسبة متواضعة على رأس المال قد لا تتمخض عن مبالغ ذات بال ، بل إن بعض الناس تصورها مجرد تزكية أدبية للمال بغض النظر عن حجم النتائج المتأتية عن دفعها .. تزكية أدبية ما دام أن الزكاة هي كالصوم والصلاة شعيرة إسلامية أقرب إلى الممارسات التعبدية الروحية منها إلى التشريع المالي أو التخطيط الاجتماعي .

بل إن بعض المفكرين الإسلاميين أنفسهم لم يجدوا فيها أكثر من (حدود دنيا) يتحتم أن يتجاوزها المسلم إلى مزيد من العطاء ، والدولة المسلمة إلى مزيد من الأخذ .. إذ ماذا تعني نسبة الواحد إلى الأربعين في نهاية كل حول ؟

وما تلبث الأيام أن تمضي ، وتكرّ السنون والعقود ، ويتدفق الخير على مساحات شتى من عالم الإسلام : ثروات طبيعية ، وموقعاً ممتازاً ، وأنشطة اقتصادية ، وذهباً وفضة وأموالاً ... وما تلبث الأموال أن تتدفق على جيوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وإذا ببعض هؤلاء يحسبون النسبة المتواضعة تلك فإذا بها تشكل لدى كل واحد منهم مئات الآلاف من الدنانير بل ملايينها ، فكيف بهم جميعاً ؟

إنها - والحق يقـال - مبالغ هائلة لم تدر بخلد إنسان قبل عقود قليلة فحسب .. هائلة بحق ، ولن تكون الكلمة مجرد صيغة إنشائية هدفها التفخيم والتضخيم .. فماذا لو التزم جميع المالكين بدفع هذه الضريبة محسوبة بالضمير المسلم الذي يخشى الله على الفلس الواحد لا يوضع في محله ؟ ماذا لو التزمت السلطات الإسلامية في عصر الإحصاء ، والتنظيم المالي ، والهيمنة الإدارية على كل صغيرة وكبيرة .. عصر الحسابات الدقيقة والمؤسسات المتخصصة والضرائب ، ماذا لو التزمت بأخذ هذه الضريبة بالميزان القسط ، من كل من استحقت عليه طوعاً أو كرهاً ؟ وماذا لو قامت أجهزة متخصصة ، ومؤسسات متمكنة في تحويل هذه الطاقة المالية الكبيرة إلى أداة للتنمية والاستثمار من أجل مزيد من الكسب للجهات التي بَيَّنَها كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام من التي تستحق الزكاة ؟

نتائج كبيرة بكل تأكيد ، إنْ على مستوى النشاط الاقتصادي للبلد المسلم أو على مستوى تحقيق الكفاية ، وتقليص الفوارق الاجتماعية ونشر العدل الذي يعض عليه الإسلام بالنواجذ ..

ومن عجب أن هذه الضريبة يتحتم دفعها في نهاية كل حول بنسبتها الثابتة على الربح وعلى رأس المال نفسه ، ويتساءل المرء : ماذا لو لم يشغَّل رأس المال عبر هذه السنة أو تلك ؟ ماذا لو لم يستثمر أو يشارك في هذه الجهة أو تلك ؟ والجواب هو أنه لا بد من دفع زكاته في نهاية الحول وبالنسبة الثابتة : واحد من أربعين .

ومعنى ذلك أن أي رأس مال مهما كان حجمه ، مقضي عليه بالتفتت والزوال في نهاية المدة المفروضة ، إلا أن يُهرع مالكه فيرمي بثقله في مجرى النشاط الاقتصادي ، ويغادر عزلته ، ويتجاوز خطيئة الاكتناز والتكديس ، وحينذاك ستتحقق الميزة الأخرى : مزيد خير لصاحب المال ، ولمستحقي زكاته وللنشاط الاقتصادي للبلد ، ثم للثروة العامة في نهاية المطاف .

وهكذا يتضح - بلغة الأرقام - كما يقولون - كيف أن هذه الضريبة التي كان يظن أنها تكليف بسيط يستهدف ما يمكن أن يعد صدقة أو إحساناً ، إنما هي مشروع مالي مركَّب يسعى لتحقيق أكثر من هدف في وقت واحد ويؤول إلى مزيد منفعة للأطراف جميعها ..

إن هذه الضريبة ، شأنها شأن العديد من الممارسات والتنظيمات الإسلامية في سائر مناحي الحياة ، كانت مثاراً للجدل والنقاش ، وكثيراً ما غمطت حقها ، ووضعت في غير مكانها الحقيقي ، ثم ما لبثت الوقائع والمعطيات أن كشفت عن أبعادها الحقيقية وعرضتها للناس ممارسة فذة ، وخطة مرسومة بدقة وتنظيماً يتوخى خير الدنيا والآخرة ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ... ﴾ (النمل : ٨٨) .

ونتذكر ها هنا أيضاً كيف يكون الزمن ، بما يتضمنه من كشف متواصل ، ومن تراكم في الخبرة ، عاملاً مساعداً على إبراز دقة الصياغة ، وإعجازها وبراعتها بالنسبة لجوانب عديدة من الإسلام تأكيداً للآية الكريمة ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت : ٥٣) .

هنا في دائرة التنظيم المالي ، وهناك في دائرة التنظيم الاجتماعي ، أو التربوي ، أو التشريعي ، أو أي من دوائر الفكر الإسلامي الأخرى ...

وتحضرني هنا محاولة لصديق يتخصص في علم الإحصاء الاقتصادي في إحدى جامعات بريطانيا تستهدف اعتماد نظم هذا العلم وطرائقه من أجل القيام بتحليل إحصائي لضريبة الزكاة في شريحة زمنية ومكانية من عصرنا الراهن .

والمحاولة لم تستكمل أسبابها بعد ، ولم تعلن عن نتائجها ، ولكن الرجل يأمل في أن يصل إلى ما يؤكد للناس ، بالرقم ، والمنحنى البياني ، معجزة الزكاة ... ■■

إسرائيل .. شبكة الإرهاب

■■ تقوم السلطات الإسرائيلية في الآونة الأخيرة بتنفيذ مخطط يهدف إلى إثارة الرعب وبث الذعر في نفوس المواطنين العرب بالأراضي المحتلة، وحثهم على النزوح وإجبارهم على الهجرة، وذلك بطرح قضية الإرهاب ضد العرب على نطاق واسع، عن طريق التحقيقات التي تدَّعي إسرائيل أنها جارية مع عناصر ما يسمى «شبكة إرهابية يهودية سرية منظمة».. وإصدار بيانات رسمية عن وجود قنابل في مناطق العرب ومدارسهم ومؤسساتهم وأماكن تجمعهم، ولزيادة التأكيد على هذا المعنى، قامت إسرائيل بإعادة فتح ملفات حوادث الاعتداء التي دُبرت ونفذت ضد المقدسات الإسلامية والمؤسسات والأفراد، وربطها بقضايا «الإرهاب» الجديدة بعد أن كانت السلطات قد حفظتها والتمست الأعذار لمرتكبيها إلى درجة ادعاء أنهم مصابون بأمراض عقلية (!) ثم حاولت محو هذه الحوادث من ذاكرة العالم...

ويساهم المسؤولون الإسرائيليون في هذه الحملة بإصدار بيانات رسمية لتأكيد فكرة الإرهاب ضد العرب - فيقول وزير الداخلية «يوسف بورج» - «إن الأدلة متوفرة الآن على وجود شبكة إرهابية سرية منظمة» (!!) ويصرح خبير المفرقعات في البوليس الإسرائيلي الذي كُلف بإبطال بعض القنابل: «إنني قلما رأيت عملاً يتطلب خبرة واحترافاً ينفَّذ بمثل هذا الإتقان والدقة (!)».. وتلمح صحيفة «جيروزاليم بوست» إلى أن «شخصيات سياسية معروفة قد تواجه استجواباً في القضية»، وتبالغ صحيفة «هاآرتس» أكثر، فتقول: «إن أعضاء الحكومة الإسرائيلية قد ذهلوا حين قرأ عليهم رئيس الوزراء قائمة المشتبه بهم، إذ كان أغلبهم رجالاً معروفين وكثيراً ما يترددون على الكنيست للدفاع عن حركة الاستيطان».. ويشترك التلفزيون في الحملة فيقول: «إن التحقيق ربما يسفر عن وجود علاقة بين المحاولة الإجرامية الفاشلة (!) والاعتداء على رؤساء البلديات الفلسطينية في يونيو ١٩٨٠م، وكذلك عملية إطلاق النار التي وقعت في الجامعة الإسلامية بالخليل في يوليو ١٩٨٣م» ولزيادة شحذ مشاعر الخوف عند العرب وتأكيد الرعب في نفوسهم، يصنع التلفزيون هذه الإضافة، فيقول: «إن وحدة البوليس التي ألقت القبض على الإرهابي الذي اغتال طفلة فلسطينية في مدينة نابلس بالضفة الغربية في ديسمبر الماضي قد أسهمت في حملة الاعتقالات يوم الجمعة الماضي».. (!!)

ولا بأس أن يعلن عن اعتقال الحاخام الذي يرأس منظمة «جوش إيمونيم» وغيره من يهود المستوطنات ومن داخل إسرائيل بتهمة أنه «يشتبه بأنهم ينتمون إلى الحركة الإرهابية السرية اليهودية».

وحقيقة الأمر - دون الحاجة إلى الخوض في تفاصيل كثيرة - أن إسرائيل لم تعتمد في قيامها أساساً إلا على المنظمات الإرهابية، وأن رئيس وزرائها الحالي شامير كان يرأس إحدى هذه المنظمات وكان بيجين - رئيس الوزراء السابق - يرأس منظمة إرهابية أخرى، وقد لجأت هذه المنظمات إلى ما يشبه التدابير القائمة اليوم لبث الرعب وإثارة الذعر في نفوس الأهالي العرب وإجبارهم على النزوح، كما ورد في مذكرات «بيجن» بعنوان «التمرد» من أنه كان الهدف من وراء تنفيذ مذبحة «دير ياسين» بهذا القدر من البشاعة.. وليس بعيداً ما جرى من الفظائع في مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت.. كما أن السلطات الإسرائيلية كانت - قبل حملة التخويف القائمة - تروِّج لفكرة «الإرهاب ضد الإرهاب» وتعتمد الجرائم التي تُرتكب تحت شعارها، وتظهر مرتكبيها بمظهر الثائرين الأبطال..

ولا تزال التقارير تشير إلى الأعمال الهمجية التي تمارسها مجموعات المستوطنين اليهود كل يوم بدعم من السلطات، لتحقيق الهدف ذاته من وراء تدابير الإرهاب، «فيقومون بتهديد السكان العرب في الضفة الغربية بالقتل إذا لم يتنازلوا عن أراضيهم لصالح التجار اليهود عن طريق التوقيع على وثائق بيع مزورة وغير قانونية...» وتضيف التقارير: «إن هذه المجموعات تعمل لحساب تجار الأراضي اليهود، وأن ضباطاً في الجيش الإسرائيلي يعملون في الحكم العسكري بالأراضي المحتلة - يعرفون السكان الذين يمتلكون مساحات كبيرة من الأراضي بالضفة - يترأسون هذه المجموعات، وأن عدداً من الأهالي العرب من سكان قرى ومخيمات ومدن الضفة قد وقعوا ضحية أعمال هؤلاء الإجرامية..».

وفي إطار أهداف الحملة الإرهابية المطروحة بشدة على أجهزة الإعلام حالياً، تكشف التقارير أن السلطات الإسرائيلية تخطط لترحيل أعداد كبيرة من الأهالي العرب في النقب وبئر السبع وعراد إلى مناطق جنوبي قطاع غزة، ويؤدي هذا المشروع إلى التخلص من الفلسطينيين من سكان الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م بنقلهم إلى الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧م، كما ترفض الإدارة اليهودية المدنية في قطاع غزة صرف بطاقات شخصية لحوالي ثلاثة آلاف لاجيء فلسطيني بحجة أنهم ليسوا من سكان المنطقة وسيتم إبعادهم إلى الجانب المصري، ومن المعروف أن قطاع غزة من أكثر المناطق كثافة بالسكان..

وقد يُلقي موقف رئيس الوزراء الإسرائيلي - إسحاق شامير - الأضواء أكثر على المخطط الإسرائيلي، فبينما يحرص على إدانة «الشبكة الإرهابية» علانية خلال الاجتماع الأسبوعي لمجلس الوزراء، يؤكد أيضاً أن القضية «لن يكون من شأنها - بأي حال من الأحوال - إعادة النظر في سياسة الاستيطان في الأراضي المحتلة»، ومن المعروف أن حركة «جوش إيمونيم» المتطرفة - التي تقود حملات الاستيطان مسموح لها رسمياً خرق القانون للإسراع في السيطرة على كل «أرض إسرائيل التوراتية» كما صرح بذلك زعماؤها أكثر من مرة، ويتمتع أعضاؤها بصلاحيات غير محدودة في الحصول على الأسلحة..

وفي ظل هذه الظروف - تحاول إسرائيل التحكم إلى أقصى درجة بمصادر الإعلام، فقد ذكرت صحيفة «التايمز البريطانية»: «أن الرقابة الصارمة قد شددت على الصحف في إسرائيل على نحو يتجاوز ما هو مفروض على المراسلين الأجانب العاملين هناك..» وأضافت: «أنه من المستحيل إرسال برقية صحفية دون أن تكون موقعة بخاتم الرقابة، الذي يحمل كلمة «مجاز» على كل صفحة..».

وأشارت إلى أن صحيفة واحدة فقط هي «حداشوت» التي قامت بكشف تفاصيل قتل فدائيين فلسطينيين بواسطة السلطات الإسرائيلية - بعد أسرهما أحياء - من حافلة ركاب وكانا قد قاما - مع زميلين لهما باختطافها والتوجه بها إلى الحدود المصريـة في منتصف أبريل (نيسان) الماضي.. ■■

■ بيجين ■

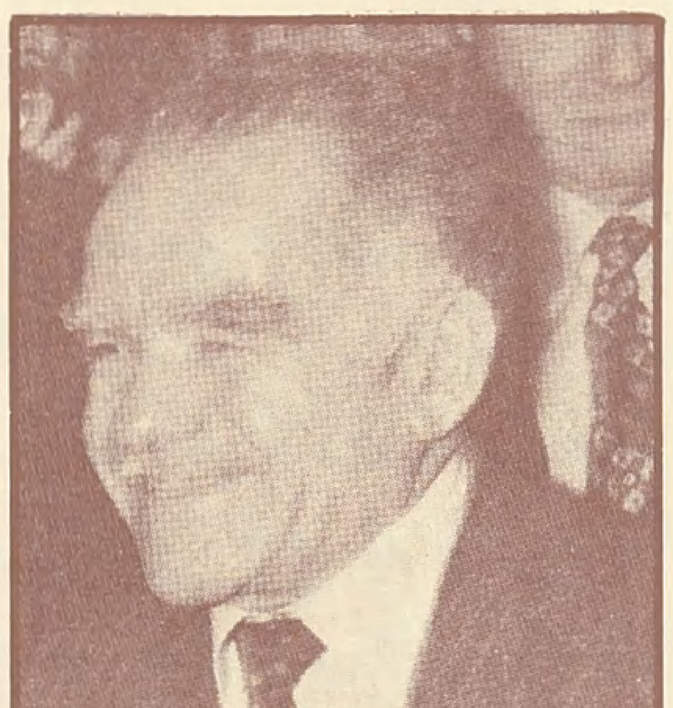

■ شامير ■

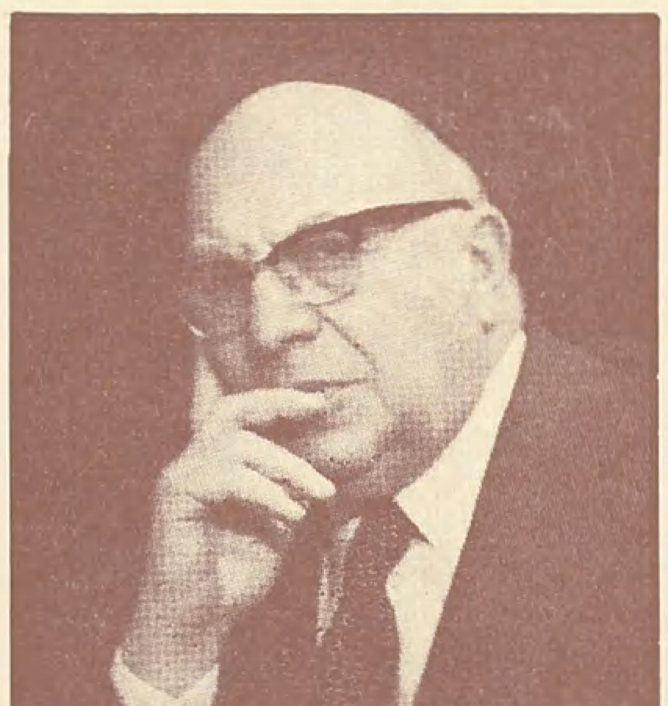

■ يوسف بورج ■

في عالم الاقتصاد

آفاق صناعة البتروكميائيات

■■ تؤكد الدراسات الاقتصادية أن الصناعات البتروكيميائية القائمة حالياً في الدول المنتجة للبترول أقدر على المنافسة من تلك الموجودة في أوروبا، إلى حد أن بعض الاقتصاديين يتوقعون انتقال مؤسسات صناعية بتروكيميائية كبرى إلى الدول المنتجة للبترول خلال السنوات المقبلة وذلك للاستفادة من الغاز الطبيعي الذي يتوفر في هذه البلدان والذي يعتبر المادة الخام الأساسية في هذه الصناعة .. وعلى ضوء ذلك فإن خبراء الاقتصاد يعتبرون أن نقل تكنولوجيا المختبرات الكيميائية الغربية إلى العالم الثالث قد بات أمراً لا بد منه ..

ومن المعروف أن مؤسسات صناعية غربية ويابانية كبرى تقوم الآن بإنجاز مجمعات بتروكيميائية تقدر تكلفتها بعدة مليارات من الدولارات، على غرار المجمع الصناعي في منطقة الجبيل بالمملكة العربية السعودية، في الوقت الذي أوقفت فيه الحكومة اليونانية - منذ عام تقريباً - العمل في مجمع (أخيالوس) للصناعات البتروكيميائية، بعد أن أنفقت عليه حوالي ٥٠ مليون دولار، فقد اعتبرت أن قرار بناء هذا المجمع - الذي اتخذ في وقت مبكر (١٩٧٧م) - لم يعد حكيماً من الناحية الاقتصادية، كما أن شركة فرنسية كبرى (C.D.F) قد أوقفت إنتاج مادة الأمونياك، التي تعتبر المادة الأساسية في صناعة الأسمدة الأزوتية، وقد تؤدي صادرات الكويت من هذه المادة ومن مواد الإيثيلين والستيرين إلى أن تفكر شركة « كالتكس » في التخلي عن نشاطها الكيميائي في أوروبا ... ■■

تحقيق شروط صندوق النقد الدولي

■■ صدر في نيجيريا قرار عن مجلس الوزراء هناك يقضي بإلغاء العملة النقدية (النيرة) واستبدالها بعملة جديدة، ومنح المواطنين فرصة أسبوعين لاستبدال مالديهم من أموال (انتهت في أول مايو ١٩٨٤م)، وقد أعلنت الحكومة أنه يحق لكل مواطن لا تزيد أمواله عن (٥٠٠٠) نيرة (٣٥٠٠ دولار أمريكي) الحصول على قيمة مساوية من العملة الجديدة فوراً، أما الذين يمتلكون أموالاً أكثر من ذلك فإن عليهم تقديم أسباب تبرر حصولهم على هذه المبالغ حتى يمكنهم استبدالها وإلا فإنها ستفقد قيمتها بعد انقضاء فترة الأسبوعين، وخلال هذه الفترة أغلقت الحدود البرية حتى لا تتسرب الأموال من الخارج، ومنعت رحلات الطيران الخاصة، وشددت الرقابة على الموانىء والمطارات ..

والمعروف أن من أهم الأهداف من وراء هذه الخطوة تخفيض قيمة العملة الأمر الذي يمكن الدولة من تنفيذ شروط صندوق النقد الدولي للحصول على القروض الموعودة - التي تبلغ حوالي ٣ مليارات دولار.

ويعلق المراقبون على ما حدث بقولهم: إنه يعتبر الانقلاب الثاني الذي يحدث في نيجيريا، وقد يكون - بما يترتب عليه من نتائج اقتصادية - هو الانقلاب الحقيقي .. ■■

أخبار قصيرة

●● تقرر عقد المؤتمر الرابع للسيرة والسنة النبوية بالقاهرة هذا العام، وسيدعى لحضوره ممثلون عن (١٢٠) دولة من مختلف أنحاء العالم.

ومن المعروف أن المؤتمر الأول كان قد عقد في (إسلام آباد) بباكستان عام (١٣٩٦هـ)، أما الثاني فقد كان في (استانبول) بتركيا عام (١٣٩٧هـ).

وفي (الدوحة) بقطر، كان انعقاد المؤتمر الثالث عام (١٣٩٩هـ) وحضره (٢٦٧) عالماً من (٤٧) دولة ..

●● عقد رفائيل إيتان - رئيس الأركان الإسرائيلي السابق - مؤتمراً صحفياً تحدث فيه عن الحركة الجديدة التي شكلها تحت اسم « صهيونية جديدة »، فقال بأنها قامت لإنعاش الأيديولوجية الصهيونية، وأضاف بأنه على الرغم من أن الحركة سياسية فإنها تؤمن بأن أرض إسرائيل هي كل جزء نسيطر عليه، كما تؤمن بحق الاستيطان في جميع الأراضي ..

●● بدأ المجلس الأثيوبي العسكري بأديس أبابا في تنفيذ إعلانه الخاص بالتجنيد الإجباري الذي أصدره في أكتوبر الماضي، وتهدف المرحلة الأولى من هذه الخطة إلى تجنيد خمسة آلاف من طلبة المدارس بالمدن الإريترية الواقعة تحت سيطرته وإرسالهم إلى منطقة هرر إلى الغرب من الحدود الصومالية .. تواجه هذه الخطوة مقاومة شديدة من الشعب هناك.

●● صرح الجنرال إليكسي أبيشيف - رئيس الشؤون السياسية في الجيش السوفييتي - لصحيفة برافدا - بأن عدداً كبيراً من المجندين السوفييت لديهم دراية محدودة باللغة الروسية مما يثير مشكلات خطيرة بالنسبة للجيش، وأن تعليم الروسية محدود للغاية، خاصة في القوقاز وآسيا الوسطى وكازخستان .. وأن المجندين من أبناء هذه الجمهوريات يواجهون صعوبة في تنفيذ وتلقي التعليمات والتعامل مع غيرهم لجهلهم باللغة الروسية مما يؤثر على الطاقة الدفاعية.

●● تناولت المحادثات التي جرت في واشنطن بين مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشؤون السياسية - لورنس إيجلبرجر - ومدير عام الخارجية الإسرائيلية ديفيد كيمشي، إنشاء صندوق لتمويل زيادة عدد الفنيين والعسكريين الإسرائيليين في دول أفريقيا وأمريكا الوسطى، وأضافت صحيفة « **واشنطن بوست** » بأن هذا الصندوق سيستخدم أيضاً لتمويل وتسليح العصابات المتمردة ودعم الحكومات الموالية ..

ومن ناحية أخرى: تدرس وزارة الخارجية الأمريكية اقتراحاً قدمته الخارجية الإسرائيلية بتمويل « **برنامج المساعدات الخاصة** » لإسرائيل، الذي يتضمن عشرين مليون دولار تقدمها إسرائيل لدول في أفريقيا وأمريكا اللاتينية بمثابة هبات ومساعدات تقنية ..

قراءة ثقافية

الإسلام دين ودولة

■■ تحت هذا العنوان كانت محاضرة الشيخ صلاح أبو اسماعيل - عضو مجلس الشعب المصري وأحد علماء الأزهر الشريف - في إطار الموسم الثقافي الذي تنظمه إدارة الشؤون الثقافية بوزارة التربية والتعليم بدولة قطر .

في بداية المحاضرة أوضح دوافع اهتمام المسلمين بالإسلام لأن فيه الأمن والعز والرخاء والنصر والحرية ، وطريق ذلك كما يراه العلماء هو ما رسمه الله عز وجل من طريق ولا نُعْمِل الرأي في ما انتهى إليه النص : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور : ٥١) .

واستعرض المحاضر موقع السلطات الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية من الإسلام فقال : إن الإسلام يقرها من حيث المبدأ ، ولكن هذه السلطات بواقعها لا تقر كلمة الله ضبطاً لسلوكها وتوجيهاً لكلماتها وتقويماً لأساليبها .. فالسلطة التشريعية تنبع من مبدأ الشورى في الإسلام ، ولكن القرار فيها الآن لا يتخذ وليدا لبرهان ، ولا ثمرة لحجة ، ولا إعمالاً لدليل ، وإنما يتخذ لعدد المنادين به ولو كان الكم يُوَلِّدُ حقاً لكان الإسلام باطلاً في باطل !

وقد استخلص الشيخ صلاح أبو اسماعيل سبعة عناصر لأسس الدولة في الإسلام من آية واحدة من سورة فاطر : ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (فاطر : ٣١) .

وهذه العناصر هي : الدستور والقائد ، والاعتزاز بالدستور وبالقيادة ، والإيمان بكل نبي وبكل كتاب سماوي ، والشعب ، والضمير المؤمن ، والأرض .. ثم أشار إلى عدة مفاهيم هامة خلال تناوله لعناصر الدولة في الإسلام ، من أهمها :

● اشتمال القرآن على كل أمور المسلمين العامة ، ولقد فهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه القرآن فقال : « والله لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله عز وجل » .

● ومنها وجود نماذج للقائد في غير مقام النبوة مثل (أبي بكر الصديق) رضي الله عنه « يا أيها الناس : إني وُلِّيت عليكم ولست بخيركم » لم ينتزع هنا لنفسه من منصبه حقاً إلهياً .. وأوضح المحاضر في هذه القضية أن مفهوم الدولة الدينية (الثيوقراطية) غير موجود في الدولة الإسلامية .

● وعن مفهوم الوطن في الإسلام ذكر أنه يأتي على غير ما هو مقرر في مادة التربية القومية هذه الأيام . فهو ليس حدوداً إقليمية - مزقت العالم الإسلامي - بل يرى الإسلام أن عدوان الشيوعيين على الأفغانيين كعدوان الصهاينة على المسجد الأقصى ، وأن العدوان على أي مسلم في موقع ما على أرض الله إنما هو عدوان على كل مسلم .

وفي نهاية المحاضرة أوضح الشيخ صلاح أبو اسماعيل فكرة الوزارات المتعددة في الدولة ، وإلى أي مدى هي محققة لأغراضها ومتفقة في منهجها مع الإسلام ، وما هو مطلوب من هذه الوزارات الآن حتى تتحقق إسلاميتها .. ثم ألقى الضوء على بعض المشكلات المعاصرة وحلولها كما يقدمها الإسلام . ■■

متابعة ثقافية :

■ دفعاً لعجلة التقدم العلمي في الوطن العربي ، احتفلت مؤسسة عبد الحميد شومان بالأردن بتوزيع جوائزها على العلماء العرب الشباب الذين أسهموا في تقديم الأبحاث المتميزة بأصالتها وفائدتها العلمية والعملية في كل من الطب والهندسة والزراعة والعلوم البحتة والعلوم الإنسانية .

■ أصدر مجمع اللغة العربية الأردني بعمان [فهرس مخطوطات مكتبة الحاج نمر النابلسي] في نابلس من إعداد محمود عطا الله ، والمكتبة تحتوي على ثمان وتسعين مخطوطة .

■ في إطار الدورة الثقافية التي تقيمها جمعية التاريخ بآداب الكويت ألقى الدكتور محمد عيسى صالحية محاضرة بعنوان : [أصول تحقيق المخطوطات ونشرها] أوضح فيها خطوات تحقيق المخطوط من وجوب توافر أكثر من نسخة إلى قيام المحقق بالنسخ بنفسه إلى القيام بعملية المقابلة ثم التعريف بالأعلام والبلدان والاصطلاحات والتخريجات ، وأشار إلى مناهج الأوروبيين في التحقيق ، وعدد المدارس المشهورة في تحقيق المخطوطات .

■ تحت زعم القلق الأمني في بيروت تحاول فرنسا نقل المكتبة الفرنسية التي تقع في كلية الآداب الفرنسية بين شطري بيروت إلى فرنسا ، تضم المكتبة آلاف الكتب والمخطوطات التي تتناول الأمور الإنسانية والثقافية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية ..

■ تم مؤخراً افتتاح المبنى الجديد لمكتبة ندوة العلماء بالهند ، وأطلق عليه اسم العلامة شبلي النعماني ، تقديراً لدوره في نشاطات الندوة العلمية عبر تاريخها الطويل .. كما نظمت الندوة ندوة علمية حول التعليم والمناهج التعليمية بالهند في المدارس الإسلامية .

■ (الحميات في الطب الإسلامي) أول رسالة ماجستير باللغة العربية نوقشت بطب الأزهر أعدها الطبيب محمد العتيق ، وهي دراسة باللغة العربية من خلال التراث والتحقيق العلمي لأحاديث الرسول ﷺ المتعلقة بهذا الفرع من الطب « الحميات » .

■ افتتحت مؤخراً مكتبة مسجد المرسي

التعبير بالصورة

قوات الاحتلال في القدس :

[الظروف التي يعيشها الجيل الجديد من أبناء المسلمين]

أبي العباس بمصر ، وتعد من كبرى مكتبات التراث الإسلامي هناك ، وتحتوي على أربعة آلاف كتاب مخطوط ما بين مخطوط يدوي ، ومخطوط على الحجر نقش أصلاً في استانبول بتركيا .

■ انعقد مؤخراً المؤتمر الخامس للفرع الإقليمي الدولي للوثائق بتونس ، وبحث وقيَّم المنجزات والنشاطات الأرشيفية المختلفة منذ اختتام المؤتمر الرابع الذي كان قد عقد في عمان العام الماضي ، كما نظر في نشاط معاهد التدريب الوثائقي والتشريعات القانونية الخاصة بالوثائق في البلاد العربية .

■ يفتتح في مدينة (رين) الفرنسية المركز الثقافي الإسلامي في نهاية الشهر الحالي (رمضان) بعد أن انتهى العمل في مبنى المركز الذي تبلغ مساحته (٥٠٠) متر مربع ، ويتيح لثلاثة آلاف مسلم يسكنون المدينة إقامة الشعائر ، بعد أن حاربت إقامة هذا المركز جهات معادية للإسلام كانت قد كوَّنت رابطة خصيصاً لمقاومة هذا المشروع .

■ في رحاب جامعة الزيتونة بتونس عقد المؤتمر الثالث لرابطة الجامعات الإسلامية .. وفي نهاية المؤتمر صدرت عدة توصيات كان أهمها إعادة النظر في القانون الأساسي للرابطة بحيث لا تقتصر عضويتها على الجامعات التي تُعنى بالشريعة والدراسات الدينية المحضة ، بل يكون الباب مفتوحاً لعضوية الجامعات التي تُعنى بالحضارة الإسلامية كطابع عام لها مع توافر قدر معقول من التخصصات الدراسية الإسلامية إلى جانب تخصصاتها العلمية المتنوعة الأخرى .

■ انتهى خمسون باحثاً بالقاهرة إلى نتائج هامة تتعلق بالتراث في المؤتمر الذي أقامته كلية الدراسات العربية وأشرف عليه الدكتور عبد الخالق محمد تحت عنوان التراث والمعاصرة منها (ضرورة التنسيق بين القائمين بتحقيق التراث) بعد أن كثرت ظاهرة تحقيق الكتاب الواحد أكثر من مرة ، كما أوصى المؤتمر بتشجيع طلاب الدراسات العليا في مجالات ربط الفكر الأوروبي تاريخياً بتراث المسلمين الفلسفي والعلمي ..

وإقامة العلوم الإنسانية عموماً على أسس ومبادىء إسلامية .

هـذه سـبيلي ..

■■ عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية صدرت مجلة « هذه سبيلي » (العدد الخامس) . وهي مجلة متخصصة يصدرها المعهد العالي للدعوة الإسلامية .

يحتوي العدد الجديد على موضوعات قيمة منها : (من أساليب الدعوة في القرآن الكريم ـ الأساليب التطبيقية) للدكتور أبو المجد السيد نوفل ، و (وقفات مع الدعوة الإسلامية ودعاتها في العصر الحديث) للدكتور أحمد العسال ، و (الصحافة الإسلامية .. المنهج والتطبيق) للدكتور مصطفى حسين كمال ، وذلك مع تعريف موجز ببعض الرسائل الجامعية التي ناقشها المعهد العالي للدعوة الإسلامية . ■■

رجل فقدناه

■ الدكتور التجاني أبو جديري ■

■■ في صبيحة الثلاثاء ٢٣ رجب ١٤٠٤هـ [٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٨٤م] فقدت الأمة الإسلامية والدعوة الإسلامية، إثر حادث سيارة أليم، علماً من أعلامها ورائداً من روَّادها: الدكتور التجاني عبد الرحمن أبو جديري (٤٩ سنة)، الأمين العام لمنظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا، بعد عمر أفناه في خدمة عقيدته ونصرة دينه..

وقليل أولئك الذين يعرفون أن الفقيد كان خبيراً زراعياً، تخرج (عام ١٩٦١م) في كلية الزراعة جامعة الخرطوم.. ثم واصل دراسته في الجامعات الأمريكية حيث حصل على درجات: الماجستير (١٩٦٤م) والدكتوراه في تعليم الكبار (١٩٧٣م) ودكتوراه أخرى في الزراعة (١٩٧٨م)..

وقد كانت السنوات التي أمضاها في أمريكا، عاملاً أساسياً في ظهور الشخصية المتميزة لرجل التزم بالإسلام مسلكاً ومنهجاً وحركة منذ أيَّام الصبا.. ولعل أهم مجال برزت فيه شخصيته المتميزة: اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا الشمالية وكندا.. ويعد الفقيد بحق من الروَّاد الأوائل الذين بذلوا جهودهم ووسعهم ليولد هذا الاتحاد شامخاً.. وقام بأداء مسؤووليات عديدة في إطاره، حيث شارك في عضوية اللجنة التنفيذية، ثم أصبح نائباً لرئيسها ومسؤولاً عن التعليم والنشر، ثم رئيساً لدورة ٧٣ ـ ١٩٧٤م.. كما أدار كثيراً من المؤسسات الإسلامية التي نشأت بجهد قيادات الاتحاد.. فعمل مديراً عاماً لمركز الدعوة والتعليم الإسلامي (٧٧ ـ ١٩٧٨م).. ورئيساً للمجلس التنسيقي لمسلمي أمريكا الشمالية منذ عام ١٩٧٧م وحتى وافته المنية..

ويُذكر للدكتور التجاني ـ رحمه الله ـ دوره البارز في تأسيس الروابط الإسلامية العلمية المتخصصة مثل رابطة العلماء المسلمين الاجتماعيين، المهندسين، الأطباء... وغيرها ـ وذلك ـ كما يقول ـ «لاستيعاب هؤلاء العلماء المسلمين من خلال تخصصاتهم ولتأكيد شمولية الإسلام وحقيقة أنَّ المسلم يمكن أن يكون عالماً وأن يُؤسلم العلم الذي تخصص فيه».. وقد ترأس رابطة العلماء المسلمين الاجتماعيين في دورتها الثانية (٧٧ ـ ١٩٧٨م)..

كما يذكر له أيضاً أنَّه أحد العناصر الإسلامية المخلصة التي ساهمت في إيجاد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ووضع برامجها وخططها على المدى القريب والبعيد.. وكان له شرف عضوية أول أمانة عامة لها..

ورغم أن التجاني ـ رحمه الله ـ عاش في الغرب لعقد من الزمان تقريباً، حيث خبر عن كثب حضارته وفهم ثقافته إلا أنه كان شديد الاعتزاز بدينه والاستعلاء بإيمانه.. وقد كانت لروحه المؤمنة تاثيرها في أن يصمد في وجه التيار المادي وأن يتحرر من نفوذه الفكري، فانعكس ذلك بشكل إيجابي في ما امتاز به من تقديم البدائل العملية التي تجلت أعظم ما تجلت في «منظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا»، ذلك الأمل الذي كرَّس التجاني ـ بعد عودته للسودان عام ١٩٧٨م ـ له جلّ وقته وفكره، ليعيد إلى القارة الأفريقية نور الإسلام الذي خبا بفعل المنصِّرين والكنسيين.. ويمتاز الفقيد أيضاً وهو العضو المختار في هيئة المدارس الإسلامية العالمية، بحرصه على تربية الأفراد وإعداد الكوادر الإسلامية القادرة على تحمل المسؤوليات، فكانت القضية التعليمية همَّه الأول وشغله الشاغل، ولعل في هذا ما يفسر تغيير اتجاه دراسته، للحصول على الدكتوراه، من الزراعة إلى تعليم الكبار.. فالتعليم بالنسبة له، أخطر وسيلة لإحداث التغيير والتحول الاجتماعي.. وقد بذل من خلال منظمة الدعوة جهداً عظيماً في هذا المجال، مسخراً لذلك كل صلاته وعلاقاته الممتدة على مستوى كثير من البلاد الإسلامية والعربية والأوروبية والأمريكية وغيرها.. فهيأ الفرص

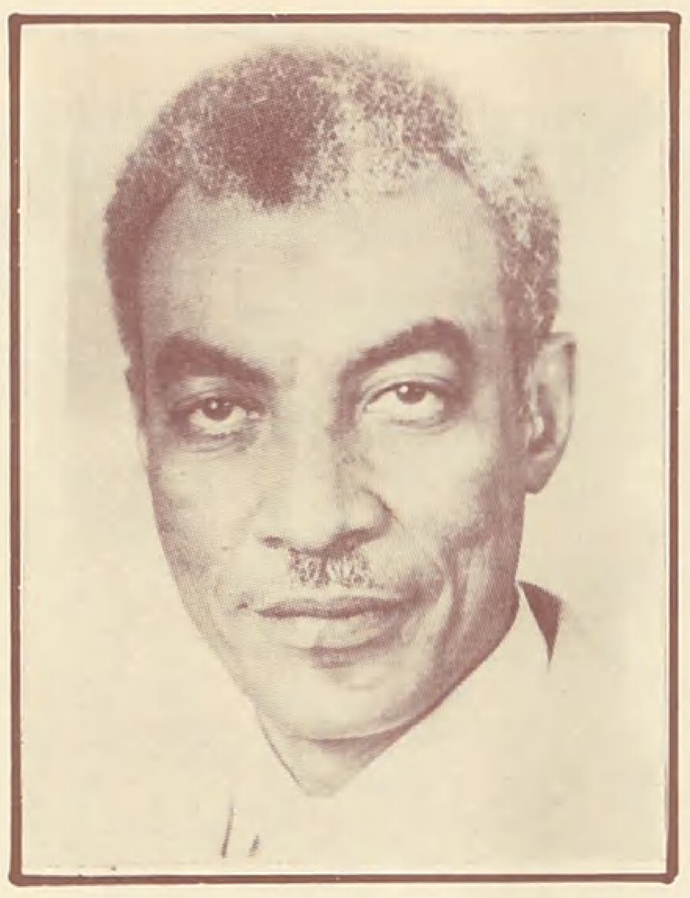

لكثير من موظفي المنظمة والعاملين بها ومن أبناء البلاد الأفريقية التي شملها نشاط المنظمة، ممن تتوفر لديهم قدرات قيادية، أن يواصلوا تعليمهم وأن يتدربوا في أفضل المعاهد ويحصلوا على أرفع الدرجات العلمية، منطلقاً في كل ذلك من إدراكه أن «الأقلية الصليبية ما كان لها أن تحكم وتتحكم في الأغلبية الأفريقية المسلمة، لولا القدر الذي حصلت عليه من التعليم.. ولذلك لا بد من مواجهة العدو بالسلاح نفسه الذي انتصر به علينا»..

وعلى المستوى العام، داخل السودان، كان للتجاني ـ رحمه الله ـ وجوده وأثره حيث شغل عدة مراكز هامة..

سألته «الأمـــة» في أحد لقاءاتها معه [كانون أول (ديسمبر) ١٩٨١م] عن مدى العلاقة التي يمكن أن تربط الإسلاميين بالغرب فاجاب بما ينم عن بُعد نظره وسعة إدراكه وعمق تفكيره: [أعتقد بأننا ـ كإسلاميين ـ محتاجون ولمدة من الزمن إلى تعامل ثقافي مع الغرب، خاصة وأنه يتقدم علينا تقنياً.. وحتى في ظل الوضع الإسلامي الكامل الذي ننشدهُ فإن هذا التعامل سيكون موجوداً وقائماً، كل ما هنالك هو أننا لن نتلقى هذه التقنية وهذه الثقافة بقيمها الغربية وإنما سنغيرها في قوالب أخرى تناسب قيمنا ومثلنا.. وفي خاتمة المطاف فإن الجانب الثقافي الحضاري الذي تقوم عليه القيم الغربية سيضمحل وستكون هناك ثقافة إسلامية تقوم على قيم إسلامية]..

ومن خلال تجربته في العمل الإسلامي، التي أفنى فيها زهرة شبابه ونضارة أيَّامه، يُوصي الدكتور التجاني أبو جديري ـ رحمه الله ـ العاملين في الحقل الإسلامي (في لقاء مع الأمة):

[... إن أهم ما يتصل بالعاملين في مجال الدعوة الإسلامية، إلى جانب الالتزام الكامل بالسلوك والمبادىء والتصورات الإسلامية، أن:

١ ـ يتفاعلوا دائماً مع المجتمعات التي يعيشون فيها، أخذاً وعطاءً..

٢ ـ يتحلوا بشيء من المرونة تمكنهم من رؤية البدائل التي تناسب فهم وطبيعة كل مجتمع، ليأخذوه من ثمَّ تدرجاً إلى الأهداف الإسلامية الحقيقية..

٣ ـ يكونوا قدوة لغيرهم في كل شيء، إنهم روَّاد تغيير..

٤ ـ يتجنبوا الدخول في مواجهات وصدامات هم في غنى عنها إلَّا إذا اضطروا لذلك اضطراراً وأن يدركوا أن الدعوة إلى الله بالحسنى تمثل الركيزة الأولى في العمل الإسلامي..

٥ ـ يعوا كل الظروف المحيطة بهم وما يجري على الساحة العالمية وأن يضعوا الأمور بأولوياتها..

٦ ـ يجنحوا للعلمية والتخطيط وألَّا يكون العمل عشوائياً تقوده وتوجهه العاطفة.

يضاف إلى ذلك أنَّ الداعية يجب أن يكون رحب الصدر طالباً للحوار حتى مع الأعداء، لنمكنهم من التعرف على ما عندنا]

رحم الله التجاني عبد الرحمن أبو جديري، صاحب شعار: إن الإسلام جاء أمريكا ليبقى ـ في المرحلة الأولى ـ ثم لينتشر ـ في المرحلة الثانية ـ ثم لينتصر بإذن الله، فقد كان متفائلاً بان المستقبل للإسلام، ليس في أمريكا وحدها أو أفريقيا أو السودان.. ولكن في العالم كله.. وهو ما أبلى فيه عمره العريض.. فلله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل. ■■

خواطر

الاحتفال بيوم القرآن الكريم الرابع والعشرين في قطر - وتكريم حفظة القرآن ١٣ من رجب ١٤٠٤هـ الموافق ١٤ من أبريل (نيسان) ١٩٨٤م

كَتائِبَ اللَّهِ ، هـٰذا النُّورُ مَحْيانا   سِيروا علىٰ الدَّرْبِ إنَّ الحَقَّ يَرْعانا
هـٰذا الكِتابُ الَّذي نَسْمو بعِزَّتِهِ   ذِكْرٌ لِقَوْمي إذا راموهُ عنْوانا
وَسَوْفَ نُسْأَلُ إنْ رُحْنا نُضَيِّعُهُ   وَنَرْتَضي الزُّورَ في الأحْكامِ بُهْتانا
وَمِنْ عَجيبٍ يَضِلُّ النَّاسُ عَنْ سَفَهٍ   وَيَسْلُكونَ سَبيلَ الغَيِّ عُمْيانا
وَيَحْمِلونَ سِراجاً مِنْ هِدايَتِهِ   وَيَذْهَبونَ مَعَ الأوْهامِ نُكْرانا
كالعِيرِ تَلْقىٰ علىٰ البَيْداءِ مَصْرَعَها   ظَمْأىٰ وَتَحْمِلُ سَجْلَ الماءِ مَلآنا
في كُلِّ عامٍ نُقيمُ الحَفْلَ مُبْتَهِجاً   وَيَنْظُرُ النَّاسُ في القُرَّاءِ فِتْيانا
وَما جَعَلْنا كِتابَ اللَّهِ رائِدَنا   وَما أَقَمْنا لِهُدىٰ الحَقِّ سُلْطانا

◇ ◇ ◇

سُبْحانَ رَبِّيَ كَمْ أَسْدىٰ وَأَكْرَمَنا   وَيَسَّرَ الحَقَّ لِلإنْسانِ قُرْآنا
سَلِ الأعاجِمَ مَنْ - وَاللَّهِ - عَلَّمَهُمْ   حَتَّىٰ غَدَوْا بِكِتابِ اللَّهِ فُرْسانا
أَلَيْسَ هٰذا - وربِّ الخَلْقِ - مُعْجِزَةً   تَقومُ حَقّاً علىٰ الأيَّامِ إعْلانا
مَنْ يَسَّرَ الذِّكْرَ لِلأطْفالِ تَحْفَظُهُ   قَدْ مارَسوا المَدَّ والتَّجْويدَ شُبَّانا
أَرادَ رَبُّكَ لِلقُرْآنِ مَنْزِلَةً   فَصانَهُ بِسِياجِ الحِفْظِ فُرْقانا
يا وَيْحَ قَوْمي إذا الخَلَّاقُ حاسَبَهُمْ   وَقَدْ مَضَوْا بِكِتابِ اللَّهِ هِجْرانا
راحوا يَرومونَ أَحْكاماً مُصَنَّعَةً   وَيَرْجِعونَ دعاةَ البَغْيِ خِذْلانا
وَكَيْفَ نَرْضىٰ بِغَيْرِ اللَّهِ مُحْتَكَماً   وَاللَّهُ قَدْ زادَنا عَدْلاً وَإحْسانا
قُولوا لِروسيا وَما كابولُ أَرْضُهُمُ   لَقَدْ وَجَدْتُمْ حُماةَ الحَقِّ شُجْعانا
روحوا ازْرَعوا يا بَني لِينينَ أَرْضَكُمُ   فَقَمْحُكُمْ طالَما أَجْدىٰ وَقَدْ كانا
حَرْبُ الخَليجِ أَراها اليَوْمَ جاثِمَةً   تُبيدُ مِنَّا جَماعاتٍ وَإخْوانا
إلىٰ مَتىٰ اللَّيْلُ وَالأهْوالُ تَقْرَعُنا   أَنْعىٰ لِقَوْمِيَ بَغْداداً وَطَهْرانا
ما كانَ أَجْدىٰ لِهذا المالِ نُنْفِقُهُ   علىٰ الفَقيرِ نَراهُ اليَوْمَ عُرْيانا
أَيْنَ المَساعي تَرُدُّ القَوْمَ عَنْ غَضَبٍ   لَوْ نُخْلِصُ الصُّلْحَ أَمْضىٰ اللَّهُ مَسْعانا
وَما أَمِرْكا وَما السُّوفييتُ تَفْعَلُهُ ؟!   إذا اتَّحَدْنا نُحيلُ الأرْضَ بُرْكانا
يُسَلِّحونَ جُيوشاً مِنْ جَماعَتِنا   لِكَي يَموتوا وَيُضْحي الأمْرُ خُسْرانا
وَمِنْ عَجيبٍ نَعُدُّ المالَ نَجْمَعُهُ   لِيَحْصُدَ المالُ بالآلافِ قَتْلانا
وَيَسْتَفيدَ عَدُوٌّ مِنْ حَماقَتِنا   وَيَسْتَزيدَ كَثيراً مِنْ ضَحايانا

◇ ◇ ◇

عَوْداً إلىٰ اللَّهِ إنَّ الحَقَّ يَحْفَظُنا   وَجَدِّدوا العَهْدَ والميثاقَ خُلَّانا
دَعوا « قُسْطَنْطينَ » في روسْيا وَزُمْرَتَهُ   وَلا تَروموا لِعِزِّ الدَّهْرِ « ريجانا »
واسْتَمْسِكوا بِحِبالِ اللَّهِ تَجْمَعُكُمْ   عَلىٰ المَحَبَّةِ تَصْديقاً وَإيمانا

شعر : عليوه مصطفى عليوه

The Middle East Times

الإسلام ...

ونظريات التحديث الغربية

■■ يشكك كثير من علماء الاجتماع في صدق النظريات الغربية الخاصة بالتطور والتحديث، لأن تلك النظريات تقوم على أساس أن جميع المجتمعات يجب أن تمر بالتطورات التي حدثت في الدول الأوروبية نفسها.

كانت نظريات التطور الاجتماعي والتقدم الاجتماعي شائعة في القرن الماضي، ولكن نظرية التحديث انتشرت فقط بعد الحرب العالمية الثانية.

شن علماء التحديث والتطور حرباً شعواء على الماضي، ورأوا أن على الدول المتخلفة أن ترى في الدول الصناعية المتقدمة مستقبلها، وقسموا الأمم إلى مجتمعات صناعية متقدمة (الدول الغربية) ومجتمعات تقليدية (العالم الثالث)، وأطلقوا على المجتمعات التي كانت تحاول التخلص من ماضيها وتقلد الغرب، مجتمعات انتقالية.

وقد سعى عدد من علماء الاجتماع الغربيين لوضع معايير للتحديث. ومن هؤلاء «دانيال ليرنر» في كتابه «تطوير المجتمع التقليدي». والمعيار الذي اعتمده «ليرنر» هو «اتخاذ القرارات على أساس الاختيار وليس التقليد». هذا هو المعيار الذي يميز الإنسان الحديث.

وجاء علماء آخرون فاتخذوا من نمو المدن الجديدة، (وليس توسع المدن القديمة) معياراً للحداثة، بينما اقترح علماء آخرون معايير شخصية أخرى مثل: الاستقلالية والمرونة، والاعتماد على الذات، والإحساس بالفاعلية، والتحكم الداخلي... وأضاف آخرون معياراً آخر وهو: إحساس الفرد بالحاجة إلى الإنجاز.

وقد أجمع جميع العلماء الغربيين تقريباً على أن العائلة والدين في الشرق الأوسط بالذات، هما عوائق في طريق التقدم.

إلا أن الشواهد أثبتت أن هذا الاعتقاد غير صحيح. وهناك أكثر من سبب للاعتقاد بأن الترابط الأسري والدين في منطقة الشرق الأوسط بالذات يشجعان التطور ولا يعيقانه. ودليل ذلك أن كثيراً من الشركات والصناعات تقوم على روابط عائلية، في هذه المنطقة.

كذلك فإن الدين، بما يشيعه من إحساس بوجود كون منظم له معنى وهدف، يشجع الفرد على تقدير التخطيط وبذل الجهود.

وقد أظهرت الدراسات التي أجريت مؤخراً في عدد من دول الشرق الأوسط أنه بإمكان الإنسان أن يكون مسلماً ملتزماً بدينه، وإنساناً معاصراً حديثاً، في آن واحد، وتبين أن الالتزام بالدين أو المحافظة على التمسك الأسري لا يعني بالضرورة الجمود، كما أن التطور لا يعني بالضرورة الخروج من الدين، خاصة وأن المجتمعات «ما بعد الصناعية» أخذت تبدي اهتماماً بالشرق والأديان عموماً، وتبحث عن ترابط ما بأي شكل من الأشكال. ■■

[العدد ٢٩]

متابعات إعلامية

■■ منذ شهور والصحف البريطانية مشغولة بقضية إساءة استخدام رئيسة الوزراء، مارغريت تاتشر، لسلطتها عندما استخدمت منصبها الرسمي، لدى زيارتها لإحدى الدول العربية، لتشجيع تلك الدولة على منح عطاء من العطاءات لشركة يمتلكها ابنها، مارك تاتشر.

ومن قبل استجوب البرلمان البريطاني السيدة تاتشر حول نفقات ذهاب زوجها إلى الجزائر وعودة ابنها منها، إثر ضياعه هناك بضعة أيام.

والواقع أن الأمثلة من هذا النوع على دور الصحافة والرأي العام في الدول الغربية، كثيرة جداً، ولم يحدث أن دفع أحد من الصحفيين أو أصحاب الصحف ثمن هذه «الوقاحة» والتطاول على المقامات العليا، لم تطلق على أحد منهم رصاصة جبانة. ولم تنسف مؤسساتهم، ولم يودعوا السجون أو يقدموا للمحاكمة بتهمة الخيانة وتهديد الوحدة الوطنية، والتشكيك بالمنجزات والمكتسبات الشعبية.

ومع أننا نتجنب قدر الإمكان وضع الواقع الغربي موضع الأنموذج المشرق، ومع أننا من غير المنبهرين بالحضارة الغربية، إلا أن الأمور تفرض نفسها أحياناً، كما في هذه الحالات، عندما تقارن بالواقع المزري للصحافة والرأي العام في العالم الثالث عموماً، حيث على الصحفي والإنسان عموماً أن يكون شاهد زور أو شيطاناً أخرس، وإلا فالثمن باهظ ومعروف، مع أن التجاوزات التي ارتكبتها «تاتشر» تعتبر تافهة مقارنة بعمليات النهب والسلب والقرصنة باسم الشعب في العالم الثالث.

لقد أصبحنا في حيرة من أمرنا، هل من تراثنا أم من تراثهم المبدأ السامي «لا سمعاً لك ولا طاعة حتى تبين لنا...»، والمبدأ الرائع «من أين لك هذا؟» وغيرها من المبادىء التي قامت عليها حضارتنا، وانهارت بالتخلي عنها. ■■

الاقتصاد الإسلامي

ضرورة تدريس الاقتصاد الإسلامي

■■ تواجه البنوك الإسلامية ، رغم نجاحها ، عدداً من المشكلات أو الصعوبات . وهذا أمر طبيعي ، فهي مولود جديد في النظام الاقتصادي المعاصر القائم على الربا . وفي الوقت نفسه ، تتعرض هذه البنوك لحملة تشكيك من أعداء التوجه الإسلامي .

ولعل من بين أهم المشكلات التي تواجه البنوك الإسلامية مشكلة وجود المتخصصين في الاقتصاد الإسلامي والأعمال المصرفية الإسلامية . وقد كتبت مجلة « الاقتصاد الإسلامي » الصادرة عن بنك دبي ، حول هذا الموضوع ، تقول :

لو تأملنا فيما يدرس في المرحلة الثانوية التجارية وما يقدم للطلاب الدارسين من فنون ربوية متعددة من خلال ما يسمى بمادة الرياضة المالية ، وما يتم تدريبهم عليه من وسائل تسجيل عبر ما يسمى بالمحاسبة الأمريكية أو الفرنسية أو الإيطالية ، وما يدرس لهم في مادة السكرتاريا ، طبقاً لما جرى عليه العرف والتقاليد الغربية ، وكذلك لو نظرنا إلى ما يدرس في كليات التجارة في الجامعات حيث يدرس الربا في أبهى حلله ومختلف فنونه ، كما تدرس جميع النظريات الاقتصادية من ماركسية ورأسمالية ، لوجدنا أن ما يقدم للطلاب في هذه المعاهد من اقتصاد إسلامي قليل جداً .

والجامعات الإسلامية التي تدرس الاقتصاد الإسلامي ، محدودة . وفي معظم هذه الجامعات تطرح مساقات الاقتصاد الإسلامي كمتطلبات اختيارية . ومع ذلك يقبل عليها الطلاب إقبالاً يدل على تغلغل حب هذا الدين في أعماق النفوس حيث وصل عدد البحوث الإسلامية التي أعدوها في جامعة الإمارات وحدها اكثر من خمسين بحثاً في مجالات المحاسبة والإدارة الإسلامية .

إن المرء يتساءل عن سر ضآلة حجم ما يدرس من الاقتصاد الإسلامي بما يدرس من مواد أخرى في الجامعات الإسلامية ، فهل لا يزال هناك من يعتقد أن الاقتصاد الإسلامي لم يصل بعد إلى مرتبة العلوم التي وضعها « آدم سميث » و « كينز » و « ماركس » وغيرهم . لقد ظهر علماء ومفكرون في البلاد التي أنجبت هؤلاء العلماء المذكورين ، ينادون بتطبيق مبادىء الاقتصاد الإسلامي في بلادهم باعتباره الدواء الشافي من الأمراض الاقتصادية المزمنة التي تفتك بالبشرية ، والتي نشأت كمولود شرعي للفكر الاقتصادي الوضعي . وها هم ينادون الآن بنظام المشاركة في الربح والخسارة كما هو في الشريعة الإسلامية ، وعقد لهذا الغرض أكثر من ندوة للاقتصاد الإسلامي في باريس ، هل بقيت حجج للتسويف بعد أن انتشر الفكر الاقتصادي الإسلامي بهذه الصورة وعقدت له المؤتمرات والندوات وقدمت البحوث والدراسات . هل يمكن أن يكون هناك من يجرؤ على التساؤل : أين الاقتصاد الإسلامي ؟ وأين نظريته ؟ وأين وجوده في عالم الواقع ، بينما تشهد خارطة المصارف الإسلامية والمؤسسات الإسلامية مداً يومياً .

إن المسؤولين عن التعليم في المؤسسات والمعاهد يتحملون مسؤولية خاصة إزاء جعل مادة الاقتصاد الإسلامي مادة أساسية في مناهج التعليم ، وهناك كنوز فكرية اقتصادية لدى أبي يوسف ويحيى بن آدم والغزالي وابن خلدون وأبي عبيد القاسم بن سلام ، يجب أن تتفتح عليها عقول شبابنا المسلم . ■■

[العدد الحادي والثلاثون]

القبس

ظواهر مرضـيـة في حياتنا الثقافية

■■ هناك الكثير من الظواهر المرضية التي تشكو منها أوضاعنا وحياتنا الثقافية في الوطن العربي . وهذه الظواهر لم تفد أو تزحف علينا من الخارج فقط ، بل نحن الذين أوجدناها من الداخل أيضاً . وبالتالي فنحن نتعرض إلى غزو ثقافي سلبي مزدوج ، غزو ثقافي أجنبي ، وغزو ثقافي محلي مشوه . والاثنان يلتقيان عند نقطة واحدة : تخريب العقل العربي وتشويه الإنسان العربي في آن واحد .

الظاهرة المرضية الأولى في حياتنا الثقافية تتمثل في كون الثقافة قد تحولت في معظم أنحاء وطننا العربي إلى « مؤسسة رسمية » تقوم بأداء وظيفة روتينية ، كأي وظيفة أخرى ، والمشكل أن معظم القائمين على رأس هذه المؤسسات هم موظفون ثقافيون رديئون استمرؤوا الجهالة باسم الثقافة والعلم ، وحولوا الثقافة والأجهزة الثقافية إلى سلعة للارتزاق والتزلف والنفاق الاجتماعي . وفي ظل وضعية كهذه ، كان لا بد أن تكون الثقافة انعكاساً لوضعية الأجهزة ولعقليات القائمين عليها ، الذين لا يسمحون إلا بما يتوافق مع الأوضاع والمؤسسات السياسية السائدة ، وأي خروج عن النمط الثقافي الحكومي السائد سيوصف بالهدم ، وسيصنف بتعبيرات متعددة ، في خانة الخيانة والتآمر . المطلوب من الثقافة القيام بوظيفة التبرير والتأييد والتكييف ، إن لم نقل « التزييف » .

الظاهرة المرضية الثانية تتمثل فيما يمكن أن نطلق عليه ثقافة البعد الواحد ، وذلك نتيجة الإغراق في التخصص لدى حملة الدرجات العلمية العليا بالذات ، حيث يشعر بعض هؤلاء بأن ما هو خارج تخصصه لا يعنيه ، فتراه لذلك يتقوقع داخل صومعته العلمية المحددة ويرفض التعامل مع الثقافة بمعناها الواسع ، الأمر الذي يجعل ثقافة هؤلاء ثقافة محدودة جزئية هشة ، ونكاد نقول سطحية ، ولا جدال في أن التخصص مسألة ضرورية جداً ومهمة ، لأن فيه تعميقاً لمدارك الإنسان العلمية وتكثيفاً لخبراته ، ولا أحد يطالب عالم الكيمياء أن يكون عالم اجتماع في الوقت نفسه ، ولكن المطلوب انفتاح عقل هذا وذاك على الثقافة عموماً ، هذا الانفتاح ليس ترفاً بل ضرورة ثقافية وعلمية في آن واحد ، وهذا ما كان عليه أسلافنا من الرموز العلمية والفكرية اللامعة في التاريخ الإسلامي ، الذين تعاطوا أصنافاً مختلفة من العلوم في آن واحد ، مما أسبغ على كتاباتهم العمق والشمولية ومسحة النبوغ والعبقرية . ولذلك فإن تمترس بعض معلمينا خلف جدار التخصص لا يعكس سوى نوع من التبرير المكشوف للانسحاب من الحياة الثقافية ، ومن العطاء الفكري المتجدد والمتكامل والمتعدد الأبعاد . ■■

[العدد ٤٢٩٧]

مسابقة العدد الخامس والأربعين
السنة الرابعة

١ - قاموس المسابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمام كل كلمة ؟ .. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآية التي وردت فيها :

● كفاتاً :	أوعية	سبلاً	قواعد
● وقاسمهما :	جاء بها إليهما	ذاقها معهما	حلف لهما
● ذو مرة :	ذو قوة	ذو علم	ذو تدبير
● ديَاراً :	كافرين	أحداً	مجموعة
● يَصَّدَّعُونَ :	يتفرقون	يُصابون بالصداع	يجتمعون

٢ - كثير من المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام والمسلمين في شهر رمضان المبارك .. وكانت بايدي مسلمين صادقين اخلصوا دينهم لله .. من تلك المعارك « بدر الكبرى » ومن اولئك المسلمين رجال وصفهم عُمَيْر بن وهب بن خلف الجُمحي ، عندما بعثته قريش ليقدر عدد المسلمين ، قائلاً : [... قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلا مَلْجَأٌ إلَّا سُيُوفهم ، الا تَرَوْنهم خُرساً لا يتكلمون ، يتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الافاعي ، والله ما ارى ان يُقْتل منهم رجلٌ حتى يَقْتُل مِنْكُمْ رجُلًا ...] .

ووصفهم مبعوث قريش الثاني « ابو سلمة الجُشَمِيّ » فقال : [... والله ما رأيتُ جلداً ولا عِداداً ولا حَلْقَةً ولا كُراعاً ، ولكني رأيتُ قوماً لا يريدون ان يؤوبوا إلى اهليهم ، قوماً مستميتين ليست لهم مَنَعَةٌ ولا ملجأ إلا سُيُوفهم زُرْقُ العيون كأنها الحصى تحت الجَحَفِ ..] .

● من هو أول من استشهد يوم بدر .. ومن قتله ؟

٣ - من هو ؟ :

● ولد سنة (٨٠هـ) - على ارجح الاقوال - في الكوفة ، راى انس بن مالك رضي الله عنه .
● أصله من مدينة « كابل » عاصمة افغانستان المجاهدة .
● أسلم جده لابيه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم انتقل من « كابل » إلى الكوفة واتخذها سكناً .
● حفظ القرآن في صغره كما حفظ احاديث الرسول ﷺ واقوال الصحابة ..
● وصفه الذهبي فقال : « كان والله شديد الذب عن حرمات الله ، مجانباً لاهل الدنيا ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً ، إن سئل عن مسالة كان عنده بها علم اجاب فيها ، وما علمته إلا صائناً لنفسه ودينه ، لا يذكر احداً إلَّا بخير .
● كان عالماً اخذ معظم علمه من التابعين .. واول ما اتجه إليه من العلوم ، علم اصول الدين ، فجادل المعتزلة والخوارج فالزمهم الحجة ، وجادل غلاة الروافض فاقنعهم .
● اتجه إلى الفقه ، فتبحر فيه ونبغ وذاع صيته .. اجتهد وافتى معتمداً على الكتاب والسنة ، فاقوال الصحابة وفتاواهم ، ثم ما اجتمعت عليه الأمة .. وكان لا يلجا إلى القياس إلَّا عند الضرورة الشديدة .. ثم ياتي بعد هذا عنده : العرف والعادة .. وكان يقول : « قولنا هذا راي ، وهو احسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا باحسن من قولنا فهو اولى بالصواب » .. و « من ضاق بنا صدره فقلوبنا قد اتسعت له » .
● وهو أول من دوّن علم الفقه ورتب مسائله أبواباً .
● كان سخياً جواداً ينفق على طلبة العلم الفقراء .
● عرض عليه عمر بن هبيرة امير العراقين القضاء ، فامتنع ورعاً .. ثم عرض عليه الخليفة العباسي المنصور قضاء بغداد فابى ، فحبسه إلى ان مات سنة ١٥٠هـ .

٤ - من القائل ؟ :

وَاحْذَرْ مُؤاخاةَ الدنيِّ لأنَّه ... يُعْدي كما يُعْدي الصَّحيحَ الأجْرَبُ
يعطيك من طَرفِ اللِّسانِ حَلاوة ... وَيَروغُ مِنْكَ كَما يَروغ الثَّعْلَبُ
يَلقاك يحلِف أنَّه بِكَ واثِقٌ ... وَإذا تَوارى عنك فَهو العَقْرَبُ

٥ - مؤلف وكتاب :

● [المؤلف] وُلد سنة (٥٥١هـ) بآمد « بلدة بديار بكر » وقدم بغداد وتعلم وتفقه على مذهب الإمام احمد بن حنبل ، وحفظ كتاب « الهداية » لابي الخطاب ، ثم صار شافعياً ، واشتغل بعلم الخلاف وتفنن في علم النظر ، ويقال : إنه حفظ « الوسيط » لابي حامد الغزالي .
● درس الفلسفة باقسامها المختلفة ، وتوغل فيها ، وتشبعت بها روحه حتى ظهر اثر ذلك في تآليفه خاصة ما الفه في علم الكلام واصول الفقه .
● كان قوي العارضة ، حاضر البديهة في الجدل والمناظرة حسن الاسلوب ، بارع البيان في التدريس وصناعة التاليف .
● قال عنه ابن كثير في « البداية » : كان حنبلي المذهب كثير البكاء ، رقيق القلب ، وقد تكلموا فيه باشياء الله أعلم بصحتها ، والذي يغلب على الظن انه ليس لغالبها صحة .
● توفي في صفر سنة (٦٣١هـ) عن ثمانين سنة .
● [الكتاب] يمتاز بوضوح العبارة وعلوّ الأسلوب وبيان المعاني .
● وربما كان ذلك سبباً في شيوعه وتداوله في معاهد العلم الإسلامية اكثر مما سبقه في الموضع ذاته .
● يشتمل على اربع قواعد :

الأولى : في تحقيق مفهوم أصول الفقه ومبادئه .
الثانية : في تحقيق الدليل السمعي واقسامه وما يتعلق به من لوازمه واحكامه .
الثالثة : في احكام المجتهدين واحوال المفتين والمستفتين .
الرابعة : في ترجيحات طرق المطلوبات .

٦ - على بعد ٤٧ كيلومتراً غربي البحر الميت ، وعلى ارتفاع (٢٧٥) متراً عن سطح البحر ، تقع مدينة بئر السبع .. تلك المدينة التي امتازت منذ عهد الانباط والرومان بمكانتها التجارية الهامة .. واشتهرت بزراعة الحبوب وتربية المواشي .. وكانت تعرف بانها بلدة « عمرو بن العاص » الذي اتخذ لنفسه فيها داراً ... اتخذ العثمانيون منها قاعدة لجيوشهم المناوئة للبريطانيين في مصر .. عام ١٩٤٥م كان عدد سكانها حوالي (٥٥٧٠) نسمة وفي اواخر عام ١٩٤٨م اصبح (٢٠٠) نسمة فقط ، وفي تشرين اول (اكتوبر) ١٩٤٨م سقطت في ايدي يهود .. الذين دنّسوا مقابر المسلمين فيها وحولوا مسجدها إلى متحف تمهيداً لتهويدها .. وابرز ما تشتهر به في ايامنا هذه ، معتقل بئر السبع ، الذي يختنق بآلاف المعتقلين الفلسطينيين .

إلى اي شيء يعود اصل تسمية المدينة ؟

مسابقة الأمة

الجوائز

● الجائزة الأولى

خمسمائة ريال قطري

● الجائزة الثانية

ثلاثمائة ريال قطري

● الجائزة الثالثة

مائتا ريال قطري

سبع جوائز أخرى : اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة ، للفائز الرابع حتى العاشر .

حل المسابقة وأسماء الفائزين على الصفحة المقابلة .

● ترسل الإجابات إلى : ص . ب ٨٩٣ - الدوحة - قطر ويكتب على الغلاف : مسابقة الأمة ورقم العدد

حل مسابقة العدد الثالث والأربعين

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآية :

○ قَانِتِينَ : مطيعين ..

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (البقرة : ٢٣٨)

○ القَانِطِينَ : اليائسين ..

﴿ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾ (الحجر : ٥٥)

○ الصَّابِئِينَ : قوم بين المجوس واليهود .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٦٢)

○ الْجُودِيِّ : الجبل الذي أرسيت عليه سفينة نوح عليه الصلاة والسلام .

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود : ٤٤)

○ سَرِيّاً : نهراً صغيراً (بالسريانية) .

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾ (مريم : ٢٤)

٢ ـ أخبر النبيُّ ﷺ قومه بقدوم عير يوم الأربعاء .. فلما كان ذلك اليوم لم يَقْدموا حتى كادت الشمس أن تغرب ، فدعا الله ، فحبس الشمس حتى قَدِموا كما وَصَف .. [قال ابن إسحاق : ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وليوشع بن نون] .. وتلك هي العلامة موضع السؤال .

٣ ـ أبو طلحة ، زيد بن سهل بن الأسود بن حرام رضي الله عنه .

٤ ـ القائل : الربيع بن خيثم .

المناسبة : قيل له يوماً : ما نراك تغتاب أحداً ؟ . فقال : لستُ عن نفسي راضياً فأتفرغ لذمِّ النَّاس وأنشد : لنفسي أبكي ... إلخ .

٥ ـ [المؤلف] : أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي المخزومي ..

[الكتاب] : تفسير مجاهد .

٦ ـ موقعة حطين سنة ١١٨٧م ، بقيادة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد الثالث والأربعين

الفائز الأول :

● عبد المعين محمد صالح ـــــــ الهند

الفائز الثاني :

● سيد محمد بن النفيس ـــــــ موريتانيا

الفائز الثالث :

● عبد القادر كرامة الله ـــــــ السعودية

الفائز الرابع :

● سيِّد شيخ أبا علي ـــــــ الصومال

الفائز الخامس :

● باشن نصر الدين بن بلقاسم ـــــــ الجزائر

الفائز السادس :

● عبد المجيد آذر علي ـــــــ الإمارات العربية المتحدة

الفائز السابع :

● الدكتور السُّلمي سعد ـــــــ المغرب

الفائز الثامن :

● عوض الكريم عبد الهادي محمد عمر ـــــــ السودان

الفائز التاسع :

● علي محمد الحدَّاد عمر ـــــــ مصر

الفائز العاشر :

● عبد الغني عبد الهادي ـــــــ الأردن

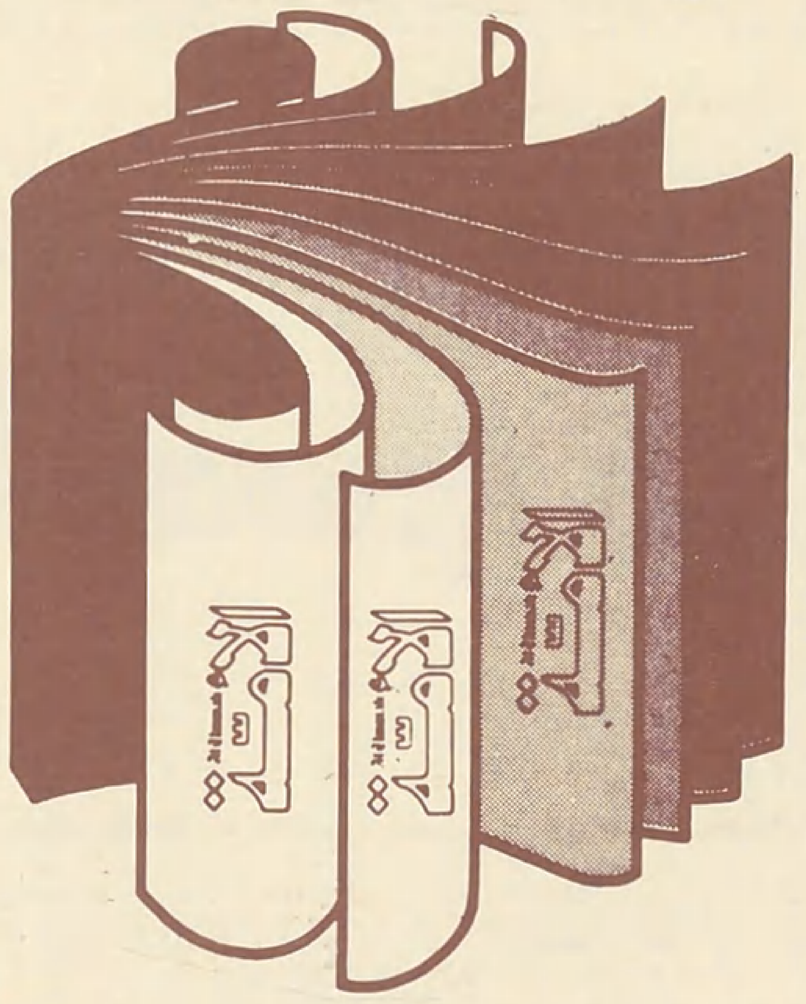

اقرأ في الأمة الأعداد القادمة

□ شخصية الزمان وشخصية المكان من الوجهة الإسلامية
الدكتور محمد أحمد العزب

□ المشاكل النفسية للمرأة العاملة
السيدة آمال عبد الرحمن محمد

□ الأدب التنصيري
الدكتور نجيب الكيلاني

□ هموم المسلمين في الشعر الإسلامي المعاصر
عبد القادر عبَّار

□ مأساة كشمير المسلمة
عرض محمود بيومي

□ التبشير للنصرانية في صفوف الطلبة المسلمين
الدكتور فاروق مساهل

□ الشخصية الإسلامية ومؤسسات التعليم الغربية في حوار مع المسلم البريطاني
يوسف إسلام

□ كيف يتحول الاختلاف إلى خلاف
محمد الصالح عزيز

السوق الإسلامية المشتركة

□□ إن حسن إدارة أية مؤسسة أو شركة أو أية مصلحة حكومية لا بد أن يعتمد على حسن استخدام ما هو متاح لها من قوى بشرية وأموال ومواد ، وهو ما يعبر عنه بـ 3M وهم : Man, Money and Materials . فإن النجاح قرين بحسن استخدام هؤلاء الثلاثة ، والفشل قرين بسوء استخدامهم .

وهذا أيضاً ينطبق على الأمم ، وما نرجوه للأمة الإسلامية من نجاح وتفوق بإنشاء السوق الإسلامية المشتركة لا بد أن يعتمد على أفضل استغلال للقوى البشرية الكبيرة المتوفرة في الأمة الإسلامية والأموال التي أسبغها الله عليها ، وكذلك المواد والأراضي والبحار والممتلكات التي وفرها الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة ، فإذا ما استغلت هذه الثروات استغلالاً حسناً تقدمت الأمة الإسلامية وازدادت غنى واكتسبت قوة ومنعة .

وسنخصص كلامنا على أعظم هذه الثروات وأهمها وهي القوة البشرية ، التي يمكن أن تكون مصدر خير وبركة للأمة الإسلامية جمعاء ، لو راعينا الآتي :

١ - غرس الإيمان بالله تعالى في الشباب ووجوب طاعته ، وذلك عن طريق إرساء تعاليم الدين الحنيف في انفسهم منذ الصغر ، ومحو المغريات وكل ما يفسد الأخلاق من الجو المحيط بهم ، فيتحول المواطنون إلى رجال يخشون الله سبحانه وتعالى ويحفظون الأمانة ، ويعملون بجد ، ويتمون عملهم على خير وجه وأحسنه ، لأنهم يعلمون أن الأجر عند الله سبحانه وتعالى أكبر وأعظم .

٢ - نشر التعليم وإتاحته لكل فرد بقدر الإمكان ، ويجب أن يكون على أفضل النظم ، لتوفير اليد العاملة المتمرنة والخبيرة في شتى المجالات ، سواء أكانت يدوية أو فنية على أن يكون هذا التعليم على أيدي رجال مشهود لهم بحسن الخلق وحسن الفهم والخبرة .

٣ - عدم ابتعاث الشباب إلى بلاد الشرق أو الغرب إلا للضرورة القصوى وعلى نطاق ضيق ، على أن يبعث الشباب المشهود لهم بالإيمان وقوة العزيمة فلا تؤثر فيهم التأثيرات الخارجية . والأفضل أن يبعثوا إلى بلاد إسلامية أخرى لتلقي الدراسات العليا أو التدريب الخاص ، في وسط إسلامي يماثل بلدهم الأصلي .

٤ - وهنا ندعو إلى إنشاء جامعات جديدة في البلاد التي تتوفر فيها الخبرات ولكن تنقصها الأموال - ويجب أن يجود بها أغنياء الأمة وهم كثيرون والحمد لله - ومن الأفضل جذب أبناء البلاد الإسلامية الذين هاجروا للعمل في الجامعات الأجنبية ، بعد أن اكتسبوا الكثير من العلوم والخبرات ، ويجب التركيز على ذوي الخبرة في الصناعة والتكنولوجيا وإصلاح الأراضي ونظم الإدارة وغيرها من المجالات التي تحتاجها الأمة الإسلامية .

٥ - توفير التمويل الكافي للجامعات ومراكز الأبحاث الحالية حتى تتمكن من اداء رسالتها على اكمل وجه .

٦ - حض الراغبين في الهجرة من البلاد الإسلامية من ذوي المؤهلات العالية والتخصصات المهمة على البقاء في بلادهم وذلك بمنحهم أجوراً وحوافز لتشجيعهم على البقاء والاستفادة من علمهم وخبراتهم .

٧ - إنشاء مركز معلومات بالخبرات المتوفرة في العالم الإسلامي ومن هاجر منهم إلى بلاد أجنبية في شتى المجالات والتخصصات ؛ للاستفادة منهم في أي مكان في العالم الإسلامي يكون بحاجة إليهم وإلى خبراتهم ، بدلاً من استخدام الخبراء من الشرق والغرب .

٨ - عند استخدام خبرات أجنبية لعدم وجود مثيل لهم من أبناء العالم الإسلامي ، يراعى أن يكون ذلك على أضيق نطاق وعلى أن يدربوا من يعملون معهم من الوطنيين حتى يحلوا محلهم في اقرب فرصة ، ويراعى عدم تجديد عقودهم إلا للضرورة القصوى .

٩ - الإكثار من الدورات التدريبية أثناء الخدمة لتعليم كل جديد يفيد العمل ، ولجذب الاهتمام حتى يمكن تادية العمل على أحسـن وجه .

١٠ - الاهتمام بالقادة وتدريبهم على أفضل الطرق في الإدارة والتنظيم حتى يمكنهم الحصول على أفضل إنتاج من القوى العاملة في مؤسساتهم ... والله ولي التوفيق □□

دكتور : أحمد شوقي عرفة

صدر

كتاب الأمة
Al Ummah

٦

المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري

الدكتور محسن عبد الحميد

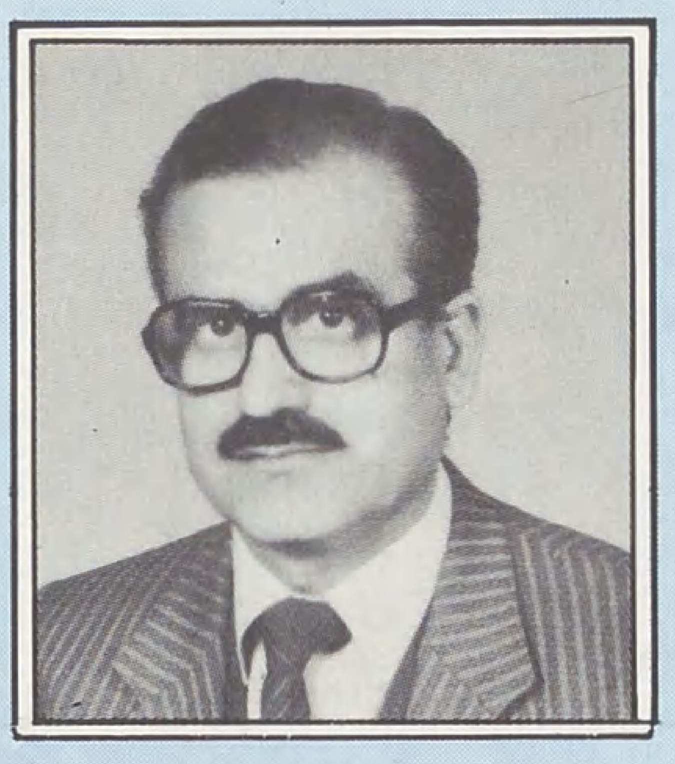

□□ إن الذين ينطلقون من منطلقات حضارية أخرى تتبع مذهبيات تتعارض في أسسها وخصائصها مع مذهبية الإسلام في التصور عن الله تعالى والعالم والإنسان يريدون أن يغيروا مجرى التاريخ ، ويقطعوا الأمة عن خصائصها الحضارية واستمراريتها التاريخية ، حتى تظهر أمة أخرى غريبة عن ماضيها ، تبدأ من الصفر ولا تمت إلى الإسلام وحضارته الربانية الإنسانية السامية بصلة ما ...

□□ إذا أردنا أن تتغير أوضاعنا الحضارية في ضوء المذهبية الإسلامية فلا بد أن تكون مصطلحاتنا الحضارية تعبر تعبيراً دقيقاً عن حقائقها وطبيعتها ووحدتها الداخلية ومنظومتها المتميزة ، لأن في ذلك الصفاء ووضوح الرؤية واستقامة المنهج ، ولأن التغيير الحضاري في أي مجتمع إذا قاده التلفيق بين مجموعات اصطلاحية تنتمي إلى منظومات حضارية مختلفة فإن التغيير يفقد التخطيط الموجه ويدخل في إطار الفوضى في الفكر والممارسة فيؤثر ذلك في كيان المجتمع كله ...

يطلب من وكلاء توزيع الأمة في العالم

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (القمر : ١٧)

مجلة الأمة – Al Ummah

العدد ٤٥ السنة الرابعة رمضان ١٤٠٤ هـ